كتاب

العائلة المصرية

«بقلم»

أوليفيا عويضة عبد العزيز

الأقصرية

حقوق الطبع محفوظة

١٩١٢ م ـ ١٣٣٠ هـ

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

obeikandl.com

اهداء الكتاب

الى سيدى الوالدين المحبوبين

هـذا كتابى وهو باكورة أعمالى أرفعه الى مقامكما السامي تشريفا لى وله واقرارا بفضلكما على وانى اهـديه اليكما لانكما تمثلان بنا العائلة المصرية الراقية بأجلى مظاهرها واكملها . ولى ملء الثقة ان تغفرا لى ما فيـه من زلة وهفوة لأنى حـديثة العهـد باليراع وذلك ما أعهـده فى كرمكما اذ عودتمانى اياه منذ نعومة اظفارى فتكرما بقبوله لانه ثمرة من ثمار اتعابكما واملى ان يحوز لديكما قبولا مع تقديم وافر شكرى واحترامي . وانى دائما ابنتكما المحبة الخاضعه

اولفيا عويضه عبد الشهيد

الى حضرات القارئات والقراء

اقدم اليكم هذا الكتاب يامواطني الكرام راجية ان يعود على هذه الامة المهيضة الجناح بالخير والفائدة واني لا أدعي فيه زوراً بل كل ماخططته حقائق راهنه رأيتها وسمعتها بنفسي وتوجعت . فحمت تلك المرئيات ولمست شعثها لاجلها الوطن المحبوب والامة المصرية . كما أني لا أنكر أنه قد فاتني أشياء لان العالم مدرسة فسيحة لاتنتهي دروسها الا بانتهاء العمر وعليه فقد دوّنت ما اتصل بي من تلك الدروس والله حسبي ونعم الوكيل

مؤلفة الكتاب

اوليفيا عويضه عبد الشهيد

obeikandl.com

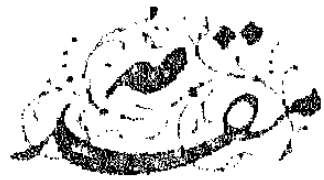

نحمدك اللهم صاحب الآلاء والنعم على ما أسبغت علينا من جود وكرم . ونستصرخك بان تمد الينا يد المساعدة . لان نسير فى أحسن طريق وخير قاعدة

وبعد فها كتاب العائلة المصرية كتبته رغبة فى أصلاح بعض ما يقع في مضمار هذه الحياة من الخطاء وحبا فى رفعة البلاد ولم أكتبه سعيا وراء الشهرة أوحب الظهور فان ذلك كله باطل بل كتبت ما كتبت بعد ان تأملت فتألمت وفكرت فتحسرت على مجد آفل وعز غابر

رأيت الطيور تنشد أناشيدها مدفوعة بقوة الواجب نحو الله وشاهدت الحيوان يؤدى الحمد للخالق . كل هذا قوانى على الكتابة فأخذت مالى من بقايا يراع وما أنا من صاحباته المشهورات أو الكاتبات النحريرات بل صورت بقلمي ماشاهدت آملة ان أجد يد المساعدة من هذا الشعب

المصري لنتعاضد معا على اعلاء شأننا وبلوغ مقصدنا من المدنية الحقة .

ربي الهمنا سداداً في الرأى وبصرنا في ما نكتب عسى أهل السمع يعون وانى لكل من تغاضي عن هفوتى شاكرة وفي الوقت نفسه أقر بما لى من صغر السن انى مازلت قليله الاختبار بكل ماجريات هذه الحياة فلمن تكرم بتصحيح خطائي كل ثناء وبذلك تتقوى الفضائل فى أخلاقنا بالقيام بتهذيبها على أحسن وسيلة هدانا الله الى مسالك قويمه

تمهيد

أقلقني سكون الليل فقمت مبكرة من فراشي بكور الزاجر وزحفت في نور الفجر البهي الى الخيال وسألته ان يذهب بي لمدافن الملوك وآثارهم فلبي طلبي مسرعا وذهبنا قبل ان يبرز ابن ذكاء وأخذنا نسير والسكوت ملق ستاره الى ان اقبلت الغزالة تتهادى كالعروس في حجلتها . وقد صاغت اطاراً نفيساً من الذهب الخالص للحقول الخضراء وما زلنا نمشي وئيداً بين صفين من الاشجار حتى اعترضتنا بوابة الكرنك بعظمتها فوقفت خاشعة الطرف وتنهدت تنهداً عميقاً فقادني الى داخله وهنالك وقفت وسط المكان وتحت لساني الصامت قلب يئن وأحشاء تذوب وكأن سكون الدار وخرابها يبثان في الشكوى

نظرت الى أحد جدرانه وماذا رأيت ؟ هنالك رأيت ملكتنا « هاتاسو » مصورة عليه لمحبتها الفنون الجميلة ولشهرتها بقوة عقلها وجأشها . كانت في سالف الزمن ترتع في بحبوحة

النسيم والراحة وكانى بتمثالها يشير الى ذكرى المجد القديم الذى هيهات ان أراه مجسما الان

حلقت حولى في الاشجار خارجا فرأيت على متونها قطرات من الطل هى « بلا شك دموع الطبيعة التي بكت عند ما بكى ابنها الانسان » وكان النسيم ينشد نشيداً محزنا هو نشيد الجلال المدبر الذى لم ينلنا منه الا ذكراه .

مضى ذلك الزمن واسدلت عليه الأيام ستاراً كبيراً من النسيان ولكنه لم يكن ليخفض ما بقلبى من الألم .بالأمس كانت هذه الملكة سيدة عصرها ونموذج الاقدام وها هى اليوم وقد ضمها الثرى على جوانحه مازالت مدفونة فى أعظم مكان في فؤادى الى هذا الجدار أتذكر تلك الفاضلة وقد وقفت أمامك تحفها جيوشها الظافرة وكانى أسمع صدى ضحكاتها الرنانة فما أنت الا حسنة البارحة وعبرة اليوم

فناجتنى الخيال بالكلام وقد استطال به السكوت فقال « مابالك غائصة فى بحار الحزن وقد علت الكآبة وجهك فى هذا الصباح المنير وأنت وسط هذه الابنية التى تدلك على ما كان لاجدادك الفراعنة من السؤدد » فأجبته بعد المجاهدة

بتهدئة روعي « انى أشعر بحرارة الشبيبة وهي تتخلل عظامي وتملأ عروقي فكتمت دمعة في جفوني تنذرني بالويل والثبور ان لم نناضل في سبيل اعلاء شأننا نحن الفتيات فلا تعجب من حزني لأنه يأخذ مخبأه في ثنايا السرور وينصب عرشه الاسود على بهجة الجمال حينذاك صمت ولم ينبس ببنت شفة بل سار بي الى بحيرة كانت مقدسة وهناك جلسنا برهة من الزمن وسمعت الطيور تغرد فقلت بصوت مرتفع « سقيا لما الكم من الهناء يارسل الصباح وبريد السعادة ولسان الحرية التي تنفحنا بحديثها الشهي بتغريدكم الشجي » ثم نظرت الى البحيرة فشاهدت الاطلال الشامخة منعكسة على مرآتها اللائية فصحت « ان ليت الزمان يعكس صورة الماضي على مرآة الحاضر الان ـ أواه فأن ماءك ليرمز لشقائنا العميق والاوساخ التي به الى هذه الاعوام المنحوسة والفتيات يشبهن الاسماك الصغيرة التي تقذف قيئا الى ساحل الجهل المخوف ومع كل فلا حيلة بايديهن وقد نزع منها السلاح فرحماك ربي رحماك » وأخيراً انتصب الخيال واقفاً وقال هيا بنا نعبر النهر الى جانبه الاخر لأريك مدافن الملوك هناك » فتبعته صامتة

ووقفت ثانية امام بوابة رمسيس الاكبر فتمثل امامي عصره الذهبي قبل دخوله لمعبده الفخيم وهو يعرض امام علماء زمانه الخرائط الارضية التي رسمها والآلات الهندسية بعد ان اخترعها وقد حازت لديهم قبولا

عند ذلك برزت لي صورة الدنيا بأجمعها وكل معناها ومحتوياتها فعلمت انها رواية ضخمة في كل يوم منها صحيفة حوادث مختلفة تمثل على مرسح جماله وكله باطل وقبض الريح . كانت الشمس في عصر رمسيس تشرق بحرارة وذهبها يترقرق كل مساء والبدر ينير ناسجا ثوبا فضيا للكائنات وقد جلس على اريكة السماء وهو يسبح في زورقه المسجدي وحوله النجوم المتألقة كحراس وجنود ، وكانت شموس الورد تبث اريجها في سائر الانحاء وتسرا نفاسها في اذان النسيم ومعاطف البان تترنح فرحا فوق ثقلها اللذيذ . وهي كذلك الآن ولكن جمالا مخصوصا كان يتوجها فيما مضى . لم تتغير الطبيعة ولكن قلب الانسان تغير فقد كان الفتى المصري قديما صاحب اقدام وهمة والفتاة تشاركه في علومه وهما يبثان نور المعارف في الوجود فلما ان هضمت حقوق المرأة خبا الحسن وذهب

الضياء . كان القوم فى ذلك العصر يتهافتون تحت اقدام السيدات المالات فيتلقون عنهن الفلسفة والرياضيات وقد مضى صباح اللاذ الآن ووصلت بنا الايام الى منتصف النهار الحاد جفت الفضيلة ونضبت المساواة بين الرجل والمرأة فغاض ذلك الاشراق والبهاء فعليك منى يامعبد الكرنك ألف تحية وسلام

قلت ذلك ومضيت لضفه النيل فاخذنا قاربا به عبرنا الى جانبه الغربي" حيث ترفرف على شاطئه عهود الايام المنصرمة وترتسم على رماله خطوات الجبابرة الظافرين وتتناثر كرين الحسناء فامتطينا صهوة الخيل وشاهدنا فى طريقنا الأشجار تقبل خدود الغدران وقد تساقطت خواتم الزهر من ملامسة الندى وأخذت الاغصان تعانق بعضها بعضا منحنية جذلا وحبورا بفعل الهواء اللطيف وما زلنا نصعد الهضاب وننحط البطاح الى ان وصلنا الى التلال فقال لى الخيال « هنا تستتر مدافن الملوك والهيا كل وقد هزلها البلاء فاضحت خربات يضحك فيها ألوف على غرور البشر . هنا اقر ضجيج العالم الفرعونى وبات يملأه السكون والصمت وفيهما عبر ناطقة للبشر لو عقلوا

حتى مطيتك لنصل قبل الهجير فلا نعانى حرارة الشمس »
فاطمئنه مشتاقة لرؤية هذه الهيا كل التى وقفنا سريعا امام بوابتها
الفخيمة فترجلنا ونزلنا بسلالم حجرية الى مكان فسيح فاشار
لى الى سقفه فتطلعت بدهشة اذرأيت الابراج السماوية مرسومة
عليه بغاية الاتقان وهنـاك لدقيقه من الزمن امتلأت بالتيه
والافتخار وقلت اننا أول من رسم قديما هذه الابراج وكفانا
فخراً ان علم الهيئة كان مبروفا عنـد قدماء المصريين ولكنى
قلت بتمهل . لماذا لانخترع شيئاً الآن فقال لى « ليس هـذا
فقط بل قد برعت قديما الفتيات فى سائر الفنون واني لاذكرك
بمن تسمى الكسندرين هيبامى ابنه ثيون الرياضي الشهير التى
كانت تعلم فى مدرسة الاسكندرية فى زمن مضى وانصرم »
عندذلك مرت بخاطرى اقوال أحدشعرائنا فتلوتها بصوت عال
بالله يامعبد المجد الذى درست اثاره وعفت مذبدت أربعه
هل الزمان معيد فيك لذتنا أم الليالى التي امضته رجعه

نطقت بذلك ولبست جلباب الاحترام والخشية ودب في
قلبي تيار اللذة ذكرتها فسألت نفسى الى متي نسكت ونحجم
عن الاقدام فى سبيل رقينا تاركين غرورنا وتطفلنا فنحن

يارعون في قدح بعضنا بعضاً وكل منا متصاب الرأى غليظ القلب فليتنا نرى هذه العبر المودعة هنا حتى لاختم تاريخنا المجيد بالعار ونوصمه بالمذلة بعد الجلال والعظمة. ثم ذهبنا من معبد لآخر نتأمل مافيه الى ان انهار جرف النهار ولاحت شمسه فى الاطهار وتردت بملابسها الصفراء راغبة عن البقاء فوقفت وسط المكان وقلت

على رسلك أيها الوقت الطائر باجنحة البرق . مهلا ريثما ينفض المصرى غبار النوم وقشور التراخى عن عينيه . قف مكانك حتى يعلم اغبياؤنا ان املاكهم هباء فى ملك الله وانها سحابة صيف تظهر ثم تزول بل هى كالدخان يرفع نفسه وما هو الا نازل .

اصبر الى ان يعلم الجميع ان عليهم واجبات نحو الوطن والبلاد عليهم ان يخترعوا الاختراعات المفيدة التى تؤول بالنفع الجزيل كما اخترع من سبقنا . قم وانتصب يامثال مجد الفراعنة وجدهم المصور هنا فى المعابد امام اعين المصريات لكي يشاهدن مثال جداتهن المهذبات فيطالبن بحقوقهن المهضومة ليرتفعن الى أعلى السماكين . قف أيها الوقت قبل ان يأتى الزمان الذى فيه

يريق الموت كأسه على هذا المجتمع الانساني . تو ان حتى ترانا في غاية الأبهة . تمهل حتى ازود من اللذة الحاضرة التي فنيت وأرجو ان تعود . فأسرعت وخيالي لمنزلنا وكانت الشمس قد ودعتنا بوقار وهدوء ودبت ظلال المساء واقبلت جيوش الظلام وظهر بعدها الشفق الاحمر فالتفت حولي قائلة أين الشمس! قد ذهبت وتبعها الشفق الارجواني البديع تأييدا لعظمتها وما الانسان الا كالشمس وأعماله تتبعه كالشفق الذي هو آخر صورة ترتسم في المخيلة فتعزى البشرية بظهور الشمس ثانية فاليكم مذكراتي في هذه يامواطني التي قد تتبعتها في مدافن الملوك فصارت جمرة في فؤادي ولم استرح الا بقذفها الى مجتمعنا حتى نعمل مما بموجبها . هذه رسالتي أبعثها الى اعماق القلوب مع كثيرات غيرها في الصحائف القادمة وحبذا لو ادت غيقتي الرسائل .

الفصل الاول

المولود والمولودة وطفوليتهما

لكل بلد عادات خاصة بها يتوارثها الآباء عن الجدود والابناء عن آبائهم فتبقى ملازمة لهم مامرت الايام وكرت الأعوام ومنها ماهو مستحسن ومنها ماهو قبيح ومصر بالطبع لاتتعدى ذلك.

اقبض علي يراعي لاخط شيئاً عن تأثير العادات في رقينا فأراه يكاد يتقطر دماً لأن لنا عادات ذميمة قضت على كثيرين منا وتقضي وسوف تقضي ما دمنا نستمسك بها فتي ولد عندنا غلام (بعكس البنت) انشرحت الصدور وارتفع اريج البخور وصدحت الموسيقى وضربت الطبول أعلانا بقدومه. وليت الامر يقف على ذلك بل انهم يلفونه في « الشالات » الكثيفة والملابس الكثيرة خوفا من البرد والزكام ويقفلون المنافذ والابواب خشية المرض . اما الام فتتوارى عن أعين الغرباء ولا يسمح لها بمقابلة جاراتها المرتديات بالمجوهرات لئلا يقع

بها أذى في المستقبل. ولو قدر ان احدى الزائرات رأت الصبي الصغير يضرمون النيران للتعزيم والصلاة حتى تفر العين الشريرة منه لئلا يموت وقد كنت مرة عند احدى صديقاتي وكانت تحمل ابن شقيقتها الطفل فدخلت بائعة اللبن ورأته معها فخبأته حالا وذهبت به الى أمه واخبرتها ان تأمر الخادمة باحضار البخور والملح والنار الخ وفعلا بعد ذهاب تلك المسكينة رأيتها تمسك درة وتضع فيها قليلا قائلة (هذه عين فلان وتلك عين علان) ثم رمتها في النار مع الملح والمسك فتطاير شذاهما ولم أدر هل أضحك أم ابكي لأني كنت في منتهى الاستغراب لمشاهدتي ذلك للمرة الأولى في حياتي ولكني رأيت ماهو أدهي وأشد هولا فهم يحملون الطفل كتباً وحجباً صلبة ينام بها ليلا ونهاراً حتى يذهب ضحية تلك الشوذات

ولكم خشيت ان تكون تلك الرؤوس الصغيرة التي وضعت في الضريح قبل أوانها نافعة للوطن لو أتيحت لاصحابها الحياة ولكن تلك عادات ورثناها عن جداتنا فلا بد من التمسك بها كأنها شريعة مادى وفارس التي لا تنسخ. ومتى أكمل الطفل سبعة أيام من عمره يقيمون مهرجاناً حافلاً

لاستحمامه فيضعونه فى غربال به قمح وبلح وأنواع النقل ويهزونه بتلك الاشياء كثيراً ثم يلقونه على الأرض وفوق رأسه (هاون) يدقونه جملة دقات وينصحون كل واحدة بنصيحة فيفزع الطفل المسكين ويعتريه الصرع متى كبر مع انهم يزعمون ان ذلك مما يعوده الشجاعة واذ ينتهون يجولون به فى غرف البيت العليا(١) ومتى وصلوا لمكان مشمس فتحوا عينيه فى أشعة الغزالة اللامعة ظناً منهم ان ذلك يقيه من مرض العينين ويقويهما ولست أدرى ماذا تعنى السيدات بتلطيخ أعين الأطفال بالأثمد الاسود (وعلى ما اتصل الى

---

(١) فى بعض نواحى بلاد الانكليز يزعمون ان الجولان بالطفل فى الغرف واصعاده الى السطوح يعنى انه هكذا سيتجول ليكبر فيرتقى على مدارج العظمة فى العالم وهذا ما يدلنا على ان للقوم اعتقادات وآراء سخيفة ولكنى لا أظن انهم يفعلون مثلنا عند انتقاء اسم للمولود فلقد أخبرتنى احدى صديقاتى انهم يوقدون ثلاث شمعات و يعينون اسما لكل منها وأكثرهن بقاء وآخرهن انطفاء تكون أوفق اسم و يعنون بذلك انه كما استمرت الشمعة موقدة طويلا يعمر ذلك كثيرا. سمعت ذلك و لم أصدق سمعى لاول وهلة ولكن صديقتى أكدته لى فسبحان موزع العقول .

أخيرا بماء البصل) وأنى لفى منتهى التعجب كيف لا يصاب أغلب أطفالنا بالرمد (أو بالحرى بالعمى) من تلك المواد المسمة التى يعلم الله وحده بما فيها من التراكيب والامزجة المميتة وارجح ان مرجع انتشار الرمد وأمراض العين فى بلادنا من تلك الاشياء القبيحة ومن المدهشات انه متى ابتلى أحد برمد فى عينيه يمتنعون من غسلهما خيفة الماء ولقد مررت يوماً بابنة لها من العمر سبع سنوات وعينها متورمة ممتلئة بالصديد فسألتها « لماذا تلعبين فى التراب وعينك على هذه الحالة وكيف لا تغسلها والدتك لك » فأجابتنى « لأنها مشغولة بزائراتها الآن فضلا عن ان الماء يضر بعينى كما أخبرتنى سيما وانها لا تقوي على الانتباه لى لان معها شقيقى الصغير » فتألمت من هذا الحادث تألماً يدب وقعه بشدة فى قلبي كلما تذكرته كنت مرة فى اجتماع حافل ووقف بيننا خطيباً أحد علماء الغربيين وقال جملة أثرت فى كثيراً وهى

« يجب ان تعلم الامهات المصريات ان السبيل سيظل مملوءا بالمياه فلا حاجة لهن ان يوفرنها بامتناعهن عن غسل أعين أطفالهن لأني أخشى ان يصبح الجيل الحاضر أعمى

أو أعور بفضل التقتير بمياه النيل » تلك كلمات علاها التقريع المر فهل آن الوقت الذى فيه تقوم الامهات بواجبات العناية التامة بأعين أطفالهن حتى نسد كل أبواب الملامة والمصائب ؟

ولئلا أكون قد شردت عن وصف كل ما يجرى فى ذلك اليوم السابع أقول انهم بعد تلك العمليات يعودون به الى غرفة والدته القذرة حيث يدخل القبر وهو حى معها الى أن يتاح له حمام آخر بما يكون بعد شهرين أو أكثر ومصداقا لذلك ذكرت أمامى احدى السيدات الفتيات مرة ان طفلها البالغ من العمر سنة ونصفا لم يستحم منذ حمامه الأول الذى ناله بعد السبعة أيام من ولادته فتعجبت من ان العناية حفظته لهذا الوقت حتى انى لم أتمالك من أن اقول لها « عجباً انه لم يمت » فأجابتنى « وما يميته » قلت عدم الاستحمام وفى ذلك ضرر عظيم » فقالت « آه من المدارس والفلسفة الجديدة التى تاتينا بها المتعلمات فقد ربت امي اخوتي كلهم على هذه الكيفية ولم يموتوا ألا فاتركى هذه الأمور التى كتبها الاطباء لترويج أحوالهم » ومع أنى برهنت لها بأدلة قاطعة وبراهين قوية على أضرار ذلك الأمر لكنها لم تقنع لأن أمها وجدتها نهجت ذلك

المنهج فسكت .

يبكى طفلنا من ألم يصيبه فتظن الأم انه جائع وتزيده وجعاً بان تطعمه بأغذية ثقيلة وان عاده طبيب ونصح لها بدواء تمتنع عن اعطائه اياه زاعمة ان الاطباء يميتون الناس فيموت طفلنا ضحية هـذا الزعم وهي لا تدرى لموته سبباً ....ليس هـذا فقط بل توجـد عادة أخرى وهى تقبيل الاطفال فى افواههم (وفى هذا من الضرر مالا يخفى على كل عاقلة حكيمة) بل رأيت مراراً كثيرات يمضغن المأكولات لاطفالهن ليسهلن عليهـم بلعها ولا يعلمن انهن انما يقدمن لهم سما زعافاً بتلك الواسطة رباه كم من طفل يموت لجهل والدته وكم من ولد يصاب بالتوآء الساقين وارتخاء الاعصاب بنتيجة اهمالها وقلة درايتها لانها انما تضره عند ماتحاول تعليمه المشى وهو فى الشهر السادس من عمره أو اعطائه المدخنة الصغيرة لتحمله . وكم من ابنة كسرت رجلها أثر سقوطها من السرير والام لاهية بعمل من أعمالها الاخرى وياللهول عندما يبلغ الابن خمس سنوات فانه يتعلم النطق جيداً ولكن واحسرتى لان أغلبه شتائم يتلقنها من أمـه التى لفرط سرورها به ظنت ان الشتم من دلائل

الشجاعة الكبرى، والفصاحة والبلاغة وعند مايبلغ السادسة يترك محفوفا بالخدم فاذا مر به بائع حلوى يغريه على طلب نقود من أمه فتعطيها له بكرم ويشترى منها مبلغا وافراً يأكله بشره ثم يسقط بعد ذلك مريضاً واذا أعطته والدته دواء (وهو بالطبع من أدوية الدجالين المحتالين) وأبى تعطيه مبلغاً وافراً من النقود أو تشترى له علبة كبيرة من الحلوى وتضعها بجانبه على سريره وليته يصر على عناده بعدم أخذها (ومع انى لا أحب ان يخالف الطفل أوامر والديه ولكنى أفضل ذلك عند الاضرار التى تنجم من تلك الادوية التي هى عبارة عن ورقة مكتوبة بحبر أحمر أو ازرق وتنقع بماء يشربه المسكين وبذا يزول عنه المرض) فلنترك الصبي الان الى الفتاة لكى نرى كيف تعامل وبذلك تتم الفائدة .

فحينما تولد فتاتنا تقابل بالبكاء والعويل سيما اذا كان فى العائلة كثيرات من جنسها وتهال عليها الشتائم من كل ناحية فيهملونها ولا يغذونها بالاطعمة ولا يهمهم اذا كانت معرضة للحر او البرد واذا مرضت يتركونها والمرض في عراك عنيف دون ان يعدوا لها يد المساعدة تزحف على الارض لتتعلم المشي وحدها

واذا طلبت نقوداً لشراء شيء فلا يعطونها واذا عملت مالم يستحسنه شقيقها يضربها ذاك وتشتمها تلك فيحدثون فيها سكونا الى الضعة فتنبت آلفة للمذلة متأكدة انها أخس من أخيها رتبة وليس لها من الحقوق ماله ولعمر الحق لماذا تحتقر الابنة بهذا الاحتقار وهي أم الانسان وزوجه وأخته . اننا نصف العالم بلا جدال ولست أقول ذلك للدفاع عن نفسي أو رغبة فى طلب المعالى . كلا بل لان هذا هو الحق الصريح فضلا عن ان الله اعطانى والدين يكرمان الفتاة ويقدسان حقوقها فيسويانها باشقائها . ألا أيها الآباء والامهات فاعلموا انهما والصبي على السواء ولا تحللوا احتقاركم لها بالقول انه اذا مات الوالد ولم يخلف غلاما يموت ذكره ويندثر مجده ولكنكم لو تأملتم فى الامر ملياً تجدون ان الابن يميت ذكر والده اذا شب شريرا مبذرا (وهو أمر كثير الوقوع) والبنت والابن سيان لانهما قرة عين الآباء فى حياتهم وبهجة قلب الام على الدوام ولا ندرى ماذا يفعلان اذا نشأ الولد عقوقا لهما غير باريا فضالهما بخلاف الفتاة الامينة الحافظة عهد المحبة والاكرام لهما

مظالم الوالدين

كم من هموم فى الحياة نلاقى ... وتذيقنا الايام مر مذاق
فلقد سمعت من الغرائب قصة ... ولقد سمرت في سائر الافاق
عن غادة تسبي العقول بحسنها ... مشهورة بسلامة الاذواق
ولزوجها ملك كبير واسع ... وخزينة من اصفر براق
اعطاهما المولى فتي فرحا به ... وضعاه فوق الرأس والاحداق
ويحفه خدم له اذ أمه ... مشغولة بتنافس وسباق
تقضى النهار مع التزين بالحلى ... وبكل ملبوس من الاسواق
يبقى الغلام فلا تراه ساعة ... (فكأنه ثقل على الاعناق)
دعيت الى عرس كبير حافل ... ذهبت اليه كريمة الاخلاق
راحت تودع طفلها قبلا وقد ... اضناه عنها البعد بالاطلاق
تركته يزحف تحت ثقل عنائه ... فى نار غيظ زائد الاحراق
نادى لها قبل المسير تمهلي ... اماه مالى غير أنسك واق
لا تتركيني فى ظلام ههنا ... وكفى زمان قطيعتى وفراقى
قالت له نم عاجلا يامنيتى ... فاليك سوف أعود بالارفاق
ذهبت ومعها الزوج فى الامساء ... ثم اليه عادا فى ضحى الاشراق

ماذا رأت لما اتت وآحسرتى رأت الغلام على شفير فراق
قالت صفاء العيش اضحى منغصا والحزن يسقيني مرير مذاق
لكن عملت الواجبات لاجله وتركت خادمة له بوفاق
لو كنت اعلم انه فى نزعه لبقيت معه دائما بوثاق
والزوج قال مخففا ويلاتها صبرا فهذى قسمة الخلاق
رجعت مياه الصفو بعد الهم اذ قد عللا نفسيهما بنفاق
يا للمظالم فى البرية انها بلغت نهاية غاية الاطواق
ولكم سمعت بغيرها وبغيرها ويضيق عنه السفر ذو الاوراق
فيحول يوما دون فلذة اكبد مال كثير جالب الاخفاق
هم يتركون الطفل ينشأ مهملا بالحق تلك نهاية الاملاق
لو عاش يكبر فى الرذيلة غائصا ويصير حالا اعظم السراق
يا أيها الآباء هيا فاسمعوا انباء بيت طيب الاعراق
لا تهملوا الابناء للخدام بل ربوا لنا بالحق شعبا راقي
فهم ودائع ربكم هي عندكم هيا اشكروه قاسم الارزاق
عنها الحساب الى العلى متقدم (لوقيعة وقطيعة وفراق)
ماذا يكون جواب كل منكم كيف الوقوف امام عرش الباقى
قوموا اتركوا هذى المظالم سادتى فالحزن يأتينا من الاطلاق

﴿ التربية المنزلية ﴾

التربية المنزلية من الامور المفضلة الحرجة ومسؤوليتها كبيرة جداً على الامهات خصوصا. فبها تؤسس الام دعائم أخلاق طفلها المستقبل ولكن يحزنني ان الأم المصرية لا تقدر ذلك حق قدره فتراها من فرط حنانها على ولدها ترغب لو أمكنها أن تزحزح أقطار المسكونة لتزيل عنه هما فتتطرف معه الى حد التدليل «والتدليع» وتتركه يعمل ء الفرح يعمل ويقول ما يهوى من الاعمال الشائنة على حساب جار فى بنك محبتها العمياء وهى تتسامح له بذلك كله معللة نفسها بصغر سنه وكأنها تنسي ان مبادىء الصغر ترسخ فى الذهن مدة العمر وان الطبع يغلب التطبع ولكنها تريح ضميرها بتلك السفاسف الكاذبة التى سوف تبغضها فى أيامها الاتية ولكم تهمل الدموع من عينى عند ما أراها تسلمه للخدم الذين يزيدون قحة وسوء أدب ولا عجب فهم من الطبقة الدنيئة ولكى أصور لحضرات مطالعى كتابي هذا مقدار المصيبة أروى لهم ماشاهدته والى حضراتهم هو :-

خرجت يوما الى سان استفانو فرأيت صبيا جميلا فى السابعة من عمره على ما أظن ومعه خادم متقدم يبلغ عمره ثلاثين سنة وبيده سلة كبيرة وهما بملابس فاخرة وأخذا يتمشيا الى مكان قريب منا وجلسا وما لبثا الا برهة حتى أقبل خادمان ومعهما أربعة صبيان وبنت صغيرة وهم على أحسن هندام وأجمل هيئة تلوح عليهم ظواهر الغنى والابهة والنظافة والترتيب فقام الخادم الاول ورحب بصديقيه وطرب سيده الغلام بمقابلة اولئك الصغار ولما استقر بجميعهم المقام فتح ذلك الخادم سلته وأخرج منها أربع زجاجات من الجمة (البيرة) وكؤوسا وخبزاً وزبدة وكعكا ولوزاً وجوزاً وموزاً الخ وملأ تلك الكاسات وقدم منها لصديقيه ولسيده مع بقية الاطفال فشربوا كلهم كثيراً حتى فرغت أشياؤهم كلها وأثر الشراب وكثرة المأكولات على الصغار جداً حتى جعلوا يطفرون ويلعبون كأنما بهم مسة جنون والخدم الثلاثة بمنظرهم فرحون ثم أخرج علبة تبغه وأخذ يعطيهم منها فتصاعدت رائحته الكريهة حتى تضايقت أنفسنا وتعكر صفاء النسيم ولكنى انتظرت لأرى بقية أمرهم بمزيد الألم وبعد ذلك أخذ

الخدم يغنون كلاماً بذيئا والاولاد يرددونه فوددت ان أقوم واختطفهم من ذلك المقام ولكنني مكثت في مكاني ونيران الأسي تتأجج في قلبي ومراجل الغيرة والاشفاق تغلي في رأسي لانى علمت ان هؤلاء الصبية انما هم أعضاء في جسم ارتقاء مصر ولكن ويلاه انهم يرضعون سموم الرذيلة من اولئك الخبثاء . فيا أيها الوالد الغني والأم التائهة في براري الفخفخة رحما كما بفلذة أكبادكما وبأوتاد الفضيلة في مستقبل حياتهم لمصر . رفقاً ومهلا أيها الاب فاعتن بأولادك وعودهم الأخلاق الطاهرة وأنت أيتها الأم ان كنت تحملين بين جنبيك قلبا خصصته لحب ابنتك فانقذيها من مخالب الشر قبل ان يتغلب عليها ويشوه جمال خلقتها وخلقها وتركى هذه المدنية الفارغة لان مصر تتمني ان تسدل ستاراً ابديا على أمثال هذه الحادثة المؤلمة وتبدأ بعصر تمثل فيه على مرسحها اليومى التربية الفاضلة والاخلاق الشريفة واعلما ان الله يطالبكما بكل أعمالكما فقفا عندهذه النقطة وها انا أرفع اليكما دعوى الحنان والشفقة على أولادكما

عود ـ اذا بدر من الطفل ذنب تعاقبه الأم أما بالقول

انها استعطيه دواء مراً أو تنادى له البعبع فيصرخ الصبي ويتمرغ في التراب وحالما تراه على تلك الحالة تذهب اليه طالبة منه ان يسكت وتقبله مخبرة اياه انها تكتم ذلك الامر عن الطبيب والبعبع واذا اتلف شيئا ثميناً من أواني البيت تقول له « لا تخف فوالدى غنى وهو يجلب عوضا عنه فلا تبك » انه لم يتلف شيئاً خليقا بالذكر فيتمادى فى الاكثار من ذلك عمدا والأم تفرح وتسر به فى هذه الأمور وتظهر محبتها له لا فى ملاحظة نظافة فراشه الذى ينام عليه وثيابه التي يرتديها وقد علمت ان بعضهن يلبسن أولادهن ثيابا قذرة لاطالة حياتهم ومنعا للعين الشريرة فلا لوم ولا تثريب اذا نشأ طفلنا قذرا لان أمه قذرة من قبله. رأيت مرة اذ كنت في احدى المجتمعات والدة ومعها طفلها وبيده قطعة (قصب) أراد ان يمتصها فلم تخبره ان ذلك عيب فى تلك الاماكن بل سمحت له بامتصاصها ولكنه تحير فى أين يضع القشور فاخذتها منه ووضعتها تحت قدميها فحذا حذوها ولم تكتف بذلك بل انها قبل انصرافها تركت تلك القشور فى أرياح المكان الاربع ولست أنكر ان افكارى كلها تحولت الى هذه الحادثة فلم أع

شيئا مما قيل فى هذه الساعة . كذلك نعودهم الاهمال فاذا استعملوا شيئا وتعبوا منه يلقونه فى أى مكان يصادفهم والام لاتريهم ضرر ذلك . واذا جاءهم ضيوف يأتى الطفل ويقبل يد الزائرات أو يهرب من حضرتهن حالا اذا كان متقدما في السن قليلا فيجلس ويصغى لما تقوله الام ويتعرف اشياء كبيرة عليه ولقد رايت صبيا يبلغ من العمر ثمان سنوات يخبر ابن الجيران عن دخل والده وماله وماعليه ويذكر بعضا من أسرار العائلة ومرجع ذلك لوالدته طبعا .

اذا جاء وقت النوم (وهو غير منتظم) سألها ان تقص عليه قصة فتجيبه بسرور ولوانها لاتتعدى الغول والجان ثم تخبره انه رجل البيت وان كل مالابيه سيصير له وبذلك يغيظ شقيقته المسكينة وقلما تتفكر الام أن تحول أفكاره لله وتعلمه الصلاة من أجلهم أولا وبلادهم ثانياً

ثم لا أدرى كيف أقوى على وصف حزنى على شيعة أخرى من الأمهات (وهن كثيرات) من اللاتى يبالغن في التشديد على أولادهن لدرجة تنسيهن العطف والحنان (سيما مع الفتيات) فنشاهد الواحدة منهن تمنع أولادها من اللعب

واللهو واذا فعلوا شيئاً مخالفا لارادتها تمطر عليهم سحائب الزجر والشتائم والاهانات وتنسفهم بديناميت السباب وبارود الدعوات المرة وتتفنن حتى تستدعي أبالسة الجحيم وجان الارض وجنود السماء للتنكيل بفلذة كبدها ولا تدرى انها بذلك تربى فيهم روح كراهتها والنفور منها فيزدرون بكل كلمة من كلامها ولا لوم عليهم لانها تربيهم على الجفاء اذ تخلي من طفوليتهم كل محبة واعتناء مع انه يجب على الام العاقلة المهذبة ان تقوم بخدمة طفلها فتلاحظه في كل حركة من حركاته وسكنة من سكناته فتبعد عنه سائر البوائق والغوائل ممثلة امامه بتصرفها حنو الملائك ولطف النسيم وجمال الزهرة ولمعان السماء وعذوبة الماء فتعزيه اذا تألم بحنوها وعذوبة ألفاظها وان أذنب تقاصصه بحكمة واذا بكى تنصح له بالعدول عن بكائه برقتها وتزيل عنه دموعه بشمس ألطافها وتنحى عليه بهدوء كما تفعل الزهرة على مجرى المياه الصافي لتلثمه فتنعشه لا بالمواعيد والمماطلة أو بالابالسة فيعتقد بعد ذلك بشدة احتياجه اليها ويجل قدرها ويعرف حكمتها في مقاصته على ذنبه ويسلك مسلكا شريفا به يبنى صروح المجد والامانى للهيئة الاجتماعية فحذار

أيتها الوالدات من أن تتأخرن عن تربية الاطفال على مبادىء قويمة وتأكدن انه كلما احسن ذلك تجنين ثمرة مجاهداتكن.

حياك الله أيتها الام الاوربية فما احلاك عند ما تعلمين ولدك أن يطلب بركة العلي عليكم وعلى الوطن وما أحسنك عند ما تقبلينه كل مساء قبل أن يغمض جفنيه وبعد أن يذهب الى كل افراد العائلة ويودعهم قبل نومه وما أحكمك عندما تقاضينه بحرمانه من تلك القبلات العزيزة وبالاغضاء عن ملاطفته. بمثل هذا تعلمين طفلك ان رضاك أعظم نعمة وتربين فيه الضمير الحي والاقرار بشكرانك ومعروفك فاليك أيتها الأم المصرية اطلب أن تستعملي حزماً فى مقاصة أولادك لا بالتدليل ولا بالتشديد واعلمي ان الضرب وحده لا يكفي بل تذكري ما قاله المصلح الشهير لوثيرس «يجب على الام ان تضع التفاحة بعد القضيب وبعد تعريف الطفل عن مساوئه وان لم يعدل عنها يقاصص» ولكن لننظر الى فتيات اليوم وأمهات الغد وهن بيت القصيد فنرى ان الام لا تعودهن الرفق بها ومساعدتها فى أمر من أمورها بينما نجد الأم الغربية تعلم ابنتها القيام بأعمال بيتها صغيرة ولقد رأيت احداهن تلزم

ابنتها (البالغة من العمر أربع سنوات) بمسح الابواب والمنافذ الصغيرة وتمدحها على ذلك وتكافئهما بقطعة حلوي أخيراً فهل تفعلين ذلك أيتها الوالدة المصريه ! ولماذا عند ماتذنب فتاتك تخيفينها بوالدها وتضعين حاجزاً بينهما فتعامله كغريب وتحسبين ذلك من دواعى الاحترام أو من المدرسة التى تنشأ على كراهتها كثيراً ولماذا تترفعين عن مساعدتها فى تفصيل فستان لعروستها وترتيب اوقاتها وتنظيمها :

التربية المدرسية

حالما تبلغ الفتاة السادسة من عمرها ترسل الى المدرسة التي ترتسم في مخيلتها بهيئة عدو الدود هذا بفضل تخويف والدتها لها عند ما كانت طفلة وهناك في ذلك السجن — تتعلم الدروس الكثيرة التي تتعب عقلها الصغير وتشحنه بالأمور الكبيرة عليها ويحزنني ان لا تجتهد المعلمات في تثقيف عقول تلميذاتهن عملياً وتعويدهن المبادئ القويمة ومضار الشتم والحلف ولكن من أين لنا ذلك وبعضهن يستعملنها بنفسهن علي انى وان كنت اقر بوجود بعض الفاضلات المهذبات اللواتي يعلمن البنات الاخلاق الكريمة مع النظافة ويجتهدن في هذا الامر الاخير ولكنهن بواسطة الاوامر البينة يرين مابني لتلميذاتهن من الفضيلة يهدم يوميا لان الامهات يترفعن عن ان يغسلن لهن شعورهن مثلا وتنظيفها واذا كن غنيات يلبسنهن كل فاخر مزركش وثمين ملون واذا نبهتها المعلمة الى استعمال البساطة في الملبس تجيبها الام قائلة (اننا لا نريدك ان تعلمي ابنتنا لتصير

راهبة بل دعيها تلبس ماتشاء لاننا اغنياء) فتخضع المعلمة مع التلميذة لهذا السلطان ولو كان يحق لي ان اضع قوانين للمدارس كنت أجعل أولها تحديد لباس مخصوص لكل التلميذات على السواء كذلك مما يضاعف أسفي أن توجد في بعض المدارس الداخلية درجات متفاوتة في المأكل والنوم وبذلك تتربى في الفقيرات روح الانكسار كما انها في الوقت نفسه تزيد الغنيات تجبرا وترفعا وعليه نرى الغنية تبذل قصارى جهدها في المفاخرة بملبوسها فلا تكون صالحة الا للتزين والتحلي مقلدة الغربيات تقليداً اعمى وتفوقهن فيه بدرجات متفاوتة كما انها تفتخر على والدتها وتحتقرها ظانة ان علمها يخول لها ذلك مع زعم ان اتقانها للانكليزية والافرنسية يغنيانها عن اتقان لغتها المحبوبة ولطالما افتخرت بذلك كثيرات واني أعرف من لا تستطيع ان تتكلم جملة واحدة صحيحة باللغة العربية ويسوءني ان بعضهن قد تمادين في تقليد الغربيات حتى انهن صرفن الوقت في تعلم الرقص والموسيقى بأنواعها مثلهن وقد يغيظني تعلم أنغام البيانو الافرنجية في المدرسة لانها لا تتعدى قطع رقص (البولكا والفالتز) وحبذا لو قمنا لنبتدع أنغاماً عربية تلائم ذوقنا

الشرقي وتخفف عن المتعوب وتريحه من همومه عوضا عن تلك التي لا تفيدنا شيئاً لعدم حاجتنا الى المراقص الغربية الذميمة

ان طريق تعليم البنات ببلادنا مازالت عقيمة جدا وكيف نرجو ان تتربى فينا روح حب الوطن والاجتهاد في اعلائه ومعلماتنا من الغربيات (وبالطبع يميل كل واحد الى موطنه الاصلي وأنى أذكر في عهد طفولتي ظني ان بلادنا خلت من الانهر والجزائر لأنى كنت أسمع أسماء تلك في بلاد أخرى) وكيف ننتظر ان نرتب بيوتنا على نظام شرقي حسن ونحن نتلقنه عن أجنبيات . أو اذا كنا مثريات نسلم قياد ذلك لهن وكيف نتعود ان لا نستنكف من ترتيب بيوتنا بأيدينا وأغلب المعلمات يتعبدن للمثريات ويمدحن غناهن ووفرة خدمهن ؟ ومما يزيد الطينة بلة ان قام بعضهم وقال يكفي للبنات ان يتعلمن الاشياء البسيطة كبعض دروس الاشياء ومبادىء الجغرافيه والنحو والقواعد الحسابية الاربع على أنى كنت أود لو قامت كل المدارس بتعليم البنات جميع مايتعلمه الصبيان ويزيدون بان يعلموهن فن التدبير المنزلى والاسعافات الطبية وفن التمريض ولست أجد من مانع لتعليم التصوير الفوتغرافي والزيتي

والتشخيص والكيمياء والنبات والفلك والمنطق لان هذه الامور وان سلمنا على رأى بعضهم بانها لا تفيد فهى لا تضر حتى من « باب العلم بالشيء ولا الجهل به » وليته يقرب الزمن الذى فيه أرى مدارس خاصة لتعليم البنات الاقتصاد مع التدبير المنزلى لشدة حاجتنا لذلك سيما اننا نرى الواحدة من المتخرجات من المدرسة لاتعرف كيف تفصل لنفسها ملبوسا أو تطبخ طعاماً وكم أتمنى ان أرى الفتيات المصريات مترفعات عن الرذيلة مجانبات للعادات الذميمة حنونات على والداتهن ناصحات لهن مثابرات على أعمالهن بالثبات والحزم فنبلغ شأواً بعيداً من الرقى الصحيح وسأترك الفتاة قليلا الآن بالمدرسة لاتكلم عن غلام اليوم الذي سيكون رجل المستقبل .

فالصبي منهم يدخل المدرسة وهناك يصادف من قسوة بعض الاساتذة شيئاً كثيراً لان أغلبهم يظن ان ذلك مجلبة لتوقيرهم ولكن ساء ظنهم

(واني سأكتب لحضرات الاستاتذه فيما يلى كلمة عساها تصادف قبولا وموقعاً) وحالما يتقن ولدنا القراءة طلب من

أمه المبالغ الفاحشة فتعطيها له قائلة (خليه يتدلع فى عز والده) ولا تعلم انه ربما ابتاع بها كتباً ساقطه تنفث سمومها على صفحات عقله الصغير وتزداد يوميا من تلك المادة . يذهب الولد منهم الى حيث شاء مع رفاقه ومن يعلم ما انطوت عليه طباعهم ولو فرضنا ان أمه سألته عما يفعل يجيبها بالكذب والغلظة اذا تكرم بذلك والفضل أحيانا يرجع لها لانه عند ماكان صغيراً اقترفت أمامه جريمة الكذب كثيراً . كل هذا ينمو فيه مما يتلقنه عن أمه فى البيت ورفاقه فى المدرسة ويزداد عليها أثرة لانها ان لم تجبه الى مايريد يقوم صارخا باكيا أو يضربها براحته ولا عجب فقد تعود ذلك من حداثته ولا يقتصر أمره على ما ذكر بل لو ضربه ابن الجيران مثلا قام منتقما منه وهى تمدح شجاعته وشر من ذلك انها لا تعوده الرفق بها وبمن حوله فلا يتعلم الا كل نقيصة .

أما اذا كان من الطبقة الغنية الراقية وكان الوالد من مدمنى الخمر (وفى الطفل عادة حب التقليد) يسألها ابنها ان تعطيه رشفة ليتشبه بوالده فتجيبه الى ذلك وعند ما ينشأ شريراً تندب سوء حظها وتلوم الزمن والطبيعة اللذين وهباها

طفلا شقياً ولا تفقه « انها جنت على ولدها ولم يجن عليه أحد سواها » ونخالها تنسى الفرح الذى انتابها عند مارأته يمسك الكأس بيده ويقلد السكاري ومدحها له وكم من مرة ذهب الطفل لأبيه ليسأله « أن يولم له السيجارة » وبدايتعود التدخين من نعومة أظفاره

وتعميما للفائدة سآتى ببعض المواعظ التى يجب ان يتلقن مثلها البنات والاولاد من صغرهم بعد ان أبر بوعدى لفريق الاساتذة الذين يعتقدون بوجوب القسوة على الاولاد وسيجدون ذلك فى الصحيفة التالية

الاستاذ

العلم من ألذ مطالب الحياة للمجتهدين الذين يزدادون ولهاً به متى كان الاستاذ لطيفاً حنوناً مطرباً ايام بدرر الفاظه وحسن شرحه ولما كان المتعلم فى أول عهده قاصر الفهم ميالا بفطرته للحركة واللعب والاهمال تأثر المعلم من ذلك تأثيراً يذهب بصبره ويحمله على معاملة تلاميذه بالقسوة والضرب وهو أمر يعيبه كثيراً كما وانه يحول دون ترقية طلبته الى ضالته المنشودة من اصعادهم على مراقى الادب والعلم وبذلك تنسج بينه وبين طلبته ستائر الخوف والبغضاء والهيبه والوحشة حتى انهم يكرهون ساعة اجتماعهم به راغبين الافلات من بين يديه كما يفعل الفار من وجه الهر . مثل هذا الاستاذ جدير بأن يعرف بصغر النفس وضيق الخلق وسفالة المبدأ أما المعلم الواسع الخلق الذى يتغلب على هذه المؤثرات فهو الكبير النفس الكريم الاصل . والمقتحم للصعاب بصدر رحيب وثغر باسم والذى يعلم تلاميذه الحنو والاخلاق العالية بطول أناته لا بالكراهة والنفور ويبغي بحلمه فوز الفضيلة على

الرذيلة وتصفية الحياة من شوائب اللؤم وذلك بحسن رأيه وجزمه بطبيعة الانسان القابلة للاصلاح تدريجياً لنمو الشر والزلل فيها فى عهد الطفولة متذكراً حالته وهو حدث فيعلم كيف تلتصق هذه المساوىء وتتمكن بالاطفال فيطيح عنه حينذاك حنقه واحتدامه. وبما ان الاستاذ هو مرآة التلميذ وقائده وجب عليه ان يكون نموذجا لمكارم الاخلاق ومحامد العادات لا ان يظن ان اللين والدماثة مجلبة لاستخفاف الطلبة به وان الشدة تؤول لاحترامهم له وحبذا لو علم انهم يحترمونه متي رأوا الابتسامة تعلو محياه وان الغلظة والصياح فى وجوههم ليست من أخلاق الكرام بل من طبائع سكان الاجام. والرقة دائما أمضي نفوذاً في قلوب الناشئة الحديثة من العنف الذى يحفر هوة عظيمة بينه وطلبته وكما ان الوالد يحب أولاده هكذا فليعتبر الاساتذة انهم آباء لهم فيغذونهم بكل حميدة ونصيحة مفيدة

ولكى أتم وعدى لطلاب العلم ولمساعدة حضرات المهذبين ابتدىء بمواعظى للصغار فى الصحائف المقبلة

أكرام الوالدين

أيتها الصغيرات وأيها الصغار

يسرني أن أفسح لكم في كتابي هذا فصلا خصيصاً بكم فاليكم أحاديثي الاجتماعية التهذيبية التي أصوغها لكم في قالب روائي عساها تأتيكم بفائدة محسوسة ونتيجة باهرة ملموسة ألا فارعوني أسماعكم الصغيرة وها أول حديثي : -

خرجت مع صديقة لي لنصرف يوماً في «أبي قير» وكانت المناظر الطبيعية في غاية الحسن والبحر الهائج رابض كاسد تعب من مطاردة فريسته واذ كنا في القطار أخذنا نتكلم عن مسألة التربية والتعليم بمصر » فقلت « يحزنني انها للآن ناقصة وأنسب كل تأخرنا لذلك كما وان المتعلمات والمتعلمين هنا يقفون أحجار عثرة في طريق الآخرين لسوء فهمهم العلوم ومقدارها » فقالت صديقتي سامي صدقت أيتها العزيزة واني لاقص عليك الحادثة الآتية فترين منها الاساءة الواضحة للعلم فاني كنت يوما مع اثنتي عشرة من صديقاتي وكانت بيننا فتاة تربت بالمدرسة ومع انها من وسط غير متمدن ولكنها تعلمت

من المعاشرة والمدرسة بعض قشوره فظنت ان الارتداء بالملابس الفاخرة والحلي الثمينة يكسبانها رفعة فى عين المدنية فكلفت والديها المبالغ الطائلة فى ذلك السبيل وهما يجيبانها بكل سرور ولكنها مع كل ذلك تزدرى بهما لكون ملابسهما من الطراز القديم

واذ كنت معهن في ذلك اليوم مر بنا والدها فسألتها واحدة « هل تعرفين هذا الشخص يافلانة فقالت لا لست أعرفه تماما ولكني أظن انه أحد خدامنا » فنظرت اليها أخرى وقد اتصفت بحرية الفكر وخاطبتها قائلة « ألا تخجلين من نطقك بالكذب أيتها الناكرة الجميل والفاقدة الشعور : أتنكرين انه والدك ، وهل يعكر مزاجك مروره علينا بهذه الملابس التي يرتديها ليوفر لك المبالغ الطائلة لتصرفيها على هذه الملابس التي تستعملينها سيفاً حاداً ضده : قبحاً لك فليت لسانك شل أيتها الفتاة قبل أن تنطقي بمثل هذا الكلام وليت المدارس أقفلت أبوابها يوم دخولك فيها ألا بئس التربية والتعليم اذا كانا يعلمانك انكار نفس فخرك وحياتك . أيتها الفتاة ستصيرين عثرة بكبريائك وتجعلين الكل يكرهون العلم بواسطتك مع

نه كان يجب علينا أيتها الجاهلة المتغطرسة ان نزيل الصعاب بأشد ما يمكننا فى الوقت الحاضر ونعيش بالكمال حتى يرى الوالدون الفرق البين بين العلم والجهل . وا أسفى فلقد قضيت على المدنية والتهذيب قضاء مبرما» فنظرنا اليها بعد ذلك شزرا وابتعدنا عنها كما لو كانت مصابة بداء معد وتركناها تتخبط فى عشواء الخزي والخجل و ـ

فاجبتها هذه حادثة من ألف غيرها فقد سمعت «وقانا الله» ان بعض المتعلمين يضربون ويشتمون أهاليهم متى جهلوا اللغه الانكليزية مثلا كما وانهم اذا كانوا يشغلون مراكز سامية ينكرون والديهم أشد انكار وليتهم يحذون حذو كبار رجال العالم ويفعلون ما فعله غرانفيلد الذى قبل يد أمه يوم عين رئيسا للولايات الاميركية المتحدة وقال « لولا هذه اليد ما كنت وصلت لهذه الدرجة وكذلك نابليون وغيرهما ممن ارتفعت منزلتهم بواسطة احترامهم لوالديهم الفقراء ولقد كان اسحق نيوتن يفاخر دائما بكون والده جزارا وبائع لحوم » فاجابتنى صديقتى

« ليتهم ينهجون هذا المسلك الشريف فكم تقاسى الأم من التعاب فى سبيل تربيتهم وتمريضهم والاب فى جلب لوازمهم

ليت شعرى اى الالقاب الفخيمة تكفي لان نقرنها باسمائكم أيها الآباء والامهات فاننا مهما تعبنا واشتغلنا لنكافئكم على اتعابكم فلا نقوى على ذلك وانى أعلم انكم انما تريدون منا شيئاً واحداً وهو محبتنا وطاعتنا لكم وبالحقيقة تعتبرونه خير مكافئة منا لشخصكم المحبوب » فقلت لها بعد ما نزلنا الى « أبى قير » حيث جلسنا لنكمل حديثنا « انك محقة فيما قلت وليتنا فقط نقر بمعروف الوالدين كما نوهت ولكنا فى غالب الاحيان مثل الابنتين فى قصة الملك لير (*Lear*) التى كتبها الشاعر الانكليزى شاكسبير وانت تعلمين كيف كسرتا قلب والدهما أخيرا مع انهما تملقتاه اولا لاجل نوال الارث » فقالت « نعم اذكر ذلك جيدا ولكنى الوم والدهما قليلا لانه اصغى لاقوالهما فاعطاهما مقتنياته قبل وفاته » فاجبتها « انما هو والد محب حنون فلم يكن ينتظر مثل هذا الجزاء منهما ولو كان رباهما على مبادىء قويمة من صغرهما لجنى ثمرة اتعابه كما فى ابنته الصغرى التى كرست بعض أوقاتها لخدمته فضلا عن بغضه لها وبعدها عنه في فرنسا بيد أنها حالما رأته فى أشد الافتقار اليها اسرعت بجنودها لتؤاسيه » (قلت

ذلك وكان البرد قد اشتد فقمنا نقصد منازلنا) ولكني أنصح لكم أيها الصغار ان تحترسوا من أغاظه والديكم بشيء ما « لان العين التي تحتقرهما تفقأها غربان الوادى وتأكلها فراخ النسر » كما « وان من يغضب والديه فقد أغضب الله ومن أغضب الله كانت جهنم خير مثوى له » فحذار ايتها البنات وأيها الأبناء ان تستجلبوا لانفسكم الهوان والمصائب بتعكير مزاج من يضمان بين جوانحهما قلبا كرساه لكم فكم من صعاب تذللها الأم من أجل راحة وصحة اولادها وكم من ألم تعانى لأجلهم وهذا الوالد يطرح نفسه فى المخاطر ويوهن قواه لأجلهم . فويل لمن استخف بالطافهما وعقهما لان لهما علينا حق الاحترام والاجلال بعد الخالق الكريم فلنظهر اليهما محبتنا بصادق البرهان ونحقق مودتنا من قبح الحشا فلله درك من فتاة صالحة اذا دأبت على الاعتناء بهما وما اشفقك وانت حزينة لالامها . وما اكبر قلبك أيها الولد متى صرفت أثمن وقتك الدعاء لاجلهما والقيام باودهما متى بلغا سن الكبر صارخا لله لراحتهما حتى تحقق امالهما فى فلذة كبدهما فيفرحان بما صرفا من تعب ومال لأجل تربية أولادهما .

مظالم الابناء

ابناء أوطانتا هيا اسمعوا خبرا به تطيب لنا فى عصرنا النعم
روى حديثا شكسبير الحكيم لنا وهو العظيم بل العلامة العلم

قد كان فى عصر أيام قد انصرمت
ملك قدير وقد دانت له الأمم

بالحزم ساس بلاد الانجليز هدى طول الحياة الى ان جاءه الهرم
فقال فى نفسه اني كبرت وها قبل الممات أريد الملك ينتظم
عندى بنات ثلاث كالهن أرى بعقلهن سترقى للعلا الهمم
كل ستبدى بالفاظ سأسمعها مقدار حب الينا وهى تبتسم
جزيل يا زوجة الالبان هل خبر عن الوداد ففوق القلب يرتسم
قالت له برياء انني ملكى حقا أحبك حتى تنفد الكلم
فأنت عندى أعز الناس قاطبة ان الحياة سواكم كلها نقم
أجابها بفؤاد ملؤه طرب هذا جواب لطيف كله شمم
انى سأعطيك ثلث الملك مكرمة حقا ومجدك فى الاكوان ينتظم

ريحان بالحق قومي للنداء بنا في القلب نحوي عساه اليوم يلتئم
مثل الشقيقة قالت بعدان شرحت وجداننا كل شيء بعدكم عدم
يزيد حبي عن الأوصاف حيث غدت
يضيق عن حصره القرطاس والقلم
أني وهبتك حقا ثلث مملكتي فضلا وليت الذي يجفوك يحتلم
وزوجك الدوق كورنيل العظيم انا
أرجو الهناء له ما رفرف العلم
كورديل ماذا تقولين الجواب اذن
فلي فؤاد بمحض الحب يضطرم
مولاي يقضي علينا الواجب الأبوى
ألا اجيب فأنت الوالد الحكم
قالت له وصريح العدل يخبرها ان الرياء قريبا سوف تنهزم
فلا اداهنه بالحق انك لا ترضي كلاما له لا تقبل الذمم
قد راعه قولها والغيظ أحرقه وقال ويلك قد زلت بك القدم
فلست معطي ميراثي لمن شمخت
« وكل طالب عجب فاته نعم »

اني ساقسم هذا الثلث بينكما وتلك اتركها للهم تقتحم
وزيره جاءه اذ قال ينصحه مولاى لا تفعل الامر الذى يصم
وكيف تخضع للتمليق ممتثلا وفى البساطة كل الحب ينتظم
فازداد غيظا شديداً بالجهالة اذ عن نصحه قد عراه البكم والصمم
وقال وهو بنار الحنق ملتهبا فى حضرتى أن اتيت الآن انتقم
قام الوزير اليه قائلا ملكي أنى سامضى اذا ارضاك ذا الالم
أرى وجودى هنا بعد القطيعة لا
معنى له بل وليس الجاه يحترم
مضى لتوديع كورديل وقد علمت
بحسن حظ الذى بالله يعتصم
لا تجزعى منيتي فالله ينقذنا وركن صدقك قط ليس ينهزم
مع السلامة يابنت المليك أجل انى سأعطيك ذكرا ليس ينصرم
وبعد ما رحلت قد جاء يطلبها ملك الفرنسيس من دانت له الامم
قامت تودع أختيها وقد طلبت ان يرفقا بالذى قد شانه الهرم
جاءت لوالدها والحزن انهكها وودعته ودمع العين ينسجم
ملك الفرنسيس فى ايامها حكمت وكل أمرها فى عينهم أمم
هيا لنعلم ماتم للبر اذن مع ابنتيه ونار الحزن تضطرم

أني ساذهب شهراً عند ابنتنا ال
كبري عساه يطيب السعد والنعم
رأى الفتاة توارى وجهها غضبا
وكل سخط عليه بات يحتدم
حتى العبيد نأوا عن أمر طاعته
لما رأوها وفى احشائها السقم
اذا دعاها اليها اظهرت مرضا
وكل حق له بالصد تهتضم
عنها تغاضى ولم يسمع كوارثها
كأنه عن رضاها مسه الصمم
قالت له ذات يوم ها أرى عجبا
جمعا غفيرا اراه معك يلتحم
تبقى لنا مئة منه اليك وها كل غدا لك بالاموال يحتكم
فسوف يخرب بيتي عاجلا أبدا كذا وتأتى علينا حالا النقم
اضحى حزيناوقد ابلته فعلتها لكن ادركه من قولها الندم
غدا يعزيه دوماً خادم حسن
شريف أصل كريم زانه الشمم

قال المليك له هيا ابنا عجلا لنأت ريحان كي ماينقضى الالم
مضى الى بنته الكبرى وقال لها أين الوفاء وأين الوعد والقسم
الله يجزيك شرا داءما أبدا ومن فعالك كاد الملك ينهدم
راح الرسول اليها كي يبشرها بما حباه اليها الوالد الهرم
أتى ابوها ومعه الصحب تتبعه كذلك الجيش والاتباع والخدم
ريحان قد ردت أباها وهي قائلة دعني فأني عراني البؤس والسقم
بكى المليك ودمع العين منهمل كأنه مطر او انه الديم
أبى وقال دعوها تأتني عجلا فكل عيب نراه عندها تهم

جاءته مع أختها الكبرى تقول له

بيتي يضيق بهذا الجيش ياهرم
لاطاقة لى عليكم ههنا أبدا فانتم جيش لهو ليس يحتشم

هيا اطردوه من القصر الفخيم اذا

فما لمالى اريد الآن اخترم
أجابها لاعنا والقلب منكسر لحاك ربك دوما أيها الصنم
ياقوم فى هذه الظلماء هيا بنا اذ عقنى النسل حتى فى تحكم
عنه الجميع تولوا غير اصدقهم وهو الوزير الذى يحى به الذمم
هناك فى وسط الأجام قال اذاً هنا يطيب مماتى وهو يبتسم

هاقد صحبت وحوشافى الفلا أسفا ٭ حتى نعجب مما فى الفؤاد كم

أصيب بالجن من حزن ومن نكد

والهم لازمه والحزن والسأم

راح الوزير الى كوردبل يخبرها بأمره ومن العينين فاض دم

مالت الى زوجها المحبوب صارخة

ياليت ما كان هذا البعد والنقم

دعنى ألي والدي اعدو لانفذه وقلبه من توالى ماجرى حزم

كذا اعطيني من بحار الجود ياسندى

جيشا عظيما من الاختين ينتقم

انالها ما اشتهته ثم ودعها وللبلاد أتت والقلب يضطرم

على أبيها الجنود فى الفلا عثروا وفى الحشا غم ما بعدها غمم

قال الطبيب لها لاتنظريه هنا بل فاصبرى لحظه كى نبعد الألم

شفى سريعا وجاءت للقاء به

والقلب من فرطه اهوال الاسى وجم

قالت له ثق بهذا الودنا أملي أنى لذاتك يامولاى احترم

لاخت ها دست الكبرى السموم وذاك

شان كل الذى بالغش يصطدم

قام لها زوجها في الحال اخبرها ان البقاء بما تأتيه يثلم
يا أخت ابليس هيا للسجون فها بالغيظ قلبي عليك الآن يحتدم
زجت بها ومن الاعماق قد صرخت
نفسي ساقتلها والعمر يهزم
من نفسها انتقمت بالقتل قائلة «اين السلاطين والابطال اين هم
« فالمرء ان عاش في الدنيا بلا امل
فكل عام مضى من عمره عدم »

* * *

صب الاله بذا من عرشه غضبا كأس القضاء عليها وهو ينتقم
قام خسيس على كورديل يطرحها في السجن ماتت وللالام تقتسم
اضحى الوزير يعزى لير والدها
وهو الوفي كريم الفعل محتشم
قدمات لير أخيرا بعد تعسته وحظه لم يخل من ذكراه قط فم
ياويل بنتيه يوم الدين ويلهما وللوزير عقود المدح تنتظم
لاتجعلن ايارب هنا احدا في سلك أولئك الاشرار يلتئم
هذى اليكم اياخواننا عبر فلتعبرها وللآباء نحترم
ان السعيد الذي للام يكرمها بالخير في طاعة الرحمن يختتم

اكرام العجزة

كنت أطالع ذات يوم في غرفتي وفيما أنا كذلك سمعت قرعا على الباب ففتحته واذا بخادمة صديقتي واقفة وبيدها رسالة لي منها فيها تدعوني لمناولة الشاي عندهم مع لفيف من صديقاتها في اليوم المقبل فلبيت الدعوة شاكرة وذهبت في الميعاد المعين ولاقتني والدتها ببشاشتها المعهودة وقصت على أمراً أجزته ابنتها سلمي قالت :-

ذهبت سلمي في أحد الايام مع والدها الى سباق كرة قدم بين مدرستين واذ كانت جالسة رأت عجوز اشمطاء تحاول اختراق الصفوف لترى ذلك المشهد ولكنها كادت تسقط من ملاكمة هذا لها ودفع ذاك واذ رأتها على تلك الحالة وقفت عن كرسيها وأجلستها فيه بعد أن سألتها ان كان لحقها أذى من أولئك الاشرار فأخبرتها العجوز انها حاصلة على تمام الراحة بعد ان شكرتها كثيراً وفيما كانت سلمى واقفة تلاطفها جاءها رسول من قبل مدير الاحتفال يدعوها اليه فاستأذنت والدها

وذهبت فقال لها حالما رآها « ماذا يليق بى أن أفعل بمن تكرم العجزة وتحرم نفسها من الراحة والجلوس وتبيت عرضة للمزاحمة . لست أجد أيها الملاك اللطيف وحقك جزاء الاباء أجلسك فى صدر المكان بجانب بنياتى وقرينتى » فشكرته ثم أنه أرسل لوالدها يخبره بذلك ويستأذنه لها بناء على طلبها (فاجابه شاكراً ممتناً وقلبه يطفح سروراً) ولما انفض المحفل اجتمع حوله جمع كبير ليهنئه بالتى كانت موضوع اعجابهم فعضدها والدها فيما فعلت وأمرها أن تمد مساعدتها لكل المحتاجين اليها مهما كانت الظروف وأوصاها أن تكرم المسنين لان الله يأمرنا « بالانحناء أمام الاشيب والقيام قدام الشيخ » وان توقر والديها وتحن على من هم دونها سناورتبة ويظهر انها وعت تلك النصائح اذلم تقتصر على ذلك فقد علمت بشئ آخر اليوم ففيما كنت أعد بعض لوازمى جاءتنى الخادمة ببطاقة زيارة من سيد صاحب هيبة ووقار وقالت انه يرغب مقابلتى لامر خطير اذا تكرمت فسمحت له بذلك فلبيت طلبه ودخل ولبث واقفاً وافتتح كلامه بالقول انه جاء ليقدم الشكر ويعترف بدينه الكبير للماداموازل سلمي كريمتنا لانها كانت السبب

في عودته للحياة الادبية مرة أخرى لتعليمها اياه درساً مفيداً فانه كان ملقى على الارض في يوم الاربعاء (وهو نفس يوم ملعب الكرة الذى حضرته كما ذكرت) وهو في حالة يرثى لها من الشقاوة والتريح بالسكر فتح عينيه ووجد رقعة صغيرة في جيبه وعليها هذه الكلمات : ـ

أيها السكير المجهول يحزنني أن أراك في هذه الحالة واعلم انه لولا مروري الآن كانت داستك العربات وأصبحت في عداد الموتى ولكن مراحم الله دبرت لك من ينقلك الى هذه الزاوية النظيفة وحينما ورأيت الخطر المحيط بك لتتعلم درساً مهماً من شناعتها فتجنب هذه العادة القبيحة وتعود الى رشدك وتكون عاملاً مهماً في الهيئة الاجتماعية لترقي أمثالك وأخشي أن تكون ابا لاطفال مساكين ينتظرون مجيئك بالخوف والوجل وابناً لام تندب سوء حظها بك . فبحق المحبة الابوية والبنوية عد الى رشدك وابعد عن هذه المآثم واقبل نصيحة فتاة صغيرة فتفرح بك الملائكة في السماء ويرحب بشخصك المجتمع الانساني الذى ينبذك وامثالك والسلام » وقد قرأت هذه النميقة فسألت عبراتي وجثوت مصلياً طالبا الغفران وعدت

الى البيت وانتبهت لمصلحتي فتبدل بؤسنا وفقرنا بالفرح والهناء ولم استرح الا لما اهتديت الى مقر هذا الملاك المنقذ لاقدم لجنابك ولها شكري العظيم نيابة عن كل أفراد عائلتي واذ عرفت منزلكم فهل تسمحين لابنتي ان تأتي وتزوركم لتتقتبس من صناعتكم الجميدة شيئاً وبذلك تزيدونها لكم دينا ومنة » فاخبرته اننا نرحب بابنته وانصرف وقلبي مملوء بالشكر والفرح بما فعلته ابنتي العزيزه

فاجبتها يحق لك ذلك يامولاتي واني أهنئك بها فما انت الا حاصدة زرعك الذي غرستيه بالجد والنشاط .اواه ياسيدتي فقد يحزنني اذ ارى اغلب اولادنا يترفعون عن ابداء المساعدة لامثال هذا الرجل فضلا عن احتقارهم للعجزة واستهزائهم بهم لاني رايت اكثر من مرة من كانوا يضحكون على الكيفية التي يأكل بها جدهم وارتعاش بدنه وتثاقل خطواته وتعثره بالطريق الى غير ذلك من الامور التي تفطر الحشا وانسب ذلك كله لوالديهم . فقالت لي اجل وليت الصغار يتحققون انهم سيكونون كذلك يوما وبالطبع لايحبون من يستهزئ بهم.

وعند ذلك دخلت سلمي وابنة السكير (المشار اليه

سابقاً) وكثيرات ممن كنت اعرفهن فاشتركن معنا فى جملة احاديث ادبية وهكذا قضيناها ساعة مباركة عامرة بالانس والصفاء ونحن نجتنى الفوائد من تلك الام العاقلة التى ألقت على مسامعنا خطابا كبيراً بوجوب اكرام العجزة وتضحية أنفسنا لخدمة الاخرين فهل أنت يامن تقرأين هذه الكلمات كسلمى وهل عودتك أمك على أقوم المبادىء كتلك الوالدة ، ان مسرة قلبي ورغبتي هى أن تكونى ووالدتك مثلهما .

حب الوطن

قرات وانا صغيرة في كتاب المطالعة الانكليزى قصة عن امراة من مدينة سبارتا كان لها خمسة اولاد ارسلتهم للحرب واوصتهم قائلة « اى بنى جاهدوا فى سبيل الوطن واحرصوا عليه من ان يسلم لايدى الاعداء وابذلوا انفسكم فدية عنه » فلما خاضوا معامع الوغى قتلوا بأجمعهم بعد مجاهدتهم فى تخليص بلادهم اذرنت فى آذانهم كلمات امهم الحماسية فجاء عبد اليها ليخبرها بفاجعتها الاليمة ولم يجدها فى منزلها بل فى الهيكل حيث كانت تتضرع للاله الاعلى ليعد اولادها خير فدية عن الوطن وانتصاره ولما ان فرغت من صلاتها سألته عن اخبار مواطنيها وفوز بلادها فاجابها على الفور « ايتها المراة التعيسة لقد ثكلت اولادك فاندبى سوء حظك » فقالت له « ايها العبد الخسيس الدنىء لم اسالك عن اولادى بل عن بلادنا العزيزة وانى اشكر الالهة لانها استجابت لطلبتى فماتوا فى سبيل

الشرف والشهامة فتهبهم الاهلة تتيجان الاس وتترفعهم الى السماء الزاهرة »

ترى أية شهامة كانت تهز اولئك الابطال الى اظهار نخوتهم واى منظر مشجع دفعهم الى المقاتلة مع تحققهم بانتظار ملاك الموت لهم فى ذلك المركب الخشن واى قلب شريف حملته تلك المرأة الشجاع

ان ذلك كله فى سبيل الوطن ولاجله وقد احبت بلادها فضحت

أعز ما لديها لبلوغ الاماني باعزازه فهل تدفعين اولادك أيتها الام المصرية الى الموت الزؤام كما فعلت تلك السبارتية انى مع الحزن أقول ان اغلب سيداتنا يولولن ويدعين بالثبور يوم طلب ابنائهن للدخول بالعسكريه فيكون ذلك اليوم اشبه بجنازة ولكن اعلمن ان من ينام عن السعى فى رفع شأن بلاده وشرفها انما هو شخص العار والمذلة وهذه بلادنا المصرية كان يرتع فيها آباؤنا وأجدادنا فى بحبوحه السعادة والعز فهيا بنا لنخرج منها مايجلب علينا ادنى شقاء فنحقق لها احلامنا بان نجعلها فى مقدمة الامم الراقيـة بعد تلك النومة الطويلة التى

احنينا فيها رأسها للمذلة فهلم بنا لنعمل يد واحدة ما يجملها ان تشمخ الى العلا بقوة الله واجتهادنا لان محبة الوطن من اقدس الواجبات التي بها نحفظه من الدمار ونزيد فخرنا وها التاريخ يخبرنا بما كان للفراعنة من المقدرة ومزيد الاهتمام برفعة البلاد واختراعاتهم تؤيد لنا ان مرجع هذه الاختراعات الحديثة الى مصر — فمن اخترع التحنيط والبناء والهندسة ومن استنبط ورق الكتابة من البابيروس والصياغة والصناعة الدقيقة في النقش والتصوير بذوق سليم غير شعبنا المصري فلننقل أيها الصغار بلسان واحد « ها أنذا أيها الوطن العزيز وسأبذل نفسي لخيرك » لا ان نكتفي « بكان جدي وكان أبي » ولكل مجتهد نصيب

الرفق بالحيوانات

استيقظت ذات صباح حار وتوجهت الى حقل قريب من بيتنا وكانت معى صديقتى سلمى وصديقة أخرى غيرها وسمعنا العصافير تغرد فوق الاشجار فاتكأنا على جانب شجرة باسقة لنشنف مسامعنا بصوتها اللطيف واذ كنا نصغى سمعنا صوت طلقات نارية عكرت ذلك الهدوء المقدس وتلك الساعة الرهيبة من النهار التى تفضل فيها الاله الكريم باشراق شمسه الحسناء فقمنا من مكاننا مذعورات ومشينا بخطى متثاقلة نحو مصدر ذلك الصوت وما خطونا الا قليلا حتى رأينا مصيبة ثقيلة وجريمة عظيمة تتفطر السموات تألماً لها وتذوب الارض من هولها وتميد الجبال الرواسى تحت رزئها — رأينا (وفى مارأينا هولاً)عصفورة ملقاة على الارض وبجانبها أولادها وهم ينظرون اليها ولسان حالهم يقول « ماهذا السكوت ياأماه ولماذا لاتعاودين الطيران معنا فى الجو : وكيف تغمضين عينيك الجميلتين هكذا رباه ارحمنا فان أمنا أصابها ضر على مانظن »

ولكنهم عرفوا الحقيقة بعد قليل لما جاءهم أبوهم ونظرها على تلك الحالة فصرخ صرخة تفتت القلوب وتشق المرائر وتصم الآذان ويذوب من أجلها أقسى جلمود وعندها أخبرهم ان أمهم وافتها المنية وعاجلها المنون أثر طلقات نارية من يد الانسان . .

الى هنا سأوقف اليراع حتى يجف مدمعي ويفيق فؤادي من هذا الهول الذى يلين الفولاذ

أولاد يبكون أمهم العزيزة بكاء الثكلى ويندبونها (كالخنساء على قبر أخيها صخر) وقد كانوا معها منذ برهة من الزمان يحلقون فى الجو بغاية السعادة وهى تقص عليهم مالاقته من البؤس والعز فى طفوليتها مثلهم وتنصحهم الى أحسن سبيل مصورة لهم شرور البشر على أبشع منظر وأخذتهم بعد قليل الى نفس الشجرة التى كنا متكئات عليها حيث سمعناهم يغردون معاً بصوت يذهب الفكر الى عالم الخيالات لرقته ثم انتقلوا معاودين الطيران ولكن واحسرتاه فقد فقدوا تلك الام وأصبحوا لا يسمعون نغماتها الحلوة وصوتها الهادىء وبالحقيقة ان مسبب هذا كله هو الانسان الذى جعله الله في أسمى

مراتب العقل والحنان ..

عود ـ فتقدمت الى تلك المخلوقات البائسات ونظرت اليهم نظرة حب ورأفة ولكنهم هبوا من مكانهم خائفين الا انهم آنسوا مني الرثاء لحالتهم من منظر وجهي فاقتربوا مني وأخذوا يرسلون النظرات المتواليات الى جثة أمهم ثم الى . وأخيراً تمالكت نفسي وقلت لهم « أيها المساكين هذه حالة الدنيا لاتترك أحداً يفرح فعليكم بالصبر الجميل » واذ كنا غارقات في بحار الفكر سابحات في تيارات من بنافتي نحيل وهو حامل تحت ابطه كتابا فلسفياً ومعه بندقية وفي يده اليمنى أوراق أشجار ذهبية تتخللها . زهور بديعة ناصعة البياض وفاقعة الاحمرار . وصافية تشبه القبة الزرقاء . وبعد ان جثا على ركبتيه امام تلك الام المائتة وغطى جثتها الهامدة بتلك الاوراق ونثر عليها الزهور . نظر الى اليتامى نظرة استرحام واستغفار فلم يسعهم عندها الا أن يأتوا اليه مقتربين كانهم يقولون « اننا غفرنا لك غلطتك أيها الغريب الحزين»

وبعد ان مضى ذهبت العصافير لتجمع أوراق الاشجار على اختلاف ألوانها وحجمها وألقوها على أمهم ثم ذهبوا

وعادوا ومعهم زمرة من العصافير وأخذوا يغردون نغمات محزنة استمطرت منا الدموع المحرقة مدراراً وكان هذا الجناز أرهب واحد رأته عيني فذهبت مع صديقتي الى المنزل تواً وفي النفس مافيها من الحزن . فلهذا يامن ستجول أعينهم الصغيرة على هذه الصفحات لتكن هذه الحادثة درساً لكم فتضعونه نصب اعينكم مع الثقة ان الرفق بالحيوانات مزية من اشرف الصفات وان من تعودها وجعلها تنمو في قلبه هو الذي يحمل اكبر واسمى القلوب وليت الامهات لا يتركن حبل قوّة الاولاد على غاربهم ولا يجب ايذاء هذه المخلوقات الضعيفه لان « نيرون » الذي التذ في صغره بقتل الدباب نشأ سفاكا للدماء عندما قبض على صولجان الامبراطورية وفرح باحراق رومية فلا تسمحي ايتها الوالدة لفتاتك ان تؤلم القطة الصغيرة الداجنة في البيت بشد اذنها وهزها وسحبها من ذيلها واغاظتها بكل وسيلة بل اعلميها ان لها نفساً تتألم مثلها ولا تفرحي متى جاءك ولدك بعصفور وطلب منك ان تعطيه خيطا ليربط رجله به ليلتذ بمنظره وهو معلق في الفضاء يحاول الهروب ولكن صوري له شناعة فعله فلربما يكون لتلك العصفورة اولاد

يشعرون بغيابها واسأليه عما اذا كان يحب ان يعيش بدون ام تطعمه وتلبسه وتنظفه وتهبه محبتها كل حين . فبحق المروءة والحنان أرجوك ايها الصبي الصغير ان تكف عن عملك الرديء هذا وأن لاتسرى أيتها الابنة بوضع ثقب فى أذن قطتكم لتلبسيها قرطاً كما تفعل كثيرات فارفقوا بالحيوانات البكماء كما تفعل الشعوب الراقية لانه توجد فى انحاء المعمورة المتمدنة مستشفيات وملاجىء وأطباء للحيوانات ولان الله ينتقم أشد انتقام ممن يعذبها لانها صنعة يديه كالانسان وتعلموا هذا الدرس من صغركم ليرتفع قدركم ويفرح بكم القدير وملائكته فى السماء .

الاهمال افة النجاح

قصت علينا والدتى ونحن أطفال قصة صغيرة لكي تعلمنا ألا نهمل فى أي أمر من أشغالنا ومازلت أذكرها وسوف أذكرها كل أيام حياتى لان دروس الصبا تطبع على صفحات الذاكرة بقلم من حديد فلا تمحوها أعوام وأجيال قالت : ـ

كان زكي ولداً صغيراً مجتهداً فاهداه والده أرنبة وصنع لها منزلاً فى الحديقة جزاءً له على نظافته واجتهاده ثم أهدته أمه أخرى مكافأة له على طاعته فاعترافا بجميلهما ذهب الى الحديقة ذات يوم وجمع ازهاراً وأثماراً ليهديها لهما ولكنه ذهب ليجمع بعض الفاكهة من جانب الحديقة الاخرى وكان لسوء حظه قد نسى باب الارنبتين مفتوحاً فالتهما فى غيابه ما كان بالسلة ولما عاد ووجدها فارغه ندم على تركه الباب مفتوحاً ولكن لات ساعة مندم . تلك قصة بسيطة لايزينها انسجام عباراتها ولا بلاغة ألفاظها وحسن تركيبها ولكنها مفيدة جداً فكم من اهمال جلب بلايا ورزايا كبيرة ولدينا

اسحق نيوتن الذى أهمل وترك الشمعة موقدة فى غرفته أثناء غيابه (حتى ان كلبه اذ كان يقفز حولها اسقطها على كتابه الرياضي الكبير فاحرقه) حزن حزناً مفرطا على هذا الاهمال ولكن ذلك لم يجده نفعا قط ولم يرجع كتابه المحروق . ولرب اهمال فى نطق كلمة واحدة عاد بالبلية الكبرى والطامة العظمى على امة باسرها وهانحن معشر المصريين تأخرنا تأخراً عظيما لاهمالنا شأن المرأة المصرية ومع اننا ابتدأنا نستيقظ من رقدتنا الطويلة لاصلاح مافسد لكن هيهات ان ننجح سريعا لان النقص كلي ويحتاج لاعوام وسنين آتية كثيرة .

فانتم ايها الصغار لاتهملوا من الآن ان تتدرعوا بالصدق والثبات لان كثيرين من اعاظم الرجال ندموا على اهمالهم ذلك واحترسوا فيما تقولون فكم من كلمة جارحة صدرت الى أعز من لديكم وأهملتم (قبل أن يفرق بينكم هادم اللذات) طلب المغفرة والسماح منهم فوقعتم فى أشد حالات الحزن والندم لاجلها بعدان زلت بكم مطية اللسان .فاهتموا بصغائر الامور لان منها الكبائر وما الكليات الا من الجزئيات .

(فيم تنفقون أموالكم لو كنتم أغنياء)

في يوم من أيام شهر مايو لفظتني وجماعة من الاحداث مع سيدة فاضلة حرارة الصعيد فخرجنا واجتمعنا على ضفاف النيل فكانت تلك السيدة تقص علينا روايات مفيدة ثم قالت « انني لسائلة كل فرد منكم فيم ينفق ماله لو كان غنياً وسأكافىء أحسنكم جوابا » فاجبناها « حسناً » فوجهت السؤال لشقيقتي فاجابها قائلا.

«لو كنت غنياً أذهب الى مدارس أوروبا الجامعة لأكون مهندسا ميكانيكيا بارعا وأعود لمصر وأفتح شركة كبيرة ومدرسة كلية واعلم فيها كل فقير واعطيه رواتب معتدلة تساعده على اعالة عائلته الفقيرة»

وقال شقيقي الاكبر « لو كنت غنيا أصير طبيباً فاضلاً محبا للبشرية فأبني مستشفيات للانسان وللحيوان وملاجىء للعجزه وللاطفال والايتام وأوسس مكتبة جامعة لافضل الكتب العصرية الطبية وأعضد المجتهدين وأبذل جهدي في تخفيف آلام المتألم بقدر مايمكني»

وأخبرتنا صغيرة « لو كنت غنية أشترى حلوى كثيرة

وأتقاسمها مع جارتي الفقيرة وأوفر غرشاً كل شهر لاعطيه للولد المتسول الذي يأتينا » وقالت أكبر منها « أما أنا فسأهب ربع أموالي للفقراء والثلاثة أرباع أصرفه لبناء المساجد والمدارس »

وفاهت أخري « أما لو كنت غنية افتح صيدلية واصرف منها ادوية مجانية للمعوزين » وقال آخر « وانا اوفر اموالي لأعول والدي في كبرهما وابني منزلا نفيما لهما تقربه اعينهما وضريحا مجيداً لجثتهما »

وقالت صديقتي سلمى « اما انا فاتعلم لاصير ممرضة ولي مستشفي كبير انفق عليه كل ثروتي واعالج السيدات والبنات المريضات وخصوصا اليتيمات » وقلت « اودان انفق اموالي على فتيات هذه الأمة البائسة لو كنت غنية واصرف كل وقتي لاخراجهن من حضيض الجهالة وابذل مافي وسعي لتعليم بعض الامهات الجاهلات نبذ العادات الذميمة والبنات ليسرن في طريقة قويمة وبذلك أعد أمهات راقيات للمستقبل فتسعد بلادنا المحبوبة وارسل منهن عدداً وافراً الى احسن مدارس اوروبا فيتعلمن جيداً حتى نجد في الجيل الآتي معلمات مصريات يعلمن الطالبات منهن دروس الوطنيه الحقه والذوق الشرقي الحسن

وابعث بعثة خصيصة لتعلم اللغة الهيروغليفية فيفسرن ماجاء على معابدنا من الحكم والغرائب »

واخيراً قالت ابنة رزينة « وأنا اذاً أولف كتبا نافعة اجتماعية والقى محاضرات ادبية امام تلميذاتك واساعدك فى كل مساعيك واعطيك نصف اموالى لتصرفيها على كساء العريان وسد رمق الجائع » فتبسمت مع الجميع وشكرتها الى ان نصبح اغنياء لنصرف اموالنا كل واحد فى سبيله الذى رسمه وكانت الشمس واقفه على منصة الغروب فهمت السيده وامرتنا بالذهاب بعد ان اخبرتنا اننا اجدنا كلنا واوصتنا ان نذكر متي صرنا اغنياء وعودنا فنفيها «لان وعد الحرين عليه» فتفرقنا الى منازلنا بهذه الوعود التى مازالت باقية معنا من زمن الطفولية الى الآن . ففيم تنفق اموالك يامن تقرأ هذه الرسالة ؟

لست ارجو الا ان تصرف فى مشروع يفيد الهيئة الاجتماعية ويخلد ذكرى فى تاريخ المكارم . اما وقد اطلت عليكم ايها الاحداث الكلام فاقتصر على ماذكرت لكى اعود وارى تتمة حياتكم المدرسية لاحبا فى الانتقاد بل رغبة فى الفائدة اذهى ضالتي المنشودة .

الفصل الثالث

البنت فى المدرسة وبعدها

كتبت عظاتى السالفه للأحداث لأجعلها نموذجا للوالدين والمهذبين وياحبذا لو أهتم الجميع بمثلها حتى نعم روح الفضيلة بيننا ولكنى الآن أترك هذا جميعه لأرجع بحضرات مطالعات ومطالعي كتابي الى تتميم الحديث عن حياة الفتيات المدرسيه نراها فى تلك الدور العليه ومقدار نصيبها منهاوهو فى الحقيقة قليل جداً لانها حالما تبلغ الخامسة عشر من عمرها تمنعها أمهامن المدرسه قائلة انها «كبرت» وتستحق «الزواج» فتترك تلك المسكينة مدرستها وفى البيت تنسي ما تعلمت من مبادىء قويمه اذ تخشى ان تعلم أهلها وجوب النظافة في سائر الاعمال وتستأنف من مراقبة الخدم زاعمة ان من علمت أن بالدنيا خمس قارات وان لندن عاصمة بلاد الانجليز وان (قام زيد) فعل وفاعل وان لزحل حلقات واقمار وان تتقن اللغات

الغريبه وكذلك العادات وتعرف كيف تتكون الجبال وبعضا من أسماء الكيمياء وان تجرى أصابعها اللطيفه على البيانو لا يليق بها ان تتنازل فتخالط الخدم ولكن ايهما شر يا ترى ؟ ترفعها عن نصح من يجهزون لها ملبسها ومطعمها أو علمها انهم يجرون ذلك على غير القواعد الصحيه ؟ . ليس هذا فقط بل انها فى ذلك الفراغ والسن تقرأ روايات ساقطه مفسده للأخلاق فتنطبع على مخيلتها ما فيها من الفاظ الحب والهيام ويحزننى عدم اهتمامهن حتى بفتح غلافات المجلات والجرائد المرتبه لهن أو بمطالعة الكتب العلميه المفيده ولدينا منها والحمد لله شىء كثير « كمجمع البحرين » « وآداب اللغه » « ومقامات الحريرى » « والزمخشرى » « واللزوميات » لابى العلاء المعرى » « وأدبية اجتماعية » كتحرير المرأة ـ والتربية والأخلاق ـ ونظرات المنفلوطي » وغيرها متعدد كثير ولكن هذا بعيد عنها اذ تصرف وقتها فى ايقاع اللوم على والدتها لكل هفوة تصدر منها وتحتقرها لأقل حادث ومن النادر أن أجد من تحب أن تدخل دورها العملى الصحيح بعد ذلك الدور العلمى أو من اللاتى تهزهن النخوة الفرعونيه

للتفكير فى شأن البلاد ساعة عوضاً عن الساعات الطوال التي تصرفها فى تنسيق الشعور تارة ومع الخياطات أخرى متهافتات على « استين » كل يوم ومتلهفات لمطالعة مجلات الازياء الجديده وفي اتقان تلطيخ وجوههن بسائر أنواع البويات فلذا أوجه قصيدتى القادمه لكل من تخضع السلطان الازياء : —

الى متفرنجات العصر أهدى حديثى بعد تقديم السلام
وأبعث من فؤادى خير حب أزوده بملء الاحترام
بنو الأوطان لاموا جهاراً لعمرى قد أطالوا فى الملام
وقالوا اننا صرنا كجن يخاف ظهورنا كل الكرام
لهم فى لومهم حق كبير وللازياء صرنا في هيام
أرى الفتيات فى التمدين هامت وفيه ابدعت كل النظام
وأرسان الشعور بغير ستر نراها كل يوم فى انتظام
وتلك القبعات لمن يراها تكاد اذاً تناطح للغمام
نراها تارة جبلا عظيما وطوراً فوقه ريش النعام
نكاد نظنها طبقا كبيراً به عنب يقدم للمدام
تضعن بتلك دبوسا طويلا نراه مصوبا مثل السهام

فكم طعن الرجال به جهارا وأضحى كل قلب فى كلام
وها كل المجلات استعاذت بارزاء له فى كل عام
وربات الحجاب فلست أنسى ملام الصدق من فرط الملام
حجاب أم غشاء أم هواء سفور الوجه من تحت اللثام
فما معنى الحجاب وليت شعرى وقد سمى كذلك بالتعامي
وهذا الوجه صار بلا مراء غريب اللون يورد للحمام
ففيه أبيض وبه أحمرار وفى العينين ليل ذو قتام
وأثواب تجر محسنات كقطر يد فعنه للصدام
وليت مجالس التنظيم تدرى فتغنم أجر كناس الانام
وذاك بفضل أثواب حسان تجر وراءها كل الهوام
وأضحى الغير حقا مثل كيس يرى معه دواما فى خصام
هنا لك تظهرين لنا كحبل كفاك عزيزتى بنت الكرام
ترى فى الصيف ربع الصدر يبدو ونصف الزند يظهر كالحسام
عليه يلمع الالماس جهراً وما فى الارض أيضاً من حطام
هنا لك من « انوه » تشتريها ويلقاك دواما بابتسام
وتحتملين ثقلا باصطبار كذاك الزى صار بلا احتشام
أخال باننا في الصين أيضا بأحذية تسوق الى الحمام

بكعبها تقتفي « جليات » حقا ونسعي دائما لها باحترام
كفى والهفتي غما وحزنا فتلك مصائب جلت جسام
نضر نقوسنا باللبس جهلا بتقليد العظيم من الأنام
وذا زعم قبيح قد دهانا فنمن وقد مضى وقت النيام
وهيا نقتفي أثراً لقوم نراه مخلداً طول الدوام
نحي شأن مجد قد تلاشى « اذا والى الامام الى الامام »

افلا ينطبق هذا الوصف على حالتنا الاجتماعية الحاضره تماما ؟ وهل يرضيكن ذلك يامحبات المدنية الكاذبه ـ انصتن لأقوال الرجال الذين يجزمون بصحة الاعتقاد بعدم تهذيب البنات لانه مهيع لتعليمهن التفنن في الازياء الجديده واراهم قد تشبثوا في عدم ارسال بناتهم لمناهل العلم ولكني ارجوهم الا يجعلوا المفتريات بسفاسف الامور مثالا وقاعدة لكل متعلمة كما وليتذكروا ان ولع الفتيات بالازياء راجع للأم التى كانت تقول لابنتها وهى تلميذه « البسى ماشئت لانا اغنياء » فيا ايتها الفتيات قمن الى شؤونكن الهامه وجاهدن فى سبيل اعادة المجد القديم بجدمتواصل وسعى مستديم وانت ايتها الشرذمه الفاضله القليله المتهذبه لماذا تتوارين وراء خدر الحياء فهل تؤثر

عليك اقوال مثبطي الهمم : كلا فلا تخافي بل هيا لخدمة الوطن والأمة

الا ياايها الوالدون علموا البنات الاخلاق القويمه مع الحشمة والورع والتعبد لله عز وجل وبعد ذلك تجنون ثمار المعارف ولا تلوموهن على مايبدر منهن من الجهالة لانكم تخرجوهن من المدارس وهن بعد حدثات مع ملاحظة ان مايأخذنه من العلم لايؤهلهن لقيادة زمام نفوسهن وتدبير الآخرين سيما ان معلماتنا مازلن غير مقتدرات في التعليم ولكم أتضرع لدى عرش العزه الالهيه بأن يأتي الوقت الذى فيه ارى معلمات مصريات صميمات عالمات وليت الطبقه الفنية ببلادنا تهتم بهذا الامر فتتطوع فتياتها للذهاب الى عظم مدارس العالم فيتلقين اهم فروع الدروس العلميه والاخلاقيه وبذا يعلمن اخواتهن المصريات الفضيلة لانه ماقيمة العلم بدون اخلاق عاليه وروح شريفه ولكن من اين لنا ذلك ونحن نحتقر فئة المعلمات ظانين انه من العار ان تترك احدى الاوانس منزل والديها لتحترف بهذه الحرفه وناسين انها لتتجيء اليها نظرا لفقرها ولعوزها للقوت الضرورى وان كنت اسلم مع الذاهبين في هذا

المذهب الأخير لكنى اقول انه لاعار فى الفقر وتحصيل القوت بعرق الجبين اولا . وان من ثقفت عقول بنات وطنها بنفسها الهى الحية الشعور اذ هذا واجب هى اولى بالقيام به من الاجنبيات اللاتى يفعلن ذلك طوعا لاجور يتقاضينها لا مدفوعات بواجب محبة خير تلميذاتهن المصريات كما يجب ثانيا (واني التمس عفواً من كل من تستاء من هذه الحقيقة التى أسطرها هنا لانى أعتقد بصحتها واجزم مع كثيرات بواقعيتها)

فيا أيها الآباء والأمهات أكرر قولى عليكم بوجوب تعليم البنات لانهن المحور الرئيسى الذى تدور عليه رحى سعادة الهيئة الاجتماعية وها كم قصيدتى الآتية أرفع بها شكواى فى محكمة العدل راجية أن تترافعوا فيها وتعيروها نصيباً من حسن الالتفات فتحكمون للصالح العام : ـ

المرأة المصرية

يا مصر دمعي هاطل ممطور والقلب فيه لوعة وثبور
وعليك قلبي قد تفطر باكيا مما دهاك وفي البكاء سرور
لهفي عليك عظيمة الارضين قد ولى ثناك وقد عراك فتور
يا مصر انت كما اراك تعيسة والشعب شعبك تائه مغرور
وأراه يخبط في دياجير الاسي والنحس انى يلتقيه يدور
قد اضرموا نار الحماقة بيننا وقلوبنا فيها أسى وسعير
تركوا الفتاة وشأنها في جهلها في الطيش تخبط تارة وتسير
فهوت وفي قاع الحضيض تحجبت ودها الحشا من جهلها تكدير
فتحجبت شمس المسرة والهنا وكذاك مجد العالمين غرور
اين المعارف والكرامة والحجي ولت وفي القلب الكليم سعير
قوموا ابني الوطن العزيز وبددوا جهلا بنا ودعوا السرور يزور
جدوا وذودوا عن حياض الحق كي تحظى بسعد والزمان يدور
رفقا بني الوطن الكريم بغادة لا تهملوها في الغرور تخور
تقضي أسى في جهلها وخمولها وتذوق طعم الجهل وهو مرير
كونوا لها عضدا كبيرا اخوتي فهي التي دوما اليه تشير

وترى لسان الحال ينشد قائلا جودوا ببرئي فهو ليس عسير
لم نرض جنات تفوح رياضها فالعلم جنات لهن ستير
والعلم مرتعنا وأن بجدنا تعلو من الامل العظيم عبير
قوموا اصرموا حبل الجهالة انه جهل على عين العقوق ستير
كيف السبيل الى تقدم أمة ونساؤها فى جهلهن تسير
ربوا الفتاة على الفضيلة انه من غيركم لا يرتجي التيسير
ستصير بنت اليوم اما فى غد وعلى عنايتها الصبى يصير
والذنب ليس على الفتاة أخا العلا فلأنت بالذنب الكبير جدير
فاسلك سبيل العاقلين وربها حتى تتم من العلاء أمور
فترى السعادة فى سماء بيوتنا وكواكب السعد العظيم تنير
فالأم أستاذ الشجاعة والعلا اعانها فى سعيها مشكور
الأم بحر للمكارم والرضى فاذا تربت فالبهاء كثير
الام روض للجنان وللتقى دوماً يفوح شذاه وهو عطير
الأم أفق فى سماء سعودها أبناؤها بين السماء بدور
(الأم أستاذ الفلاسفة الالى) بقيت معارفهم ومنها النور
الأم صخر للرزية دافع بالمكرمات كما تشاء تسير
فبها النعيم فعلموها سادتى لا علم الا علمها المبرور

والله أسأل ان يعدكم العلا ويقودكم للحق فهو قدير

هذه قضيتى رفعتها اليكم حتى لا تنسبوا كل تأخر مصر الى الفتيات ومع انى أردت ان اخفف ذنوب الجنس النشيط بقدر امكانى ولكنى أريد ان الزم خطة الاعتدال اذ ان السر الأهم فى تأخيرنا هو عدم اهتمامكم يا رجالنا بترقية مدارس البنات وتعليمهن جيدا لانه لو فرضنا وسمحتم لهن بالدخول فيها فذلك لا يكون الا لمده قصيره ثم تحرموهن بداعى الحجاب الذى هو علة كل انحطاطنا وتعاستنا فلو تعقلتم وتأملتم فى مايسمونه بالحجاب بوقتنا الحاضر نراه أصبح فستانا رقيقا خفيفا ممثلا بشناعته الخلاعة باكمل مظاهرها (ولو أخذت ابين اضرار الحجاب الآن لضربت صفحا عن كل مواضيعى المقرره بكتابى هذا ولملأت مجلدا كبيرا ولذا أشير عليكم بقراءة كتاب تحرير المرأة للمرحوم قاسم بك أمين نصيرها العظيم ولكنى سأبدى ملاحظة صغيرة) فلا تفتكروا انكم باصدار أوامركم بلبسه تظهرون شجاعتكم بل أن فعلكم هذا دليل على جبنكم وكذلك جهلكم وعدم رويتكم فكيف تفاخرون بحشمة زوجاتكم واخوانكم وبناتكم ومثلهن مثل عصفور محبوس فى

قفص ولسنا وحالته هذه نستطيع ان نمدح امانته وعدم هروبه منه لانه فى ربقة الاستعباد وهذا نفس الحال معهن فلو كنتم تعطوهن الحرية التى منحها الله لنفس الحشرات الصغيرة تجدون منهن كل حشمه ورفعه وأدب ويظهرنها كلها مدفوعات بعامل الحرية واستحسان الفضيلة لا مجبورات اليها بعامل التقييد بالحجاب فانظروا الى ما يفيدنا والله نصير العاقلين المجاهدين

وفى الختام أرجو كن يا أنسات الاهرام ان تلزمن حد الاعتدال فى التبرج حتى نمنع عنا القيل والقال ونفوز بحريتنا المحبوبه فنحظي بالسعادة الحقيقيه

الصبي في المدرسة وبعدها

ذكرت فيما مر ما يلاقيه الغلام من التدليل فى البيت بواسطة المدرسة سيما اذا كان أساتذته يشددون عليه النكير ويهيلون فوقه القصاصات ومع انى قد كتبت لتلك الفئة القاسية على الاولاد نصيحة صغيرة فى هذا الصدد لكني أكرر عليهم الآن قول أحد الأساتذة الكرام وهو «تريبونيوس» أستاذ المصلح الشهير لوثيروس (ذاك الذى كلما دخل الى المدرسة رفع قبعته مسلما على أى تلميذ وكان ذلك يعد تنازلا عظيما في تلك الازمنة فلما لاحظ الاساتذه اخوانه عمله هذا سألوه باندهال عن تنازله المفرط) فأجاب « ان بين هؤلاء الصبيان أناساً سيجعلهم الله يوما ماقوادا وكتابا وعلماء وولاة ولئن كنتم لاترونهم الآن بسمات شرفهم فيليق بكم ان تعاملوهم بالاعتبار . » ولا ريب ان التلاميذ أصغوا بلذة الى هذه الكليمات الرقيقه ولربما تصور الواحد منهم نفسه بعمامة العلماء أو بسيف القادة . فهل تكون هذه الجمله ياترى درساً لمعلمينا

ونحن فى عصر المدنيه الحقة والتعليم الزاهر . بقى عندى أمر ابداء ملاحظات قليلة فى كيفية التدريس وعشمى أن يقابلها حضرات الاساتذه بصدر رحيب لأنى لا أكتبها كمن تتسلى بذكر نقائص الغير بل أفعل ذلك رغبة الاصلاح حتى أرى مدارسنا من أحسن مدارس الارض علماً ونظاماً وتربية وان كنت أنا نفسى (ككل البشر) معرضة للخطأ لكني فى الوقت نفسه أقبل كل نصيحة تعود علىّ بالفائدة فلهذا سأبدى ملاحظتى ورائدى فيها الاخلاص وقائدى نحوها خدمة الغير فليلتفت اليها الاساتذه اذا كانت من الصواب بمكان والا فليضربوا بها عرض الحائط اذا كانت بعيدة عنه وعلى كل لهم الأمر فاقول : —

تؤسفنى وتذهلنى كيفية تعليم مبادىء الجغرافيا مثلا اذ يخبر المعلم تلميذه ان الشمس تشرق من الشرق وتغرب فى الغرب أى فى دروس الاشياء حينما يعلمه ان للبقرة عينين وأذنين ويدين ورجلين وانها تأكل الحشيش وهى أمور كان يجب أن يلاحظها التلميذ بنفسه لانها أمامه دائماً ويعجبنى أولاد الفرنجه لان والديهم ومعلميهم يعودونهم ملاحظة صغائر الامور

الطبيعيه وكبائرها ويوسعون مداركهم بتلك الوسيلة فنرى طفلهم يفوق طفلنا فى ذلك كثيراً وانى أفضل أولاد القرويين نفسهم لانهم يعرفون تلك الامور لكثرة اختلاطهم بها ولست أعلم لماذا لا يأخذ المعلم تلميذه الى أحد الحقول ويريه هذه الامور وغيرها لانه توجد أحيانا فى بعض كتب المطالعة دروس عنها وعن القمح وكيفية زرعه والخبز وصنعه فهناك اذ يأخذه من يوم لآخر يجعله يلاحظ معه نمو النبات وكيف يؤتى به من الحقل الى الطاحون ومن هناك للبيت فالفرن وبذا يقرب تلك الدروس الى فهمه . وقد يظن بعضهم ان ذلك مضيعة للوقت سدى ويستحيل عليهم اجراؤه ولكنهم لو تدبروه مرة يجدونه من أهم وأحسن طرق التعليم . ويغيظنى كذلك في تعليم فن الحساب عدم ممارسة القواعد عملياً بكيفية ترغب الطالب فى درسه ولا يخفى كم يلاقى من الصعوبة عند وصوله الى جداول النقود والمكاييل والموازين وتحويلاتها فيجب أن تستحضر كل مدرسة بعضا من هذه المعدات التى حالما يضعها الاستاذ تحت نظر تلميذه يستطيع لاول وهله ان يحفظها في ذاكرته حفظا مدققا وكذلك الامر فى المسائل الهندسيه

بالمدارس الابتدائيه خاصة كذا فى علم التاريخ نقرأ عن القدماء وملابسهم وشكل ازيائهم ولكن لما كان ادراك وصف هذه الاشياء من الصعوبة بمكان على عقل الطالب الصغير وجب ان يستحضروا صوراً بتلك الهيئات ليدركها حالا فيتنبه عقله للمستقبل ولو اهتم المعلمون بالذهاب معهم الى الاماكن الاثرية سواء كانت قريبة او بعيدة عنهم كانوا من اعقل الاساتذة عملا وفكرا . اما ما أراه من الخلل فى تدريس اللغة العربية ببعض المدارس فغنى عن الاسهاب والشرح لان التلميذ لا يجد تمرينات كافية على كل درس بمفرده لكى يفهمه جيدا وكذلك لا توسع عقلة بجملة امثلة تعطى له ويلزم بها وليت شعرى متى نقيل زيدا وعمرا وبكرا وخالدا من اعمالهم فنحيلهم على المعاش لان عهدنا طال بهم جدا . ليس هذا فقط بل طالما رأيت بعض الاحداث يتلون القواعد بسهولة وبدقة ولكننا لو نعطيهم جملة للاعراب يجدونها معقدة عليهم اشد تعقيد وكثيرا ما نراهم اشدة دقة حفظهم تلك القواعد يقترفون غلطات مضحكة مبكية فانى كنت مرة ببلدة صغيرة واذ كنت اطل من النافذه رأيت

تلميذين وسمعت احدهما يسأل الاخر ما هو البدل فاجابه ذاك هو تابع ممهد له بذكر اسم قبله غير مقصود لذاته وهو اربعة انواع « ١ » بدل مطابق « ٢ » بدل بعض « ٣ » بدل اشتمال « ٤ » بدل غلط نحو اهدنا الطريق القويم طريق الكرام وخسف القمر جزؤه ويهلك الكريم عفوه وجاء الولد اخوه وتمت القواعد العربية والحمد لله اولا وآخرا . فضحكت حتى سالت مدامعي لأن المسكين افتكر ان الجزء الأخير هو نوع من البدل وكذلك تسمعهم يلقون على المسامع محفوظات شعرية حكمية لا يفقهون كنهها وذلك عائد على أستاذهم الذى لا يهتم بتوضيح الكلمات الصعبة لتلاميذه . سمعت طالبا يتلو شعرا فيه كلمة « اقاح » فسألته هل تعرف معناها فأجابني انه يظن ان معناها نوع من العصافير فافهمته اياه بعد ان سألته عما اذا كان استفهم من أستاذه عنها ان لم يكن قد شرح له معني الكلمات الصعبة فقال انه ليست من عادة الاستاذ ان يشرح تلك الكلمات ولا ضرورة له ان يستفهم منه عنها مادام يعرف القصيدة عن ظهر قلبه جيدا وبذا يحوز كل القبول فى عينيه . فمضيت عنه آسفة بعد ان أخبرته وأوصيته ألا يدرس شيئا فى

مستقبل الايام بدون ان يفهمه جيدا ولكن هذه واقعة متعددة ومشهورة .أما علم الخط فيحتاج الى اهتمام كلي واصلاح كبير ولما ذا نرى فى دفاترنا العربية كلمات مثل (بابب بح بد الخ) أو عبارات حكمية عالية على فهم التلميذ بينما نرى فى الدفاتر الافرنجية عبارات عن حوادث تاريخية هامة ووقت حدوثها او كلمات وطنية فكثيرا مارأيت مثل هذه العبارة : — « بلادنا تنتظر من كل صبي ان يكرس ويبذل نفسه لأجلها » كما ويكتبون جملة قوانين للارشاد فى كيفية اتقان الخط يفسرها المعلم بندا بندا لطلبته ولكننا لو قدر الله وأوجد لنا مثل تلك القوانين بكراريسنا لا نهتم باستيعابها مطلقا بل ولربما لا نعلم بوجودها ان لم يقع نظرنا عليها سهوا باحدى ساعات الفراغ وهكذا الامر فى الرسم أيضا سواء كان نظريا أم جغرافيا وكيف استطيع ان أصف اتساخ أيدى الطلبة وتلوثها بالحبر فضلا عن عدم ترتيب الكراريس فهو أمر يحق للجميع ان يحدثوا عنه بوفرة وبدون حرج سيما ان المعلم لا يعير هذا الامر التفاتا ولا يهتم سواء كان مع التلميذ كل ادوات الكتابة من حبر واقلام ومقاشط ومساحات ومساطر وورق نشاف الخ مادام يحضر

أمامه بأدوات ربما استعارها من زميله الجالس بجانبه ولكم يؤلمنى ما أراه فى كتب مطالعتنا الادبية من الدروس الكبيرة التى لا يعى الطالب أدنى جزء منها والامر بعكس ذلك عند الامم الراقية حيث نرى فى كتبهم دروسا وطنية تربى تلك الروح الشريفة فى قلوب ابنائهم من الصغر وليتنا نقوم مثلهم بوضع كتب مثل تلك حتى تتربى هذه الروح فى أفئدة اولادنا الذين سيكونون بلا ريب رجالنا ولما ذا يدرس طالبنا كتبا تصف بلادا أخرى ويعرف عن محصولاتها وحيواناتها ومناخها وعادات قومها واحراشها وغاباتها بينما يكون جاهلا ببعض مواقع بلاده المصرية وآثارها مع انها لو وصفت كانت تملأ مجلدات مفيده وبذلك نستفيد فائدتين (١) لغة (٢) ووقوفا على خصائص وطننا بدقه ويسرنى ان بعض أفاضل الاساتذة وضعوا لنا كتبا للمطالعة مثل كتاب Nile Reader, Abbas Reader (أعنى المطالعة النيلية والمطالعة العباسيه) ولكننا مازلنا نحتاج الى اصلاحها بل وللمزيد منها حتى نتقن معرفة كل شىء عن بلادنا وبعد ذلك لا أرى بأسا من وجوب معرفة مايختص بالبلاد الأخرى من تلك الكتب لانه يفرحنى ان أرى ابناء الوطن

اصحاب اطلاع واسع على ماجريات سائر بقاع المسكونه بعد التدقيق الوافر بفهم كل صغيرة وكبيرة عن أرض مصر اذ أليس من العار الايعرف الانسان كل شيء عن وطنه؟ كذلك في أمر تدريس الترجمة وهو أمر قريب لمسألة المطالعة ولست أدري لماذا يصرف المعلم جل وقته في التنقيب والسعي وراء جمل غريبه معقده في وقت يجهل فيه التلميذ أشياء كثيره واستعارات تليق بموطنه ومع انى أرتاح كثيراً لان يعرف الانسان استعارات القوم الذين يدرس لغتهم جيداً ولكنى آسف جداً أن يجهل اسماء أغلب مصالح حكومته ومقاييس بلاده واسماء فواكهها وأثمارها وزهورها الخ ولماذا نجد في دفاتر التلاميذ عبارات لاتتعدى « أمطرت السماء برداً وكان الجليد يملأ الارض وتجمدت مياه الانهر » ولماذا لانجد فيها مثل «اجتمع مجلس الشورى للمناقشة في مسألة. . . . »أو «قررت نظارة المعارف العمومية فتح مدرسة عالية لتعليم . . . » وهكذا من الحوادث الحاصلة في بلادنا في الوقت الحاضر حيث نستعمل فيها كل استعارة حلوة وكلة نافعه . ذلك اقوى وافعل حتى نلم بكل اطراف اللغة ان امكن مع ملاحظة دقة اللفظ لانا كثر

المدرسين لا يعلمون التلاميذ اللفظ الصحيح وعجبا لو جعلوا احد ابناء تلك اللغة يعطيهم دروساً خاصة فى اللفظ ويضحكنى ان يتعلم التلاميذ ترجمة الجمل حرفياً ولطالما سمعتهم يترجمون هذه الجملة الانجليزية « ان الشمس هي فوق »

The sun is up وليت شعرى مامعنى وجودها فوق لان المقصود منها ان الشمس اشرقت او ان نترجم جملة كهذه « ناموس الله باق للأبد الى The mosquito of God is for - ever .

ولكننا قد تعودنا ان نأخذ الامر على علاته لا على معناه المفيد . بقى امر واحد عام نحتاجه كثيراً وهو ادخال فن الزراعة ودرسها فى سائر الكتاتيب والمدارس الابتدائية لان بلادنا زراعيه فيجب على فريق كبير من سكانها ان يكون لهم الملم بالزراعه اى بالاساليب العلميه لخدمة الارض وتربية المواشى واختيار التقاوى وتقدير المساحات والمكعبات ومع ان الفلاحين بالاختبار يعرفون شيئاً منها ولكنهم لو زادوا الى ذلك المعرفة الكتابية من المدارس التي يدرسون بها القراءه والكتابه والحساب وقواعد اللغة تزيد معارفهم ونجاحهم فيقدرون أن يستغنوا عن تعلم الصرف والنحو مثلا ويدرسون بدلا عنه علم

النبات والكيمياء الزراعيه والقواعد الاساسية فى تربية المواشي
وكذلك فى الحساب فيجب أن يتمرنوا على الحساب الزراعى
كحساب مكعبات الترع والمصارف وأثمان المحصولات حتى اذا
تركوا المدارس واستلموا زمام تلك الاعمال يقرنون علمهم بها
ويدركون حقائقها بتدقيق ويزدادون توسعا عند مطالعة
الكتب والمجلات الخاصة بهذا الفن لاسيما اذا كانوا يعرفون
لغة أجنبية جيداً وهو أمر واجب ولكنه من الصعوبة
بمكان ان يبتدأ بهذا المشروع الآن فى المدارس الاوليه لان
المعلمين أنفسهم يجهلون ذلك فجدا لو أسسوا مدرسة
خصوصية للمعلمين ولو حتى فى أيام العطله الصيفيه وهناك
تجتمع عمدة من أفاضل المتمرنين فى علم الزراعة وبعد تأليف
كتب فى ذلك الفن يزيدون بان يلقوا عليهم محاضرات زراعيه
وبذلك يتعلمون مباديها فى فرصة قليله تؤهلهم لتعليم التلاميذ
مبادىء ذلك الفن بسهولة وبعدئذ يدخلون اذا شاءوا مدارس
خاصة بالزراعة لان هذا القطر مستعد لموقعه الطبيعى لها
كيف لا والزراعة مصدر ثروته وهو ممتاز بها عن سائر
البلدان ومع انى مرتاحه جداً لقيام بعضهم بتأسيس مدارس

صناعيه زراعيه معاً لكن ليتهم يعلمون ان حاجتنا للأخيرة أشد من الاولى لان نجاحها غير مضمون اذ ان بلادنا خاليه من المناجم والاحراش فلا سبيل لنا لصنع مصنوعات كثيرة رخيصة نصدرها للخارج كالقطن مثلا وغاية ما نصادفه من النجاح هو ان نسدا حتياجنا بما نصنعه (وهذا في الغالب غير ممكن ايضا) فلذلك وجب علينا ان نوجه كل التفاتنا نحو الزراعة لان البلاد الاخرى تلتجيء للصناعة لكون الطبيعة لا توافقهم على غيرها فهناك لا نيل عندهم يروى اراضيهم بل الامطار الغزيرة تضايقهم والقيظ يعطل عملهم اما فلاحنا هنا فلا مطر ينتظر لرى اراضيه كما وعنده من حصد زروعاته فيجب ان يكون اهتمام كل الوطنيين المخلصين مصروفا ومتجها الى حث الناس على اتقان الزراعة ولست اقول ذلك بغضا فى مدارس الصناعة — كلا فلا يخطئن احد فهم قولى لأنى أعنى انه اذا انشأنا مدرسة للصناعة فلنبذل وسعنا فى انشاء عشرين للزراعة لموافقة ذلك لطقس وظروف بلادنا

هذا كله خلل فى مدارسنا مع خلل اكبر واقوى وهو عدم ملاحظة اداب التلاميذ بالكلية فلست والحالة هذه أجد شرا من افعال

وأقوال طلبة العلم ولو كان ارباب الامور يعيرون هذا الامر الهام بعض التفاتهم يجدون انهم بذلك ينقذون الشبان المساكين من مخالب الرذيلة وان كنت لا انكر ان التلاميذ في مدارس الارض قاطبة من الاشقياء الاشرار لكن شدة الملاحظة ووفرة الاعتناء بآدابهم وسلوكهم ومراقبتهم يقودانهم الى طريق قويم فليتنا نقوم بهذا الاصلاح حتى نرى نهضة كبرى ودورا جديدا على مرسح العلم والتعليم يمر مع الالتفات الكلي الى صحة الطلبة وعيونهم لاننا نرى اغلب تلاميذنا مصابين بقصر البصر وهذا ناتج من اهماله في البيت ويزداد بالتوالي من المدارس وكثرة المطالعه بين السابعة والتاسعه من العمر. هذا وقد اتاح لي حسن حظي ان اقف على قوانين وضعها أحد الباحثين المشاهير في مسألة تعب نظر عيون طلبة العلم وسأكتبها هنا علنا ننتفع بها قال: —

أولا يجب الا يترك نور الشمس ليقع مباشره على مكان أمام عيون التلاميذ ولا توضع أمامهم الواح ثقيلة تعكس نور الشمس الى عيونهم ويجب ان تكون مساحة شبابيك غرف الدرس خمس مساحة أرضها على الاقل وعلو شبابيكها ثلثي عرض الغرفه

ثانياً أن يكون لون الغرفه بجدرانها وسقفها وخشبها واثاثها مما لا يعكس النور المستطير كثيراً وأفضل الالوان لذلك الابيض ثم الاصفر الفاتح فالرمادى الفاتح فالاخضر الفاتح فالازرق الفاتح ثم القرنفلى الفاتح

ثالثاً يجب أن تكون غرفة الدرس طويلة ضيقة وشبابيكها الى جهة مطلقة لا يحجبها شىء حتى يرى التلامذة منها جانباً كبيراً من السماء

رابعا يجب ان يوضع فى الشبابيك قماش أبيض من المبرد الرقيق حتى يمنع دخول أشعة الشمس ولا يمنع دخول النور

هذه قوانين خاصه بغرف الدرس ولكن ليعلم الجميع ان كل الضرر ينتج من كثرة المطالعة والتلميذ بعد صغير السن فلهذا وضع ذلك الاختصاصى الشهير تسعة لوائح يجب مراعاتها بالتدقيق

ان عين الانسان غير مؤهله لان تستعمل فى القراءة والكتابة مدة طويلة في وقت واحد فلا يجب ان نجهدها كثيرا

٢ لا بد من الاهتمام الخاص لجعل النور كافياً لانه يتغير كثيرا فى اليوم حتى ان الوسائل العاديه فى فتح الشبابيك وقفلها لا تكفى

٣ يجب مراعاة ماذكر عن غرف الدرس سابقا

٤ يجب أن يرى كل تلميذ جانبا كبيرا من السماء من مقعده

٥ يجب أن يكون لون الغرف زاهيا مما لا يمتص النور

٦ يجب أن يكون على الشبابيك ستر من القماش المبرد أو ما يماثله

٧ يجب أن يكون فى كل غرفة ستائر بيضاء تستر بها الالواح حتى لا تمتص النور حينما يقل

٨ يجب أن يكون التعليم بالسمع لا بالنظر فى السنوات الاولى الى ان تقوى العيون وتركز على حالة واحدة وحينئذ يتعلم الطلبه القراءة والكتابة فقد كان اليونان لا يعلمون أولادهم المطالعة والكتابة الا بعد أن يصيروا فى العاشرة من عمرهم

٩ يجب أن يحذر التلامذة من المطالعة وهم يسيرون فى طريقهم من البيت الى المدرسه

وانى أرثي لحالة تلاميذ الكتاتيب الصغرى خصوصا لان كتبهم المطبوعه على ورق غير جيد مما يؤثر فى أعينهم كثيرا فالاولى بحضرات الكرام ان ينتبهوا الى تحسين طبع هذه الكتب

هذا وليلا حظ الاساتذه أنفسهم قوانين حفظ أعينهم فعليهم ان لا يجهدوها بكثرة الدرس والمطالعه وان لا يقرأوا ووجوههم نحو النور بل يجب ان يجعلوه خلفهم ولا ان يقرأوا فى ضوء الشمس ولاوهم نيام أوفى قطارات السكة الحديد والعربات أوفي سيرهم فى الشوارع لانها من أردأ الامور وقعاً على العينين فلا يتمكنون من تتميم واجبهم فعليهم بالاهتمام بسائر أعضاء جسمهم وانى اعلم ان بعضهم ميال للدرس لدرجة تنسيهم صحتهم وواجبهم فالى هؤلاء أنصح بالتأنى حرصاً أولا على قوة كيانهم وثانياً على واجبهم كما ذكرت لان الاستاذ الشغف بتحصيل العلوم كثيراً مايرى تماديه فى الحصول عليها خيراً من قضاء الوقت في تلقين ماعنده

للطلاب فيتناهى بالأخذ ويضن بالعطاء فيقضي عليه الواجب بان يخصص وقتاً لكل. هذا ماأراه مع تذكري الآن أمراً اداً تقترفه فئة من المعلمين فسأذكره لان الضرر العائد من ذلك جسيم. ألا فاعلموا يارعاكم الله ان بعضهم لايجد لذة شخصية في التعليم وبديهي عندكم ان اساس نجاح كل عمل هو اللذة الشخصية فيه وخصوصاً في هذا الفن لانه من أعسر الأعمال ولكن لما كان بعضهم يشغل هذا المركز لمجرد التعيش منه فقط تحتم بالطبع عدم استطاعتهم القيام بوظيفتهم كما يجب لانهم يتكلفون حمل التلاميذ على تحصيل العلم فيلقون الدرس ولا يهمهم سواء وعوه أم لا ولا يتعبون في ابتداع أحسن الطرق لترغيبهم فيه فيجب على مثل هؤلاء ان كانوا لا يريدون ولا يقدرون على القيام بمثل هذا العمل الشريف أن يتنحوا عنه وذا خير لهم من أن يغشوا العالم أجمع لان المسألة ليست مسألة احتيال ونصب بل فليدركوا خطارة مركزهم كمهذبي عقول من ربما يكونون قادة العالم لانه على الاستاذ أن يعرف كيف ولماذا يعلم فيعلم انه كالزارع الحكيم الذي يلقي بذاره في أرض مختلفة هذا وليعلم أمثال أولئك ان الاستاذ يجب أن

يكون من أصحاب الأخلاق الراضيه ويجب عليه احرازها كالعلم لان الطالب كما قلت سابقاً يتلقن منه الأخلاق كما يتلقن عنه الفنون فعليه أن يسير سيراً حميدا ولقد يتعزى بعضهم بالقول انه يكفيهم أن يكونوا أدباء ماداموا داخل جدران المدرسة وتلك حجة ساقطة لان مجرد صيتهم يعد قدوة للطلاب فيسيرون عليها وتنطبع مظاهرهم فى أذهانهم انطباعا وذلك ماسيظهر باكثر وضوح فيما يلي هذا وانتقادي الأخير هو على عدم استعداد كل الاساتذة قبل دخولهم الحصة مع انه يجب ان يستعدوا تماما كما ولو كانوا هم انفسهم التلاميذ وليفرضوا دائما كل سؤال يمكن ان يلقى عليهم فى الدرس الذي يتلونه على مسامع الطلاب ليكونوا على استعداد من القاء الجواب اذ ان غلطهم لا يغتفر وخير لهم اذا سئلوا ولم يعلموا ان يصرحوا انهم لا يعلمون هذا السؤال من ان يلقوا جوابا غير واضح او غير صحيح فانهم بذلك لا يعلمون التلميذ الصراحة فى القول ولا يجعلونه يعرف بما لا يعرف وانى بكل حزن اقول ان الامر عكس ذلك مع كثيرين وقد شاهدته مرارا فأؤكد لهم ان هذا شائن مكدر هذا ومع اني

اعلم انه من المستحيل ايجاد اساتذة حائزين على شروط الكمال (لان العصمة لله وحده) ولكن يكفى ان يكونوا من الراقين المهذبين وبذلك تسعد حالنا

اما وقد اطلت كلامى وملاحظاتى فلنلق نظرة ثانية على التلميذ الذى يزداد انفة واستكبارا اذا نقل من فصل لأعلى منه ولو قدر الزمان بان يأخذ احدى الشهادات يختال سيدنا عجبا بها ويزعم انه رجل عظيم فيحوم فى الحانة والكازينو (على كيفه) اوقات بطالته وفراغه وما قبضه على الكاس بغريب ومستهجن لدى لأنه ألم يكن هو الذى كان يمسكها بطفوليته فى حضرة والديه ؟ أم ليس هو الذى كان « يولع السيجاره » لابيه فلماذا يلام الآن اذا كان يأخذ من المسكر والتبغ كميات وافرة وكيف تسدد نحوه سهام التوبيخ ونفس مهذب أخلاقه ومرشده جالس مقابله فى الحانة وهو يتعاطى نفس هـذه المواد السامه المؤثرة على الدم ومن المعلوم ان المسكرات والتبغ من أعظم الضربات القاضية بتسميمه ولا حاجة لايضاح الامراض التى تنشأ من استعمالهما وحسبنا ان التبغ وحده يعرض مستعمله لسائر أنواع البلايا كالسل ومرض

القلب والسرطان والفالج وتهييج الاعصاب والدفتيريا كما قرر أعظم أطباء العالم فالويل كل الويل لمن يستعمله ولا بد ان يندم الشاب بعد وقوعه في أمراض مؤلمة باستعمال ذلك السم العلقم وكم أتمنى أن تكون كلماتى هذه مؤثرة رادعة لمن هو عبد لهذه الاشياء لان نفس الحيوانات تأبى استعمالها فلماذا ياترى يستعملها الانسان « وهل ضرورى للانسان ان يضع فى فمه عدوا يسلبه العقل ويصيره بهيميا بينما يكون في حالة سروره ولكن هو الجهل لعنة من الله بخلاف المعرفة التى هى جناح تطير به الى السماء » (كما قال شكسبير) ولماذا أرى الشاب بعد تناول غذائه يبتدىء في التفكر بالملبوس الذى يرتديه ذلك اليوم وفي الشكل الذى سيظهر به أمام أقرانه فى المساء فيخرج مبكراً ليتردد على محلات صيدناوى بعد ان يتعب من جلوسه على القهاوى فيشترى منها أنفس الحلل وأفخرها أو يذهب (للشيخ سلامه) (وملاعب كرة القدم التي يصرف فيها نصف نهاره) ويتهافت على باعة (اللص الشريف) (ومسامرات الشعب وبوليس أمريكا) وغيرها ويبتاع روايات « هملیت » « وروميو وجوليت » ويدرسها

درسا مدققاً حتى يستظهرها بنصها فلو سألناه عن حادثة فيها يتلوها بحروفها ولكن سله شيئاً عن تاريخ العرب أو المصريين قديماً فيلتفت اليك هادئاً ويقول متهكما « دعنا من هذا كله فقد تركناه فى المدرسة » والق عليه أسئلة علمية تجد ان عقله لايحوى على شيء قط منها وليس فيه ذرة من معارف الحياة ولا يعرف لكيان وجوده سببا ومع كل ذلك فانه يظن متى صار رجلا مستخدما أو بلغ سن الرشد انه قد أصبح هو الفطحل الذى يعول عليه ومحط رحال رجال العلم والفلسفة حتى لياخذه الطيش احيانا وتشتد عنده الحماقة فيناضل من هو اكبر منه معرفة مع وثوقه بقصوره ويا للعجب فكيف يستطيع ان يتعلم شيئا حميدا وهو مغرم بالذهاب لكل تلك الاماكن وبقراءة ماأسلفت وذكرته من الكتب الساقطه ولربما يتهمنى بعضهم ان يحور معنى كلامي فيقولون انى اقصد به التضييق عليهم وتزهيدهم فى الحياة فلا يتنزهون ولا ينشرحون ولكني منها للظنون اصرح اني لست اعنى بان الذهاب الى محلات صيدناى مثلا من المحرمات اذا ذهب الانسان لغرض كساء بدنه لا لغرض الاسراف والتبذير كما هو الحال كما

وانى كنت لا اندد على الذاهبين الى محلات التمثيل لو كان راقيا بمصر ولكنه ما زال منحطا للدرجة القصوى وكذلك فى ملاعب كرة القدم حيث يجدون العدد الكبير من ارباب الخسة والدناءه فلهذا نصحت للجميع بتجنب هذه المجالس كلها ولكم اتمنى ان توجد عندنا مدارس عالية ليلية وانديه ادبية حيث لا سجاير ولا دكاكين ولا قهاوى . أسفى على الاوقات الثمينة التي يصرفها الشاب فى الفراغ غير المنتهى بدون جدوى وبغير اكتساب اقل شيء أجل فان عدد الساعات التي يصرفها امام المرآة وفى الحانة تزيد عن ٣٦٥٠ ساعة سنويا فياله من عدد جسيم هائل يؤيده الحساب بل ويزيد عليه . واحزناه فان مخلوقات الله بنشاطها توبخ ذلك المكسال على تقاعده ولكن لمن لا يعى . . . وذلك لان المدارس والمنازل خالية من حرارة العلوم العالية وأعنى بها تهذيب النفس وخدمة ومحبة الانسانية ولا يهذب الانسان نفسه الا باربعة اشياء هى (١) التعبد لله (٢) واكرام الوالدين وحب الوطن (٣) وعدم تنجيس الشفتين بالبذاءة والمسكر (٤) واحترام السيدات وخدمة الانسانية — ومن أين يتم ذلك وهو يحب نفسه

لدرجة تنسيه الغير فيتفانى فى التبرج حتى يماثل الطاووس لتعدد أدوات الزينة عليه فلا يجد فرصة يلتفت فيها الى مساعدة الآخرين ومثله يصم اذنيه عند سماعه بفاجعة اصابت صديقه وخسارة لحقت بوطنه ويحمد الله سرورا لانها لم تلحقه وهناك فوق الحانات يتكلم بعبارات بذيئة سمجة فارغة ينسبها السلامة الذوق والظرافة وفي اغتياب معارفه أيضا واذا كان والده من الاغنياء فيبدد ثروته بالسفر للخارج ويمسي اصفر اليدين فيستأنف بعد ذلك من كسب معاشه ويسوءنى ان أغلب المصريين لا يهتمون بتعليم أولادهم سائر انواع الحرف والصنائع كما يفعل أغنياء الغرب . ولكن اذا كان شابنا من متوسطى الحال يسعى حالما يستلم شهادته للتوظف فى الحكومة بواسطة بعض أقربائه المشتغلين بمركز عال وانى ابغض هذا الامر واستقبحه جدا لسببين اولهما استعمال الواسطة وكأنهم بذلك يظنون ان الحكومة كرة يتلاعب بها من شاء (وهى بالطبع أرفع جدا عن ذلك) وانها تسير بموجب قول قائل كما وانهم فى الوقت نفسه يقللون من اعتبار ذواتهم ويدلون على انهم لا يقدرون أنفسهم حقها ولا يعرفون لها قيمة ولا كيف

يعتمدون عليها وذلك واضح لاعتمادهم على الواسطة وكأنما يجهلون ان فخر الانسان هو علمه وان مركزه يقوم باستحقاقه الشخصي وأهليته لاغير. أما السبب الثاني فهو انه اذا اوصدت الوظائف أبوابها في وجوه الشبان نجدهم يلتفون حول الحانة من طلعة الشمس الى مغيبها أو يطرقون أبواب المصالح واحدة فاخرى يتلمسون فيها خدمة فلا يصادفون الا كل انتهار وطرد ولعمرى لما ذا لا يتغربون عن الاوطان فى طلب العيش ولا عار فى ذلك (بل العار في الخمول والكسل) ولكنهم لا يتغربون ولا يجدون فى السعي وراء المعالى اذ يزعمون ان حب الوطن يقضى عليهم بان يعيشوا فيه ولو جار عليهم لانه عزيز غير انى أؤكد لهم ان الوطن يرفع رأسه افتخارا لو رآهم يهاجرون الى الاماكن التى منها يعودون بوسامات السعة ورغد العيش ولدينا السودان (وهو قريب منا) وفيه من الاراضى الواسعة الفساح تصير جنة من جنات الارض لشدة خصبها بشرط ان تجد من يفلحها فلما ذا لا يفلحها أولئك الشبان الذين يستطيعون بسرور وبحرية وافرة لو التجأوا الى مثل هذه الاعمال وما لنا وللسودان فهل خلت مصر من الاراضى الزراعية التى تحتاج الى الفلاحة مثل

(كوم أمبو) التى كانت بريه قاحله وأصبحت الآن بفضل مسعى النشطاء المشتغلين فردوسا خصيبا او (هليو بوليس) التى صارت عروس القاهرة البهية والتى تتلألأ فى جيدها بجمال ابنيتها وحسن حدائقها بعد ان كانت أرضا خربة خالية لاماء فيها ولا نبات وحبذا لو اتخذنا الغربى مثالا لنا ذاك الذى اذا ضاقت فى وجهه أسباب الرزق يسافر الى اقصى اقطار الارض ويجد الى ان يصبح من الاغنياء بفضل شهامته ومعاركته للخطوب بماله من شجاعة أدبيه فيعود الى بلاده غانما ظافرا ولو كنا نقلده مرة ولو على سبيل التجربة لوجدنا صوابا ومجدا في هذا العمل .

أما وقد تكلمت عن حالة من لايجدون وظيفة فى الحكومة فلا أتكلم عن الذى توفقت له احدى المصالح الاميرية فاذا كان حائزا على راتب معتدل فلا يلبث بعد قليل الا ان يعاشر ابناء الخواجا المثرى والمقاول الشهير والبرنس الكبير فيلزم ان يجاريهم فى سائر اعمالهم الى ان ينفد راتبه قبل انتهاء الاسبوع الاول من الشهر وما يأتى آخره الا ويكون قد استدان ضعفه فيصبح بعد حين حزينا كاسف البال

فياشبابنا الى متى نبقي فى حمأة الجهل وكيف المهروب من المصائب التى تنهال علينا من سماء غرورنا الممقوت الذى نحبه حباً فوق كل شيء ولقد صدق أحد شيوخ الغرب العلماء فيما قاله لى مرة عند ما كان يكلمنى بهذا الصدد قال « ان المصريين لا ينالون الرفعة الا بنبذ غطرستهم ولكنهم قوم يعرفون مكان ألمهم الدفين ويلتصقون به » فيازهرة حياة مصر لماذا تسجدون لتمثال الكبرياء وتترفعون عن مساعدة الجنس اللطيف خصوصا وتنظرون لكل نهضة علمية منهن بعين المنتقد المستهزىء (فلا خير منكم ولا كفاية شركم) على رأى المثل العامى. أما بالحق ان قصيدتى هذه الآتية لتنطبقن على وصفكم تماما وتجسم فعالكم فاسمعوها واحتملوا شدتها لان الحق مرسوم فى كل كلمة من كلماتها ! ـ

الى الكسالى

هذا حديث سأبديه بشدته عساه يصلح ماقد مر من خلل

فى يوم أمس وقد زادت حرارته

من الشجون وما أشكو سوى الملل

خرجت أقصد ترويح الحواس من العنا الوفير بهذا اليوم والشغل
في معبد الاقصر الفيحاء ذاكرة قومي ومن قدسموا في الاعصر الاول
سألت نفسي عن سر ارتقائهم فيما أراه مجيداً مبهت المقل
علمت أمراً عظيما قمت أكتبه لعل لي فيه منجاه من الزلل
حب البطالة فينا بات حليتنا والقلب من شأن هذا الامر في وجل
فلا تقولن يامكسال ان ابى من السراة كثير المال والحول
ماالمال الا بنفح البذخ منصرف والدهر يرمي نفوس الكل بالغيل
لا عار في الشغل حاشا سادتي أبد ماالاصل والفصل ذا أوهى من الطلل
ليس الفتى من أبوه كان مرتفعا فوق السماكين بل أعلي من الحمل
ان الفتى من يقول اليوم هأنذا بالجد والكد نرقي غاية الامل
شبابنا قد تراخوا الآن في كسل والفخر حقا لنا ياقوم بالعمل
هيا اذكروا دائما أجدادنا العظما وهذه الارض كانت أسعد الدول
على القهاوى نراهم ضيعوا زمنا بالقصف ذلك عين الجبن والخطل
وبالقبيح كلام تستطيع به أفواههم كغزير الغيث والهطل
وان هموا بصروا حسناء ماشية بالقرب منهم رماها الكل بالمقل
الفاظ سوء اليها صوبوا اسفي بأشنع اللفظ والاقوال والجمل
هل يرتضون اذا مرت شقيقتهم وأذنها سمعت سوءا من الرجل

بمثل هذا يضيع الوقت منصرما من غير فكر ولا علم ولا عمل
امام مرآتهم يمضي زمانهم في كي شعر ولبس غير معتدل
في دهن شاربهم بالطيب عن سعة بعقد اربطة في زينة المقل
ليس الجمال بأثواب تزيننا ما السر في زينة الملبوس والحلل
بل انما الحسن في علم وفي أدب والمرء يرقى بهذا احسن السبل
كم سار واحدهم كالغصن منعطفاً نحو اليمين بتيه غير محتمل
تبدو منشته مهتزة معه كانها اسل في قبضة الرجل
كم يدفعون ريالا للتمتع بال تبغ الكريه وسير غير معتدل
وفي سبيل الترقي بارة منعوا لا بدع في ذاك هذا منتهى البخل
وهم يريدون أن يرقوا بلا تعب ويخدموهم بلا شكوى ولا ملل
بقوة البأس هم قد يدرعون كذا فيقتلون العدى بالدرع والذيل

مع انهم لو رأوا احدى الهوام أتت
عليهم أصبحوا في شدة الوجل
لاى شيء يقيمون الدعاوى في
كل المحا كم من بعض ومن غيل
وقد سالت حكيما كان يخبرني
عن سر تأخير مصر حيث صرح لي

فقال ما أحد منكم له ثقة بصاحب ان هذا منتهى الخطل
ان كان ينبغ منهم في الورى احد لاشغل يديه غير القدح والجدل
وأنت يا ايها المسكين حسبك ذا وخذ نصيحة من اسدك بالعجل
لاتقعدن بلا سعي ولا عمل وتطلبن عيشة بالنصب والحيل
لاتقصدن صديقا او تقول له هيا اعطني بعض مال انت متكلي
طبعا يقول ولا يخشي معاتبة لاشيء عندي وهذا كان من أملي
تمر من عنده والقلب تحرقه نار المذلة في ذعر وفي ملل
وان أعارك بعض الشيء من به وهذه شيمة الاصحاب واخجلي
شبابنا اقلعوا عن تلك واتئدوا فيه سعد لنا في آخر الأجل

هيا انظروا الرجال الغرب كيفهم
بالاجتهاد لقد جازوا على زحل
في كل أرض نرى منهم فضائلهم وقد أعدوا بها شيئا من النقل
قوموا اتركوا هذه الاوطان وانتشروا
في البر والبحر بل والسهل والجبل
واجنوا ثمار المعالي الماضيات لنا حتي نبيت من الاسعاد في جذل
بالاجتهاد بلوغ القصد بل وبه ينال كل مجد غاية الأمل
يامقصد الخلق دبر شأننا وأقل هذي البلاد من الاملاق والخطل

وجد لنا بهبات منك دائمة لعل أيامنا تزهو بمقتبل

هذه حالة شبابنا المشتغلين بحب الشهوات والاسراف الفارغ ومن المحزنات ان يكون بينهم من عليهم اعالة عدد كبير من الانفس . واه ان قلبي يتقطع عند ما أتأمل حالة عائلاتهم وما هم فيه من البؤس والشقاء فمن أم باكية وأخت حزينة وعمة نائحة وخالة تعسة يندبن حظهن السيء بهم ولو علموا بمقدار مسؤليتهم أمام الله على هذه الاوقات الثمينة والنقود كانوا يطيحون تلك الشرور عنهم ويعملون لآخرتهم بعد دنياهم كما واني حالما القي نظرة على المشتغلين فى الوظائف الحرة كالتجارة والزراعة وهما أهم الحرف بمصر تهمل مدامعي مدراراً لان حالتهم توجب الاسف . فالتاجر لا يستعمل الحزم فى بيعه ولا الترتيب في أعماله فبينما نرى دكانه وقد اختلط فيه الحابل بالنابل من البضائع نشاهد فى أحد أركانه جماعة من أصحاب البطالة وهم يكلمونه في أحاديث لا طائل تحتها وقد تحولت تلك الزاوية الى (بار) بفضلهم وبحسن سجاياه وكرم أخلاقه اذ يأمر لهم باقداح الجمة والقهوة فيضيع وقته جزافا مع ان التاجر الغربي يقتر فى بذل وقته ويحرص عليه

حتى انه يحدد لكل شيء ثمنا خاصاً به ويعلقه فوقه ويضم كل شيء في مكان خاص له بخلاف الشرقي الذي يحب المساومة وطول الجدال على الثمن فقد شاهدت سيدة صرفت نصف ساعة في تنزيل ثمن متر قماش وهي تارة تكرر على التاجر الرجاء وطوراً تهدده بعدم اشتراء حاجاتها من عنده فيما بعد وبقيت كذلك الى أن اعطاه لها بربع القيمة التي طلبتها (وكان قد طلب منها عشرين قرشاً ولكنها دفعت له خمسة قروش فقبلها منها شاكراً) وبقيت أنا طول تلك المدة اعاني المشهد وبذا صرفت ثلاثين دقيقة في سماع تلك الكلمات التي كنت في غنى عنها مع شدة احتياج الانسانية الى هذا الوقت من تلك السيدة ومن ذلك التاجر ومني ولكم اقدمه للمروءة بكل ارتياح وسرور لو كنت وفرته من ذلك الاجتماع ولكن هي جهالتنا تسوقنا الى كل محزن . . أما المزارع فحالته تستلزم الشفقة لانه بعد الحصاد يجلس كئيبا يعد الدين الذي عليه وهو لا يدري من أين أن يسدده ولو استعمل حزمه من البداية كان وفر هذه المتاعب والاضطرابات على نفسه فلماذا يذهب مزارعنا ويستأجر مائة فدان مثلا وهو في حالة لا تساعده على ذلك ثم يذهب ويسحب

المبالغ الطائلة ليقوم بمصاريفهـا ولربما خسرت زراعته أخيرا فيندب سوء حظه وينعى خراب بيته . . .أتدرون ماذا افعل لو كنت تاجرا او مزارعا ؟ لى اقتراح اود تقديمه فتكرموا بالاصغاء له : —

كنت أؤسس مع اخوانى التجار والمزارعين جمعية تجتمع مرة كل خمسة عشر يوما ويعرض على كل عضو بها دفع رسوم ماليه وقدرها جنيه مصرى فى كل اجتماع ويعطى بموجبها ايصالا وتلك المبـالغ التى تجمع تحفظ فى خزانة حديدية تحت ادارة لجنة من نخبة الفضلاء العقلاء الأمناء ويطلق على تلك الخزانة اسم « صندوق توفير التجار أو المزارعين » هـذا وعلى لجنة مخصوصة تعيين أفاضل الاساتذة فى فن التجارة او الزراعة لالقاء محاضرات مفيدة فى هذا العلم ولا بأس من دعوة الجميع للحضور والاستماع أمامن جهة المبالغ المودعة فى ذلك الصندوق فلا يجوز لاى انسان سحب أدنى مبلغ منها قبل مضي عشرة أشهر على الاقل من وقت ايداعها الا اذا كانت حالة صاحبها تستدعي ذلك مع العلم بأنه اذا قبل سحبها قبل الوقت المعين فعليه ان يترك للجمعية خمسة أجزاء فى المائة من المبلغ الذي يخصه بعد

خص الاسباب التي تضطره الى ذلك هذا و ذ كانت حالة العضو المسكين تحتاج الي الاقالة فى ظروف خاصة جداً فمن الرأفة والانسانية ان يقوم الاعضاء بهذا الامر تفضلا وكرما منهم اذا شاءوا . هذا ومن قانون الجمعية ان لا يستدين قط أى عضو بها وكذلك لا يداين أحداً بالكليه ولا فالجمعية ترفض قبوله فى سلك عضويتها والانتظام بها

هذا اقتراح تردد فى فكرى مراراً كثيرة فآثرت نقله هنا لكى أفسح مجالا لغيره فهل ياترى يحوز قبولا وهل هو من الصواب بمكان ؟

قلت ان حالة المشتغلين بالوظايف الحرة سيئة ولكني أود ان يعملوا أقصي جهدهم فى تحسينها وليعلموا ان الصدق اس كل نجاح وكذلك المثابرة والاجتهاد في اراحة خاطر من تعاملهم بصادق المواعيد غير ان هذا الامر معدوم منا مع انهم لو اتبعوا هذه الخطة الحميدة كانوا يربحون ثقة الجمهور ولا سيما التاجر فانه يجب ان يعين لكل بضاعة ثمنها الذى تستحقه ولا يجعل الربح والولع به لدرجة تعمى بصيرته فيطلب عنها ثمناً باهظاً لا تستحقه تلك البضاعة فيحتقره الزبون

وينفر عنه كالغزال الشارد من وجه الاسد ولست أقصد ان يتقيد الصناع بذلك الامر الهام وحده بل حبذا لو تقيد جميع الناس به مع مراعاة وجوب حفظ المواعيد وعندى ان من لا يحفظ كلامه لا يليق به حتى ان يكون من سكان الآجام وعدنى مرة والدى وانا طفلة ان يشترى لى بناء على رغبتى آلة فنوغرافيه متى رأى فى استحقاقا لها ومقدرة على استعمالها فظننت يوميا انه يبتاعها لى وكل ما مر على اسبوع كنت اظن فى نفسى اهلية لنيلها ولكنه لكي يجرب ثقتى به وليعلمنى وجوب المحافظة على الوعد كان يخبرنى انه لابد وان يشترى لى تلك الالة وفعلا بعد مضى خمس سنين جاءنى أحد الايام وبيده كتاب يبحث فى فن التصوير الشمسي وقرأ لى منه جزءا ثم اخبرنى ان استوعب ما فيه وان أذهب في الساعة الثانية مع شقيقي الى دكان المصوراتى وما جاءت الساعه المعينة الا وذهبنا فوصلنا الدكان وقابلنا صاحبه وهو يبتسم وسلمنى الة صغيرة حسناء وقال ان والدك امرنى بان اعطيها لك ولكن لابد من انك ترغبين ان تتعلمى التصوير فسأشرح لك الدرس الاول وهكذا شرح لنا كل ما يجب

عمله من الدروس العملية فضيت وكلى السنة شكر لسيدى
الوالد اما الآن وقد عرفت كيف اصور ومقدار الاخطار
المحيقه بالاطفال فى هذا الفن والسميات التى يستعملها الانسان
فيه فيتضاعف شكرى له لانه علمنى درس المحافظة على الوعد
فضلا عن شدة خوفه على وشفيقي من تلك التراكيب السامه
التى ربما كانت اضرتنا لو اشتراها لى فى طفوليتى وانى افضل
لو ان تفصل هذه الرأس عن العنق قبل ان انقض كلمة مما افوه به
مهما طال الزمن بعد ذلك الدرس الذى تلقيته من والدى لان شرف
الانسان كله يقوم بهذا الامر فليتنا نقدره وليت سائر عمالنا
يجلونه ويحبون بعضهم بعضا لان حالتهم الحاضرة محزنة ومكدرة
للغايه اذ يحبون التعطيل على الغير مع انهم ابناء الوطن الواحد
وكانهم لا يعرفون ان الواجب البشرى يقضى عليهم بمحبة
بعضهم لان كل من يبغض اخاه يعد قاتلا وانى اكتفى بان
اختم هذا المبحث بأبيات جالت في خاطري وما الشعر الا
ترجمان الجنان ورسول القلب : ـ

الرجل المصري

يا ايها الجنس النشيط اليكم خطرات فكر عنكم تتردد
أرجو بها الخير الجزيل ونفعكم ولكي يدوم لكم بذاك السؤدد
اني كتبت ألوم جهل نسائنا والان اكتب للرجال وانقد
لا تغضبوا مما اخاطبكم به والنصح ابغى للجميع وانشد
لا اقصدن كل الرجال واني للجاهلين أخاطبن واندد
وارى تأخرنا اليهم عائدا لمساوىء فيهم عليهم تشهد
قوم كسالى لا يروج نقودهم الا بكل نقيصة لا تحمد
يتقاعسون عن الرقى جهالة وعلى فعال الطالحات تمودوا
فيروم واحدهم اهانة جاره والتيه ساعده الذى يتقلد
وكانه ملك البرية كلها او انه الفرد الوحيد الامجد
وتراه يشتم بالوقاحة كل من فى بيته ويقول انى السيد
ويظن ان المرء يبقى مكرما بالشتم والحلف الذى يتعدد
ليس العلوم لها نصيب عنده هذى امور عنه حقا تبعد
فبمثل ذا رزئت وحق مصرنا وغيوم جهل في الورى تتلبد
يقضي الليالى فى الخمول ميمما حانا لمال الطائشين يبدد

ما ضره لو كان يترك حقده ويذود من عنه الكرامة يفقد
يأيها المصرى لا تبغض اخا فكلاكما عند الشدائد يقصد
وبالاتحاد بلوغ ايات المنى وبه الفضائل والمكارم تعقد
هيا الزموا حد الثبات حقيقة « فهو الاساس به البناء يشيد »
ودعوا الغرور ولا تطيلوا عهده وعن المعارف سادتي لا ترقدوا
هذى النصيحة للجميع اسوقها وبها الطريق الى العلاء تعهد
وعى بها يعلو ويسمو شأننا وبكل اجياد الحياة نقلد
حتى يقال باننا قوم لنا شرف مضى بالامس بيديه الغد

الفصل الرابع

الخطبة والزواج والاعراس

يتعجل الوالدون كثيرا فى انتظار هذا الامر وتفرح به الفتيات ولو علمن متاعبه وما يصادفن به من المصاعب مارغبنه بل لو تفكرن فى الواجبات التى تكثر وتزداد أهمية عليهن فى ذلك الدور لتبصرن فى تلك المسئولية الكبرى اذ تصبح الواحدة منهن كملك يدبر مملكته الواسعة بسداد الرأى وبالحكمة ولكنى أخشى ان مايرغبهن فيه هو كثرة الحلي والجواهر التى تأتيهن ووفرة التهانى التي تنهال عليهن مع ان معيشتهن تكون حرجه للغاية فشتان بين حالة الفتاة فى بيت أبيها لا يهمها الا الاهتمام بنفسها والكل يعملون مايؤول لراحتها وبين انهما كها فى ترتيب المنزل وملاحظة الطبخ والعمل فيما يرضى الزوج الخ

ولا وسيلة للزواج هنا الا الخطبة التى تتم بواسطة

الدلالات والبائعات السافلات المبادىء (ولكم أصيب فتى بنفس من أحاديثهن اذ تصور الواحدة منهن الفتاة التي سيخطبها ملاكا بهيا حالا على الارض فيتجلي له بعد حين كذبها ونفاقها) وبالجملة فلو سمع منها اخبارا سارة (وهو الامر العام والواقع دائما) يبادر بارسال أمه وأخته لمشاهدة تلك الفادة حتى تتم الخطبة بعد مصادقتهن على جمالها وثروتها (وفي نفس هذا الوقت يحدث الخداع أيضا فقد سمعت عن عائلة عرضت على أم فتى خاطب فتاة صغيرة حسناء ولكنهم غيروها يوم الزواج فرأت تلك الام بدلها فتاة شنيعة المنظر نصف عمياء وصلعاء وعرجاء فوقعت في حيص بيص وبات ولدها المسكين يندب تعاسته مع تلك الزوجة المشوهة الخلقة) هذا ولا بدلي في مثل هذا المجال من ذكر أمر مهم وكثير الوقوع في العائلات فانه متى ولدت ابنة خالة او عم لغلام « يسمونها باسمه » ويعنون بذلك ان تكون خطيبته من يوم ولادتها واذا كانت العائلة عريقة في الجهل يحرمونها من العلم ولربما متى كبر الشاب رفض الاقتران بها لتفاوت درجاتهما العلمية الاخلاقية او لشغفه بذات أدب وعلم من اسرة أخرى وهناك البلية العظمى ولكن

والديهما يلزمانهما بذلك . فلقد سمعت منذ شهرين باقتران من هذا النوع فيه علا البكاء والنحيب من الطرفين غير ان مشيئة الوالدين نفذت لانهما زعما بذلك انه حسن « ان يذهب الارث للقريب لا للغريب » بدون ان يقدرا تلك السعادة الزوجيه التى توازى كل امجاد الارض ومن الغريب انهم يخفون تلك الخطيبة عن ابن خالتها أو ابن عمتها حالما تخطب رسميا له ولست أعلم السر فى ذلك . ولو حدث وكانت فى مكان ما وسمعت صوته تسرع هاربه لتختبيء فى احدى غرف المنزل ولعمرى كيف تستطيع ان تعاشر ذلك الأسد المفترس فى مستقبل ايامها وهى تهرب منه قبل وجودها تحت سلطانه ولكن الهول هين بين ذوى القرابة لان الشاب يكون على سابق بينة من منظر خطيبته، أما ذاك الذى يود الاقتران بغريبه لا يعرف عنها الا مايسمعه فى وصفها من النسوة العجائز وأغلبه بعيد عن الحقيقة (كبعدى عن قارة أمريكا الآن بل وازيد) فياقوم تبصروا فى عاقبة ذلك الزواج المنحوس وما يتبعه من الشقاء والحزن وسببه الاقتران (العميانى) . مسكين انت أيها الشاب فترى هل توافق اذواقك مشارب عروسك او هل هى لطيفة

معشر تصلح لأن تسوس زمام بيتك ! أسفى عليك لان حالتك هذه كمن يشترى ورقة يانصيب ربما كسبت أو خسرت أخيراً معه ولكن غصة تلك الورقه انما الى حين بعكس هذه الحياة التى ربما تكون مريرة لمدد مستطيلة . نعم ونعم مسكين لانك اذا اردت شراء طربوش او حلة ثياب من السوق تستطيع ان تنقدها وتنتقيها على ذوقك لنفسك وتتأمل فيها فتقتنيها بعد الروية وبعد ان تكون قد حازت استحسانك أما الزوج التى ستقتسم معك الحياة فلا تستطيع ان تشاهدها ولو مرة قبل ذلك وانى لاخاطبن آباء وأمهات البنات الذين لايصرحون لهن بمقابلة من يودون الاقتران بهن وهو من الغباوة بمكان كبير ومع ان الشرق فى تفريط بهذا الصدد ولكن الغرب فى افراط فلذا لا أوافق على كلا الحالتين ولكنى أريد ان يسمحوا للخطيبين بمشاهدة بعضهما عدة مرات (بحضور الوالدين أو الاشقاء والشقيقات) وبذلك يتسنى لهما معرفة أخلاق كل فتقل حوادث الشحناء بين الزوجين فيما بعد . ولربما يتبادر الى اذهان بعضهم حجة يتخذونها سلاحا ضد هذا الامر وهو انهم يخشون متى سمحوا للخاطب ان

يقابل ابنتهم بان لا تعجبه وان لا رغبة له فى الزواج حقيقة بل هو طائش يود التسلى بالقول انه شاهد ابنة فلان ولم تعجبه وذهب لأخت جاره وكانت سمراء ورأى ابنة عم صديقه ولكن أنفها طويل وشعرها قصير الخ وهكذا يملأ المدينة بهذه البذاءة فعلى هذا أجيب بانه يجب على الوالدين قبل كل شىء ملاحظة أخلاق الشخص وبالطبع اذا كان أديباً لا يجسر على الاقدام باتيان الغش والطيش وحتى لو فرض انه كان كذلك فرغب عن عادتنا فذلك أخف بكثير من التزوج بمن لا يعرف ولم يشاهد وهذا مالا نفعله فى شراء بطيخة فكيف برفيق الحياة . أيتها الفتاة انى أرثى لحالتك لأننا اذا تعرفنا بسيدة بليدة لا نستطيع أو نرغب مقابلتها ثانية فكم بالحري لو اقترنت بشاب يخالف مشاربك وماذا تعملين الا أن تعيشى بغم طول أيام حياتك الى أن تحملى على الاعناق الى القبر . تعيسة أيتها الصغيرة عند ما تسمعين من والدتك انك خطبت لفلان ابن فلان . . . وله من الثروة كذا . . . ومن الاراضي والاملاك كذا وان عمه فلان بك وجده . . . . باشا خصوصا وأنت فى ربيع حياتك بل وفى طفوليتك وتظن انها عملت أحسن

واجب نحوك باتقائها ذلك الغنى ولا تدرى انها لو لاحظت ميولك ورغبتك واختارت لك الشاب الذى تعيشين معه بسرور كانت قامت بذلك الواجب الوالدى مع وجوب التحقق بان أتيانها بهذا الامر وأنت في ذلك السن يعد من المحرمات لما ينجم عنه من الاضرار فماذا تعملين ولمن تشكين سوء أمرك وأى آذان تصغى لشكواك . انك شقية مسكينة فليرحمك الله وليحرسك وسط هذه الامواج الثائره والرياح النكباء من أوقيانوس عاداتنا الذميمه

عاداتنا الممقوتة تؤلمني دائما ولكن مسألة (المهر) تميتنى كداء المهر تكلم عنه كثيرون وكتب عديدون باستهجانه وانى من ضمن أولئك أكتب كلمتى وانما هى نفثة صدر . المهر وما أدراكم ما المهر ؟

المهر يارعاكم الله هو ثمن العروس . . . يدفعه لها قرينها كما يدفع مبلغا من المال فى شراء حصان جميل وفى بعض بلاد أوروبا هو ثمن القرين تدفعه السيدة كما تدفع بعض مالها فى شراء سيارة . . . وبدونه لا يحصل الزواج أفليس هذا شائن ؟ فالأم ترفض اجراء الحفلة قبل أن تتقاضى الثمن الباهظ من

نسيبها قائلة ان أهاليها وصويحباتها ومعارفها يعيرونها قائلين ان ابنتها رخيصة عندها حتى انها زوجتها بلا مهر ... فيالالجهل ويالالغباوة ... أليس من العار ان يجتهد الآب فى بيع ابنته بثمن كبير ويرفض الشاب الأديب العاقل المهذب لانه لا يقوى على دفع مهر .... استغفر الله ..... ثمن ابنته مهما كانت جدارته لها واستحقاقه لمثلها فيا للشنار ... ويا للويل لان حب المال أعمى البصائر حتى أساءوا فهم الغرض من المهر الذى هو عبارة عن هدية يجب على المهدى اليهم قبولها مهما كانت قيمتها وان كان الوالد يظن ان طلبه المبالغ الكبيرة من الخاطب مما يعزز ويعلى قدر ابنته واستحقاقها للكثير أفلا يعلم انه اذا قصد ذلك أو بعبارة أخرى اذا أراد استلام ثمنها فما يجد من ذلك الشاب ما يوازى قيمتها اذا كانت عزيزة عنده ولكنه يؤيد باستلامه مبلغ مائتي جنيه مثلا من نسيبه انها رخيصة لاغالية ولربما حمله ولعه بالذهب الوهاج ان يزوجها برجل غنى عجوز مهما كانت أخلاقه سيئة وآدابه سافله مادام يقدر ان يدفع مهراً كبيراً فيالالعجب ... ويالالنجده من هذه العادة المستهجنه التي ان كانت هي من أساسات الزواج فعليه

وعلى الدنيا بما فيها الف سلام كل دقيقة

عود — ولئلا أخرج عن موضوعي أقول انه متى تم الاتفاق على المهر ابتدأ الفريقان فى تجهيز لوازم الخطبة أولا ثم الفرح فتتم على غاية مظاهر الابهة حبا فى الافتخار والشهرة الكاذبة ويدفع اذ ذاك المهر ثم ما يأتى اليوم الثانى بعد الخطبة الا ونرى خبرها ماثلاً امعدة الجرائد «بان تمت خطبة ربة الصون والعفاف وصاحبة الادب والذوق السليم وكريمة قومها على الشاب المهذب الاديب الفاضل الكريم السجايا ابن الكرام فى حفلة ترأسها الباشا . . .والخواجا. . . الخ » ولا يخفى ان هذا الاعلان يكلف اصحابه مبالغ كبيرة ولست أرى موجبا لذلك كما وانى حتى من اللاتى لا يرين ضرورة قط باقامة حفلة كبيرة للخطبة بل يكفى ان تكون قاصرة على أهل المنزل بصفة رسمية أو ان يدعى اليها الاصدقاء المخلصون فقط وهذا ما نراه بين الغربيين الذين لا يقيمون حفلة قط من هذا النوع الا اذا كانوا من ذوى اليسار المعدودين وأرباب الحيثيات العالية وذلك عكس ما عندنا لان هذا الامر شائع بين أدنى طبقة فى الشرق عموما وفى ذلك من الخسائر

مالا يخفى على كل يصير زد على ذلك فان أهل العروس يكونون فى هذه الاثناء بانشغال كبير فى تجهيز « شوار » فخيم ضخم لابنتهم متعدد الشكل واللون من أثاث منزل كامل كموبليات ومفروشات وأدوات نحاسية وأوان فضية وأحيانا ذهبية وملابس فاخرة ومصوغات كثيرة الى غير ذلك من مفرغات جعبة الوالد المسكين بحيث لو كان له اثنتان غير ابنته هذه خرب بيته ولا محالة (١) بواسطتهن

---

(١) ارجح ان الزواج مما يحمل الآباء على كراهة البنات والاستياء منهن والتفاؤل شؤما بوجوههن وبولادتهن وقد ذكرتنى عبارة الزواج هذه ومقدار تكاليفها واعبائها الثقيلة ما قاله اعرابى محب فى ابنته فاثرت اثباتها هنا تفكهة للمطالعات والمطالعين الكرام كما تسلى الهموم لان الزواج وعاداته من الضربات المحزنة فالى حضراتهم ما قاله ذلك الاعرابى ؟ —

ولى فى ابنتى حب ولكن ... مرادى وضعها فى قاع لحد
وما هو بغضة فيها ولكن ... مخافة ان تقاسى الهم بعدى
اذا زوجتها رجلا غنيا ... أراها عنده فى زى عبد
وان زوجتها رجلا فقيرا ... فهاهى عنده والهم عندى
وان زوجتها رجلا أميرا ... يسب الوالدين بلعن جد
سالت الله ياخذها قريبا ... ولو كانت أعز الناس عندى

أما المهر فيحفظونه للفتاة حتى تأخذه لزوجها كما هو او اذا كانوا من الفقراء اشتروا به جهازا (غير ان هذا حتى نادر جدا) تنقله من بيت أبيها لبيتها ومن مدينتها الى بلدة بعلها وعندى انه كان الافضل لهم لو يبقون معه المهر ويوصونه بشراء مايلزم لادوات المنزل حسب ماتشتهي تلك التي ستكون ربته وبذلك يوفرون وقتا ثمينا وما لا يذكر لان الخسائر التي تنتج من النقل من مكان لآخر باهظة ولو كانوا يقتصرون على أمر الملابس والمصاغ كنا نحتمل الضربة ونرضى ان نقول انهما ضروريان ولكن مامعنى ان ترفق بقافله من العربات وعليها الاثاث الكثير — أثاث بيت كامل — هذا مالا أعلمه قط وأظن ان مرجع أغلب الخصام الذى يحدث بين عروسين هو لأجل ذلك الأثاث حينما تقول الزوجة ان كل موبليات البيت تخصها وانه لم يدفع شيئا يوازى ما أحضرته معها فيجيبها ذاك انه صاحب كل هذه الاشياء لان دفع لها مهرها عنها مع كل تلك الادوات فيتفاقم الخطب بينهما وما هى الا عشية وضحاها حتي يرفرف فوق رأسيهما علم النزاع . أو اذا بلى ذلك الاثاث بعد حين قريب ولم يكن فى مقدرة البعل المسكين

تجديده وتصليحه تصيح فى وجهه وتعيره بان عائلتها أشرف وأكبر من عائلته وانها عريقة في الحسب وعند ذلك تذكره الساعة التى جمعتهما معا ثم تذهب لوالدها فيجدده وكأنى أسمع لسان حاله القائل « فهاهى عنده والهم عندى » تعجبنى السيده الاوروبيه لانها لا تكلف والديها تلك التكاليف الهائله اذ لا تعول على بذل أموالها فى أوان وأثاث يبلى وخرق تطرح بعد حين كما نفعل نحن الذين نجتهد ان نقتني ما يزيد عن الخمسمائة فستان وعند ما نجد زيا مستحدثا نطرحها لنعمل غيرها . فلا عجب اذا كان أمر الزواج من العلل الكبيره فى تضييق أبواب العيش الرغيد فى وجوه أغلب الشبان . ولكن هيا لنرى حفلة الزفاف ، فيها من الاهوال مالا يقل عما مر ان لم يكن فى الواقع أكثر فى تلك الحفلة تكون المصاريف كلها على الزوج الذى يحسب لتلك الليلة ألف حساب لما سيصرفه من الاموال الباهظه فمن أجرة عربات لتقل العروس وذويها الى شراء ثريات ومصابيح لوضعها أمام المنزل والى احضار حملة مغنين ومغنيات والى ابتياع مقاعد وكراسى كثيرة العدد للمدعوين الى ابتياع دنان المسكر وانواع النقل والفاكهة والخضار

والمواشي والطيور للنحر لذلك العرس المجيد ويفعل هذا جميعه لكي يمدحه الناس ويقولوا انهم لم يشاهدوا عرسا اجمل من عرس فلان ابن فلان وعند ما تأتي ساعة الاستقبال يختل النظام فتشاهد جمعا كبيرا يفد على الدار دون ترتيب او انتظام ولو سألت عنهم صاحب العرس يجيبك انه لا يعرفهم ولربما كانوا من اصدقاء أحد اقاربه او معارفه فيدخلون المقصف ويفتحون (البوفيه) للاكل والشرب والنطق بكلام بذيء تمجه الاسماع وبعد ذلك يلتهون باطلاق المدافع والبنادق وكثيرا ما قرأنا على صفحات الجرائد اليومية خبر موت بعضهم اثر طلقات نارية فتتحول تلك الافراح الى اتراح وتنصب خيمة الجنازه عوضا من معالم السرور . الا فاتركوا هذه الامور الشائنة التي لا يستعملها حتى نفس البرابرة المتوحشين واذا كنتم تظنون انكم بذلك تعظمون الحفلة فليكن السكوت سائدا في اعمالكم والنظام والهيبة في كل خطوة من خطواتكم لانها مجلبة للجلال الحقيقي اذا لصمت املأ للاذان من كثرة الصياح . اما عن السيدات والغوغاء بينهم فتفوق كل وصف فيكون معهد الراقصات القبيحات واني لا بغض هذا الامر الشائن وألوم سيداتنا عليه

جداً لسماحهن باحضار أولئك الفاسدات الاخلاق اللائي تراهن الفتيات الصغيرات يمثلن ادوار المجون والخلاعه فتترك أثراً سيئاً في نفوسهن الحدثه ويبقي عالقا فى اذهانهن مدة العمر فليتنا نتأمل ونعتبر بالاضرار الناجمه عن تلك السفاسف الفارغة وحبذا لو حرمنا وجود امثال تلك الطغمه الشريرة فى اعراسنا والقينا نظرة على الاعراس الاوربيه وما فيها من ابداع ونظام وهيبة ووقار وتوفير وهندام ورونق وبهاء وبالحقيقة ان الغربي يصرف على زفافه ربع المبلغ الذى نصرفه نحن ولكن عرسه يفوق عرسنا بمراحل ويستحق كل مدح واعجاب لما فيه من التعقل وسلامة الذوق فهو يكتفى (بكعكة العروس) وبتوزيع انواع الحلوى والمرطبات علي مدعويه. واذا كان مثريا فيقيم حفلة صغيرة يدعو فيها بعض اقربائه واصدقائه المخلصين وتتم الليله على احسن دواعى الانس والصفاء بين حديث رقيق ولطف ساحر وترحاب باهر وأكل لذيذ وسماع عزف آلات الطرب المنتظمة دون خسارة الاموال الطائله فى امور تافهة فما أعظم الفرق بينهم وبيننا نحن الذين تحب المدح الباطل والاطراء العاطل لميلنا الى

الزهو الفارغ والابهه الكاذبة ـ وكذلك ما نجريه فى اليوم الثانى من المهرجانات الفخيمة التى لا تقل عن يوم الفرح نفسه الا ان يوم « الصباحيه » يزيد بان يكون سوقا لتقديم الهدايا للعروس وما هي الا عبارة عن دبابيس « بروش » وقلائد واقراط ذهبيه ونقود وملابس حريريه فاخره ولكم أتمنى لو كانت تلك الهدايا كهدايا الافرنج لعروسهم لانهم يهدونها اثاثات منزلية مفيده او مبلغ من النقود ليكون رأس مال يساعدها على تأثيث منزلها الجديد وتوفير ثروة صغيرة نافعه تدخرها لعند الحاجة اليها ولكن شتان بين الحكمة والجهل وقبحاً لعدم التروى والبذخ فما الفائدة التى تعود على عروسنا من حصولها على اربعة دبابيس من نوع واحد مثلا وكذلك فساتين عديدة يصيبها العث او تبطل فتصير من الطراز القديم فتطرح جانباً سيما ونحن فى عصر تتغير فيه اشكال الازياء كل شهر تقريبا أفليس من التعقل ان نضع اموالنا فى الامور النافعة فهدى تلك العروس المحبوبه هدية تعود عليها بالصلاح وانى عن نفسى اقدر كتاباً علمياً ادبياً وافضله عن سوار من ألماس الثمين ـ فما قيمة المال عندى لانه يعبث بالعقل

عبث الوليد بالكره ـ دعى المال ياشقيقتى المصرية، وكذلك الحلى فما قيمتها أزاء الحكمة والتقوى والسعادة الحقيقيه التى تنالينها من حسن التصرف والسير بموجب أقوال الحكماء حيث ترفرف على سماء بيتك الصغير أعلام الحب الطاهر واحترام بعلك لك — أتودين ان تحصلى منه على الكرامة؟ أتريدين ذلك؟ أرى قلبى يناجينى بجوابك بالايجاب فلذا استطرد يراعى ليقودك الى مخزن جواهرجى عظيم فتبتاعى منه مايجعلك زينة عصرك فى عينى زوجك وكذلك يهديك الى معمل قماش نفيس فترتدى بأثواب بديعات تخلب عقل شريك حياتك فاسمعى نصيحتى واسلكى فى الطريق الذى أرشدك اليه وهاك هى لشخصك العزيز: —

اخرجى أولا من غرفتك التى كتبت عليها برقتك لفظة « السلام » وسيرى مستقيمة فى مسالك الحب والعفاف الى كتاب نافع تهذيبى وخذى منه العظات البليغه وقلدى نحرك من لآلىء منطقه واجعليه مرآتك وصوغى لنفسك من عرائس معانيه أطواق الفضيلة ومنطقى ذاتك بالعلوم والحجى واحتذى بالصدق والاستقامه وانسجى لك ثوبا من بلاغة الانبياء

الاطهار فى أيام شبابك ولتكمل رأسك مخافة الله وليكن خضابك الفهم والمعرفه بمراود أنكار الذات والأمانة والثبات واقطفي من روض اختبارات الحكماء ورود الأدب الوفى وزيني بها صدرك الصغير فيفوح شذا نيتك السليمة وسيرتك القويمة الى زوجك المحبوب فى عمله وفى كل خطوة من خطواته فتحيي روحه منتعشا ببياض سريرتك ويستريح من معامع الاعمال بالتسلي بذكرك هذه ياعزيزتى أحسن الحلي والثياب التى يجعل لها قلبه ساجداً تحت أقدامك فيراك كبدر الدجى في الليلة الظلماء ويستمد منك الارشاد والنصح ـ فما قيمة المال أيتها الحبيبة ازاء هذه كلها

بقى علىّ الآن ان أذكر يوماً ثالثا بعد الزفاف وهو يوم دخول معرض الهدايا التفرج عليها « ولكن بلا تذكرة وبلا ثمن » مع العلم باتساخ أغلب الملابس من كثرة اللمس وتلف أكثر الحلى من وفرة التطلع فيها أمام النور والقائها على الارض والمناضد فياله من معرض مختل النظام تعلو فيه الضوضاء والصياح بان ثمن هذه باهظ جداً وأجرة صنع تلك كبيرة للغاية وفى وسطها كلها يسمع صوت العروس التي تشرح

شيئاً عن كل قطعة من معروضاتها وكأنها تمثل أمامي في شخص بطل مغوار يقص الوقائع التي حضرها والغنائم التي أخذها وتاريخ حدوثها ولا غرو فهي تقول لصديقاتها ان هذه الدمالج ياعزيزاتي من والدتي وقد اعطتنيها يوم . . . . وتلك منها أيضاً وهبتنيها شهر كذا وذلك الدبوس من والدي اهدانيه البارحة وأما هذه القلادة فمن جدتي العزيزة وقد اشترتها من أشهر مخزن جواهر في باريس وقد وصلني مبلغ كذا من صديقتي فلانه وقد قيدته في دفتر خاص حتى أتذكره فأرده اليها يوم زفافها الى غير ذلك من الحديث الذي يدل على قلة العقل وعدم الخبره خصوصاً وانها ليست أحد التجار حتي تعرض تلك البضاعة للقاصي والداني ولربما كان بين المتفرجات من تنزع نفسها الى اختلاس شيء من تلك الجواهر دون ان تشعر عروسنا اذ تكون لاهية مع زمرة أخرى من صويحباتها وأخيراً عند ما تفتقد تلك الحلية لا تكون الا في عالم يدري بمقره ابليس وتلك الخسيسة . فتحزن عروسنا اولاً ولكنها تخفف عن نفسها قائلة انها غنية وعالمة ان أمها تجلب لها غيرها مع انه كان الاولى بها ان تعرف

ان الاحتفاظ على هدية من قريبتها أو صديقتها او زوجها أو أو الخ امر واجب والا يعد ذلك منها عدم اكتراث بالهدية ومن اهداها فضلا عن ان الغنى لا يخول للانسان ان يجعل أمواله تضيع هدراً من جراء الاهمال لان الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فاربما جاء وقت فيه تحتاج بشدة الى مايسد رمقها الضرورى كما وان الله يعطينا خيراته لنحسن التصرف فيها لا لنحتقرها ونزدرى بقيمتها فيحرمنا منها أفلا يكون من الأليق ان نحرص على نعم المولى وان نصرف وقت الشرح عن اثمان تلك المجوهرات والملابس والمخازن التى احضرت منها فى أحاديث راقية مع الترحيب بالضيفات ومقابلتهن ببشاشه

وانى الى هنا سأوقف مسير يراعى وحسبي ما كتبت فى مسألة الخطبة والزواج وطريقتهما الموجه جداً عندنا وهى ناشئة من عدم الحكمة فانراعيها لنهدم البؤس الماثل على صفاء السعادة العائلية ونزيل الشقاء المفقد لمعنى الزوجية حيث يقترن

الفتاة والفتى الغير المتلائمي الطباع والسن بثالث هو العذاب والنكد في غالب الأحايين

رب متى ينظر الامهات والآباء لهذه المسألة بعين الحذق والاهتمام فتتأسس دور السعادة والهناء فى منازلنا اى اله الخلق انى أتوق لأن اسمع وأعاين ذلك الوقت السعيد وهو منى نفسي وغاية قصدى ففيه سعادة مصر وهناؤها

الفصل الخامس

المرأة . وزوجها . وأسرته

١

وقفت البارحة أمتع ناظرى بمرأى الطبيعة وقد مال ميزان النهار واكتهل ذلك اليوم فرأيت أسلاك الذهب تترقرق فى الفضاء وتتماوج فى البطحاء وقد كست الغبراء بشعاع نور بهيج يأخذ جماله بالعقل اذهو مغناطيس القلوب وبوصلة الخيال يتقاعس الفكر عن أن ينال أقصاه فبقيت واقفة هنالك الى أن أخذتنى تلك المناظر على امتطاء جواد التصور فوصلت مدينة التخيل حيث تغيرت هنالك الى حمامة صغيرة بيضاء وما هى الا لحظة حتى غابت الغزالة بجمالها فظهر بعدها محب البشر الذى يقاسمهم الاحزان ويسامر الساهد المسكين وينفذ سهام محبته الى سرير الموحش وينثر عليه درنوره المعزى

سلطان الليل في السماء ومبدد غياهب الظلماء وكأنه المنجل
في نرجس العلياء ولكن شدة اصفراره دعتني الى الذهول
فعجبت ان كان ذلك لداعي وجله أو مرضه من معاناة السهر
والأرق أم لتفرده عن سائر جيوش النجوم في المنظر فلم أهتد
تماماً الى سبب منها ولكن مالي ولذلك فقد غاب عني بعد حين
فواليت المسير في ليل تجلبب بالسواد وتقمص بالظلام كأنه
مثؤور انتابته يد المنايا فصعقته حتى لان عوده الرطيب وتغير
آهابه كأنه فؤاد مابه بارقة من نور او بصيص من نار سريت
في ذلك الليل البهيم وفي فؤادي جيشان كأنهما امواج ثائرة
لو خرجت من مكمنها يتعكر سكون الليل وتحتدم بين احشائه
نار لو شبت من محلها تضيء ذلك السواد الحالك بل لو اندفعت
تلك التيارات المنيرة كانت تحرق قلبي الصغير او تستقر فيه
فتصيره بركاناً مصعقاً ومازلت كذلك الى ان وصلت الى
حديقة غناء كان بساطها السندسي في غاية الجمال فأخذتني
هيبته على تقديسه وكأن اقدامي عليه كلمات الشفاه على هيكل
مجيد فدخلت تلك الروضة وكأنها طبق من الورد وجاست فيها
مدة قليلة الى ان أفاقني صوت تنهدات عميقات فخفقت وطرت

حالا الى شجرة علياء باسقة لكى أشاهد حيث لا أشاهد فماذا نظرت ؟ وماذا سمعت؟

رأيت فتى غارقا فى هواجسه وهو زائغ البصر بادي النكد والأسى له ابتسامات هى البكاء نفسه وعليه لوائح التعب والجوع جامعا بين التعبين ـ تعب الحياة ـ وتعب العمل فأخذ الجهد منه كل مأخذ واعياه النصب فسمعته يقول « الله اكبر » هل اكفر بنعمته ام اصبر وهذا محال ؟ ام كيف العمل والتدبير لانى عبثا اعيش ولطالما تعللت بالباطل ولربّ مرة نشدت فيها السرور مع هذه العروس المنكودة ـ وانا ديه فلا يجيبني الا الحزن . لانت ايتها الحياة بحر الشقاء ولأنت اضيق من سم الخياط فى عيني فى هذه الوحده الموحشه وكأنى رسول الخيال انقل اليه بوائق الانسان الشرير فيرفعها الى الله. تهب نسمات الرياح فى سكون وحدتى وكانه الهول نفسه يصرخ بى وهاتفريد الطيور يشبه الصياح والعويل كما لو كانت تبكى عني على شبابى الآفل وحياتى المريرة وغرور البشر وتعاستهم الله أكبر فهل لم يخلق للهم غير هذا الفؤاد القدطالت الصداقة بيني وبين الشقاء وتمكنت عرى اتصالها المكروه بيننا ولا غرابة

فطالما دفع العدو قهرا الى التودد لعدوه . ويلاه أين السعادة التي أرجوها فى قفار الحياة ؛ انها لتبعد عنى كبعد السماء عن الارض لانى غريب عنها ولا تعرفنى . أيتها السعادة — لهف روحى ان لم تخترقيها وتخطرى عليها كما خطرت باخرة كليوترا الذهبية على سطح النيل فيتطايرشذا مسكها فى نفسى كما عبقت أحشاء النهر السعيد بتلك . . ألا ارمقيني بنظرة من نظراتك الوطفاء واتركيها عندى يوما واحداً لتؤنسني فى بلائى وتكون معى فى هذه الساعات روحا حلوة تسلينى فى يأسي وصوتاً مشجياً مطربا فى أنين وحشتى المقفره . انني حزين وحيد بين قلب جامد وذهن خامد وفى صدام أهوج وعراك أصم وحبال العداوة تتمكن يومياً بيني وزوجى فلا نظهر احساسنا على غير الظلم والشقاء . كيف يقول الشعراء ان الحديقة والسكون يرفعان الانسان الى الله وفيها حلاوة الحياة ـ تلك كلمة مجهولة عندى لان حياتى كلها مقرونة بالالم والعدم وكالمياه فى خزان هائل تدفقني من أعلى الى أسفل . ثم انهمات دموعه مدراراً واستتلى كلامه فقال : ـ

« حسن ـ جيد » فها العبرات تطفىء حزنى وكلما تصاعد

لهيبه تبادر الى اخماده وهى تخرجنى الآن من يبوسة الألم وتغلبه . .

فنزلت من مكاني الرفيع وسالته « أيها الغريب المسكين مابالك تشكو الحياة ومرارتها ولديك هذه الحديقة والمنزل البهي ؟ أين زوجك لتؤاسيك وأمك فتعزيك ؟ »

فأجابنى زوجى اين هي لتؤاسينى؟ انما هى سبب شقائى — وأمى لتعزينى وهى أصل بلائى؟ فهما لا تتفقان وكأنهما تعملان معا على تعاستي .او آه انى حزين تعيس فارحموك أيتها المخلوقة النشيطة ان تبعدى عنى لئلا تتصل اليك عدوى النكد مني . انى وحقك سيئ الطالع . . . آه و . . .

فقاطعته قائلة « كفاك فانكم دائما تقولون ان زوجاتكم وأمهاتكم اصل بليتكم »

فأجاب اذا سمعت قصتي تصادقين معى على ذلك الا فارعني سمعك أيتها الطائر اللطيفة — فقلت تكلم لانى سامعة وصاغية فابتدأ قائلا : —

« حالما بلغت الحادية والعشرين من عمرى منعتنى والدتى عن المدرسة لتزوجنى فتاة جاهلة من قريباتى وما كان ليخطر

هذا الامر فط على بالى وقتئذ فأبيت. صارخا كلا الى المدرسة والدروس ولكنها غضبت على جدا وقالت « هى قريبتنا وشقيقها مقترن باختك الكبرى مع انه رجل متعلم أديب مثلك فيجب عليك ان تجاريه وتقتدى به حتى افرح أنا بك لانه منذ توفى والدك العزيز كنت مشتاقة لأراك صاحب عائلة (فتفتح بيته) وانت تعلم انها جميلة وغنية جداً وعوضا عن ان تذهب ومالها من الثروة للغريب خير ان تكون لنا نحن العائلة الواحدة» فازددت كرها فى الزواج وقلت لها « يا أمى استحلفك بكل عظيم تحت السماء وعلى الارض ألا تزوجينى بهذه الآنسة لانها غير متعلمة ولا تعرف كيف تعاملنى ولا كيف تنظم منزلها ولا بأية الوسائل تحفظ اطفالها فى صحة جيده لكونها لم تدخل أبواب المدارس قط . بحقك يا أماه اعذرينى ولا تكسرى قلبي فانى لست براغب فى الزواج اذ أريد ان أتحصل على نصيب وافر من الادب خصوصاً وانى الآن فى سنتى المدرسية الاخيرة وقد وعدتيني ان ترسلينى لاوروبا لاصرف فى احدى جامعاتها الكبرى سنتين على الاقل ارحمينى يا أماه بحقك ارحمنى » فاستاءت منى والدتى جداً وأخيراً زوجتني قسرا عنى وهاقد

توالت الساعات علينا وكرت الشهور ونحن فى شقاء مستديم .
فاذا أتيت من عملي متعبا وسألت زوجتى ان تقدم لى شيئا
مرطبا تجيبني ان اذهب للمطبخ وسل الطباخ ما تريد او تكلمنى
بالغلاظة واذا استفهمت منها عن مكان شيء تقول لى البيت بيتك
وليس لى شأن فيه فاستفهم عنه من أمك او خدمك واذا
خرجت ودعانى صديق لى الى منزله لأتناول معه الشاى أو
العشاء فرجعت متأخراً قليلا واعتذرت لها عن عدم تمكنى من
اخطارها بذلك تنظر الى بكراهة قائلة هل انا أمك حتى تستأذنني
مني ومن انا حتي تعمل لى حسابا فى البيت ؟ أو كنت عند
صديقك فقط ومن تلك التى كانت معكما على مائدة العشاء
وان ذهبت لاحي والدتى فى غرفتها تدعى انها توصينى عليها
بالسخط والزجر او اذا كانت هادئة الاخلاق يوما تجلس
امامى وهى تئن وتصيح من الخدم طورا ومن امى تارة وشقيقتي
أخرى فتسمعها والدتى وتجيء بسكينه صاغية لباقى الحديث
ولكنها تشاء ان تبرز نفسها امامى فيعلو الكلام والجدال
بينهما وأنا حائر لا أدرى ماذا افعل ومن منهما أراضى فاخشى
ان اخفف ثائرة غضب والدتى فتقول هاهو يكرهنى ويحبها

وأخاف ان انصح لأمي السكوت فتصرخ يالك من ولد عقوق ظالم تنكر تربيتي واتعابي وتفضل هذه عني. فيتفاقم على الخطب لتشدد زوجتي وصلابة جانبها ومحاسبتها لي على كل صغيرة وكبيرة وميلها للتسلط على المنزل وادارته وأثرتها في والدتي وأسرتي وأرى هذا الميل يزداد فيها يومياً وهو مفسدة لاخلاقها كما للمرأة عموماً أفلا تعلمين يارعاك الله انه قد بلغ حب السلطة من النساء لدرجة تنسيهن الحنان والعاطفه الحية فقد جاء قديما في احدي التواريخ ان بعضهن فقأن أعين أزواجهن ليفاخرنهم بما لهن من دلال وملاحة وليستلمن أمر قيادتهم . وأرى هذه احداهن لاترق ولا تلين . ولقد كذب من قال ان البيت هو الملجأ الناعم للرجل وان المرأة هي الساحل القوى الذى يأوى اليه فى ثورات الجهاد الحيوى وفى رقتها وحلاوتها ما يزيح الهم عن القلب اذ تبدد المصائب بصوتها الموسيقى اللطيف وهي زينة الحياة وممثلة العواطف الشريفة لاولادها فيارب أين تلك الاوصاف ؟ جازاك الله يا أمي لانك زوجتيني صغيراً فجعلتيني أتجرع مرارة الحياه غصصا متتابعة ولكن أرأيت أيتها المخلوقة النحيفه امرأة تلتجيء الى استعمال

التبغ لان والدتى تستعمله ولكى تتساوى بها تدخنه مع انى أنا نفسى لا أذوق تبغاً ولا مسكراً. آه يا أمى جازاك الله بل انى أجتهد ان أسامحك » وبينما هو كذلك سمعت صوتاً غليظاً من الداخل يقول « قاتل الله اليوم الذى اقترنتك فيه » فالتفت الى متأوهاً وقال هذه عينة من كثيرات غيرها فما حيلتى ؟ قيل انكم معشر الحمام حكماء فدبرينى ؟ . . . . .

فصمت لحظة وسألته « هل عندكم ولد » فهز رأسه بالايجاب فقلت له وهل تحبه فأجاب « أى نعم بكل تأكيد » فاجبته الا فاسمع « ذكرت ان امرأتك مستبدة ميالة للسلطة فلم لا تحتملها بصبر وتعاملها بسعة صدر لانكم معشر الرجال — أغلبكم — أشد منهن ميلا الى ذلك — فعليك بالرفق بها حتى لا تجد سبيلا الى شدة الحرص على تلك السلطة فالاجدر بك ان تسلك معها مسلك الملاطفة واذا ما اشتد بك الغضب فاخرج الى الحديقه واجتهد ان تضحك بصوت عال ثلاث مرات لانه مع الخلوة فى الهدو ينعش احساسا هائلا يهب بك الى السماء فتضمحل نفسك من مقاذر الهموم وحسبك

انها هبة من الله ونعمة تهدى نفسك الحزينة الى مرفأ العزاء.
رح واطرح نفسك على صدر هـذا البساط العبقرى فتجده
أما رحيمة عليك أيها الطفل الواهن وحبذا ابتساماته التى
تشف عن شموس الورد. انك تجد لك رفقة سعيدة في
احشاء هذه الروضة وزوجة حنون فى تعانق الأشجار وابناً
محبوبا فى تلاحم المجارى وذوبان أسلاكها اللجينية على صدر
الماء وخير مسل ورفيق فى تلاثم الزهر. تعال هنا عندما يشتد
غضبك واطفأ جمرته فى دولة الفضاء فترسل عليك نسيمها
اللطيف الذى يحمل اليك البشرى بان الله يحبك وقد أرسله
لك. واعلم ان لكما طفلا يجب ان يربي على الحنان ومن أين
يتم ذلك وهو يرى النزاع متصلا بينكما فاكراماً لخاطره
اجتهد أن تعاملها بالعطف واخبرها هيا عزيزتى نربى معاً هذه
الزهرة اليانعة ولكن أخبريني أنت كيف نربيه لانك أدرى
مني بمالك من رقة قلب وحكمة وبعد ان تفرغ من ذلك أجلس
أمام المصباح مساء واقرأ لها قصصا مفيدة وأخباراً أدبية علمية
تكون بمثابة درس لها تتلقنه منك بدون أن تشعر بذلك
أخبرها عن نوع العمل الذى تعمله واجعلها أن تشاركك

فى ابداء أفكارها فيه . لاتشرع فى أمر ما بدون ان تستأذنها ووالدتك العزيزة أيضا ولكى ترضيهما كن فى جانب الاثنتين معا ومتى رأيت الخصام مشتعلا ضيمه بحديث آخر ولا تصغ لكلمة منه وعند ما تكون مع زوجتك اخبرها ان تخرج معك للحديقة وهناك باسلوب لطيف علمها وجوب محبة والدتك حتى ولو اكراما لخاطرك وعرفها انها ابنتها كما انك كذلك واذهبا معا لتقبيل يديها كل مساء لتنالا بركتها ورضاءها وبالجملة عودها ان تعرف بان مايخصك يخصها وانها الشريكة الوحيدة لك فى احوالك وبذلك تشعر فى نفسها ان لا لزوم لاظهار سلطتها علي لطفك هذا فتتحول الى ملاك وديع اما اذا ضاقت الحيل فى وجهك ولم ينجح فيها دواء فاترك بيت ابيك واتخذلك ولزوجتك منزلا خاصاً حسما للنزاع ذلك أحسن واريح وفيه تعقل وحكمة ولكن جرب ما قلته لك ايها الانسان مرة معها والله لايضيع أجرك ومجاهداتك

فاطرق برأسه وقال صدقت فانى لم أعاملها كذلك — وسأسير بموجب نصحك وأهديك الآن هذه الزهرة الصفراء كرمز عن شقائى وحظي المنحوس وسعادتي الذابلة فاذا قدر

الله وأصلح حالنا تذكرين ان واهب هذه الزهرة فرح ويشكرك لارشادك اذ قد استبدل اصفرارها ببياض المعيشة والهناء او اذ كان العكس بالعكس تتألمين معي متي وقعت عيناك عليها فاتعزى عند ما اعلم ان بين المخلوقات التي تحت السماء من تشعر معي في حزني ولكني على أي الحالات انتظر وارجو لنفسي خيراً

فاخذتها منه شاكرة ووعدته رخاء اذا سار بموجب قولي المار واكدت له أن أصلي لاجله وزوجته والتمس من الله اصلاحها وعدت للمنزل وكان هزيع الليل الثاني قد انصرم فاوقدت مصباحاً وقبضت على قصبتي المرضوضة بيد متألمة تهتز ارتعاشاً من هذه الحالة لا كتب كلمة للأم الجاهلة (من عالم الحقيقة) واخرى للزوجة المستبدة :-

فيأيتها الأم الحنون هل تفرحك عيشة ولدك المسكين الآن ولما ذا أخرجته من دور العلم لتزجيه في هذا القبر المحزن واذا كنت قد اخذت على عاتقك ان تزوجيه بقريبتكم فلما ذا لم تجتهدي في تثقيف عقلها بلبان الادب وطيب المعشر ولين الجانب ؟ ولماذا (وانت سبب وجودها في بيت ابنك)

تحبين الجدال الطويل معها وتتناهين فى غرورك وآرائك وانت فى هذا السن وكان يليق بك ان تصلحيها لان النصح من اعمالك لا الخصام وكثرة التشكيات لابنك سيما وان عليك ان تصرفى ايامك الباقية فى الصلاة والتعبد لله والتلذذ بسماع أصوات فلذة كبدك واياك ان تغارى من زوجته اذا أظهر لها حنوا وعطفا لأن هذا واجب مفروض عليه فشاركيه فى ذلك تأسريها بمحبتك وتصبح مقيدة بحبال رقتك وأهديها وزوجها الى الطريق السوى وخذيهما معاً للاقتراب الى الله طالبين منه البركة فتفلح أعمالكم .

وأنت أيتها الزوجة المستبدة كيف تلاقين زوجك بعبوسة متى عاد من أعماله ولماذا لا تبادرين اليه بالمرطبات وترمين له الانغام الحلوه التى تطيح عنه التعب وكيف تقولين له ان المنزل منزله لا منزلك مع انك أنت الحاكمة الآمرة شرعياً عليه وان كان لبس منزلك كما تقولين أفلا يكون محقاً ومصيباً بعد ذلك اذا استحضر من تستلم قيادته عوضاً عنك ؟ هل يلام بعد كلامك هذا ؟ أراك تشكين اليه ان أمه تتداخل

فى أعمالك اذا ذهبت مرة للمطبخ ولاحظتها عنك تخفيفاً لاتعابك فكيف لايكون المنزل منزلك بعد ذلك — ليت شعرى كيف يطاوعك فمك فتخبريه اذا اعتذر لك عن سبب تأخيره من العودة للمنزل لداعى تناوله العشاء مع جاره انه كان مع احدى النساء ؟ كيف لاتثقين به ؟ وكيف تكررين عليه هذا الكلام البذىء بكثرة حتى تعلميه ان هذا الأمر متيسر ومستطاع له وتسهليه على أذنيه وقلبه فيجد سهولة كبرى فى اجرائه لأن كثرة تكرارك علمته ذلك . أوترغبين أن يجلس الى جانبك مقيداً طول حياته فلا يخالط أحداً من الخارج ويمتنع عن زيارة أصدقائه فيفقد مركزه الاجتماعى من بينهم وهم من نخبة الناس أو اذا لم يعبأ بكلامك وذهب اليهم يتجهز لديناميت الفاظك فهل هذا عدل منك ؟ أنا لا أقول بان يخرج ويتركك لوحدك ويعود اليك بعد انتصاف الليالى ولكنه يجب أن يعاشر الناس ملتزماً حد الاعتدال والسير القويم مرافقة له فى زياراته اذا شئت . انك بعدم ثقتك به تجلبين لنفسك الشقاء وله ولأهاليكما فما هو الباعث فى ذلك كله ؟ ان باعثه الغيرة العمياء التى تجلب التعاسة . لست أنصحك

بان لا تغارى قليلا عليه اذا رأيته حائداً عن طريق الاستقامة رأى العين لا من مصادر أخرى تأتيك ممن يكرهون خيرك فيجب أن تنصحيه برقة وبذلك تبرهنين له على محبتك ولكن لا تجعلى محلا للريبة فى قلبك قط سيما اذا كانت وظيفة بعلك تدفعه لقضاء أعوام للسيدات كالمحامين والاطباء والقضاة ورؤساء الاديان ولا تفتكرى انه يأتى أمراً أداً بمكالمتهن وانجاز أعمالهن بل ساعديه على مساعدة البشريه واخدمى معه الانسانية . ما أحلى الثقة بالزوج وما أحسن المحبة بين الاثنين انها رسول السماء الارضى ونعمة تقلها الغبراء فخففى عنك وظني به خيراً وثقى انه مقيم على ودك بفضل حسن سيرتك وأخلاقك الطاهرة وبذا تجلبين راحة البال لكم جميعاً . ولماذا تكرهين حماتك المتقدمة فى السن وتنسبين اليها انها تحمل أخبار سوء عنك لزوجك وتعمل ما فى جهدها لاسقاط مقامك ودرجتك من عينيه — فتبذلين مافى الجهد لنصب شراك البغضاء والشحناء لها مع انه كان يجب ان تجتذبيها لقلبك بحسن المعاملة وباللطف وهو رأس صفاتك وبالبشاشة وهى معوان لك عن التغاضي عن هفواتها واذا كنت

تزعمين ان ذوقها يخالف مدنيتك الحديثة فتأكدى ان المخاصمة لاتجديك فائدة فتساهلى معها وأغمضى طرفك الصغير لدى غلطاتها ولاتسعى فى تفريق أفراد البيت لانه ويل للمرأة التى تفك حلقات المحبة المربوط بها زوجها بصلة البنوية والاخوية ويل لها ان كانت كذلك فانها تصير رئيسة للشياطين ويل لمن تكون السبب في تكدير الجميع بالمنازعة والشكوى لزوج المتعوب متى جاء من أعماله ولتكوني واثقة انه لايستطيع ان يكره أمه مهما كانت الحالة لانها ربته ومعه من قبلك كما وانها الحاكمة من قديم الزمان على ذلك البيت الذى تريدين استلامه منها الآن فيصعب عليها ذلك فلك أقول ان تتغاضى عن كل ذلك لأنى لا أبرروها أيضاً اذ لا بد ان يكون فى كل مخاصمة لوم على المتنازعين فلا يمكن ان تكونى مخطئة صرفاً كما ولا يصح ان تكون هى على جانب الصواب كله فلذلك عليك ان تعلمي انها ليست معك كل أيام حياتها التى هي قصيرة الآن مع اعتبارها والدة لك ولو على سبيل المجاملة ولو اجتهدت فى تخفيف وتسكين غضبك والتبصر فى معاملتها بالحنان والرفق كنت ترينها احياناً (ان لم

يكن دائماً) أطوع لك من بنانك . كذلك كيف تلجأين الى استعمال التبغ مثلها فان كانت هى قد اعتادت عليه منذ سنين طويلة فلماذا تضرين نفسك باستعماله وقبيح على المرأة استعماله أفلا تدرين بانه يسلبك جمالك ويجعل در أسنانك أصفر ويغير لثتك وشفتيك وقد أوضح الاطباء اضراره وعما فى كل لفافة من (نيكوتين) وهو من السموم الزعافة وكيف يؤذى الصدر والعينين . حرام أيتها الجميلة ان تضيعي لمعان عينيك وبريقهما وان تجعلي صدرك يخفق شديداً فى مثل هذا السبيل لا فى سبيل عطفك وحنانك على بعلك وفلذة كبدك . ماذا تستفيدين من هذه المناظرة الفارغة غير فقدان جمالك ان هو الاجنون وحمق فاطرحيهما عنك ظهريا .

أيتها الحبيبة الصغيرة كونى بالاحري مستودعاً للهناء لتبعثي فى فؤاد هذا الزوج أشعة الصفاء ولتنبذى شعاع الكمد وتصيرى فردوساً لروحه فتنفحيها بالنغم اللطيفة فتستطيعى ان تخضعيه بلطفك لا بالقسوة والاستبداد « لان فى تبسمك من القوة ما ليس للرجل فى كل أعضائه ونظرة من نظراتك تفعل من السحر مالا يفعله المنوم المغنطيسى » انظرى فى أمر

ملابسه ليكون حسن الهندام فيمدح الجميع ترتيبه بفضلك .
هـذا طفلك اعتنى بصحته الاعتناء اللازم وكوني كما وصفك
الحكيم سليمان « امرأة فاضلة من يجدها لان ثمنها يفوق
اللآلىء بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج الى غنيمة تصنع له خيراً
لا شراً كل أيام حياتها زوجها معروف في الابواب حين
يجلس بين مشايخ الأرض العز والبهاء لباسها وتضحك على
الزمن الآتى تفتح فمها بالحكمة وفى لسانها سنة المعروف يقوم
زوجها أيضاً فيمدحها » أو كما قال أحد الكتاب المشاهير «ان
ليس فى الوجود ما يماثل نطقك بعد السكوت لانك أفصح
الناس اذا الفم الحزن الفصحاء فأحزن صوتك مفرح وارفع
أجوبتك سهل وأنت ملجأ للحائر الشريد » ما أحلى البيت
الذى تديره امرأة حكيمة هادئة فيه تعلو أغاريد الاطفال وهم
ملائكته المرئية فكوني حازمة حتى تبطل حجة أغلب الرجال
بالقول « ان أصل البلاء من النساء » وعشمي ان تكوني لينة
الجانب جاعلة رائدك « اللطف » وقائدك « الحق والسعادة »
تلك كلمتى أرفعها للجميع وهى واقعة متعددة رأيتها بمنظار

الحقيقة فى مدينة الخيال فعليهم باتباع هذه السطور حرفاً بحرف
لعل خيراً يأتيهم منها ان المتعال قدير

المرأة وتدبير المنزل

٣

ها قد جاء دور العمل ياسيدتي العروس فأراك منقبضة الوجه لا تعلمين كيف تختارين لك منزلا ولا كيف ترتبين غرفه وتنظمين مطعمك وتصنعين طعامك ولا كيف يتعلم خدمك اطاعة أوامرك كما ولا كيف تقابلين زائراتك ولالوم عليك في ذلك كله لانك لم تتعودي فى بيت أبيك فوا أسفى عليك وعلى حزنك وكآبتك هذه لاستياء زوجك منك تارة ومرض أولادك أخرى وذلك لقلة خبرتك ودرايتك : فتعساً لحالك أيتها الشقية. ويالحزني لان أغلب منازلنا خالية من أسباب الراحة الأمر الذى يحبب القهاوى والحانات (والكلوب) الى الازواج المساكين فيخرجون تاركين بيوتهم هاربين من قلة انتظامها مع توفر الخدم والحشم لديهم . ذهبت مرة لزيارة

احدى صديقاتى فرأيتها منبوشة الشعر قذرة الملابس والاتربة تعلو مقاعد بيتها ورأيت في غرفة الاستقبال بعض أوانى المطبخ وكذلك أمام غرفة النوم فنظرت حولى بدهشة لأنى شاهدت الخادمات واقفات بدون عمل لاهيات بتضفير شعورهن وحالما رأت علائم الاستغراب والأسف بادية على وجهي قالت « ويلي من الخادمات فانهن لا يرتبن المنازل قط فأجبتها ولماذا لا تراقبيهن فى أعمالهن كلها وتأمريهن بتنظيم سائر الاشياء فى وقت خاص بها فقالت أواه ان وقتى ضيق وان تركتهن ليعملن الأعمال لوحدهن يسرقن ما يجدنه فى وجوههن فكررت عليها انها لو لاحظتهن ماكانت تفقد شيئا اذهى كما كم على ايالة وعليها مثله ان تعيد نظرها على كل اعمال موظفيها — خدمها — ولكنى قلت فى نفسي انى لست أرى فيها خيراً لنفسها لشدة قذارتها ولعمرى هل كانت تنتظر ان تنظمها الخادمات وتعلمنها النظافة أفليس هو اهمالها وعدم اهتمامها بالترتيب وشدة كسلها الذي يقودها الى تلك الحالة السيئة . وأخيراً سألتنى عما اذا كنت اشاء أن أشاهد بيتها الجديد فاجبتها الى ذلك وتبعتها الى غرفة النوم وكانت في ناحية لا تصل اليها الشمس قط

وهناك ماذا رأيت ؟ ....

رأيت تحت الاسرة أوانى الاكل وسلال الخبز فكأنها (مخزن مأكولات) ونوافذ الغرفة موصدة واصص الازهار الذكية تملأها فضاقت الدنيا فى وجهى وثقل تنفسى فخرجت الى المطبخ الذى كان مقابلا هذه الغرفة البديعة ولكن كيف اصف هذا المطبخ ؟ .... هل ابتدىء بذكر نظامه المختل وقلة ترتيبه أو أكتب عن تصاعد رائحته المنتنة واتساخه — عجباً فانى أعاينه كبركة من الاقذار — والاوعية منتشرة فى نواحيه الاربع وممتدة الى الغرف الخارجية كما ذكرت أولا فوجمت متكدرة وقادتنى من هناك الى غرفة الاستقبال (وكانت بجوار المطبخ) حيث احضرت لنا الخادمة شرابا مرطبا فى كؤوس منطاة فتناولت احداها ورفعت الغطاء فاعترضنى على سطحها نسيج عنكبوت حقق لى ان الخادمة لم تغسل تلك الكؤوس قبل استعمالها ولم يسعنى الا ان أعيدها الى مكانها بهدوء فسألتنى ربة الدار عن عدم تكرمي بشربها فأبيت ان اخبرها تأدبا لانها كانت تشرب كأسها غير انى التزمت لكثرة حلفها

وطول جدالها ان اخبرها بالحاصل فقامت امامي تلعن الخادمة وتشتمها (فلم اتمالك بان احقق لها ان اللوم عليها لانها لم تذهب الى المطبخ وتعاين خادمتها فى صنع تلك الاشياء مع ترتيب رفوفه وخزاناته وأوانيه كافه) وبعد ذلك اخذتني الى غرفة الأكل التي هزلتها الوحشة وقلة الاستعمال فكانت كراسيها مغطاة بطبقة كثيفة من التراب (تكفي ربة المنزل مؤنة التعب من تفصيل وخياطة اغطية لها) وكذلك كان الامر بالمنضدة والطاولة ودواليب الصحون والزهريات الخ فسألتها (بعد ان التمست منها عفوا كم يوم مرت على عهد تنظيف هذه الغرفة آخر مرة فقالت انها لم تدخلها الا من مضى ثلاثة أشهر فملقت في وجهها متعجبة وقلت لها اى عزيزتى أين تتناولون طعامكم اذاً ؟ فقالت في كل غرفة تحلو لنا فجفلت من مكانى وصوبت نحوها نظرة حادة ثابتة ربما كانت كسهم خرق منها الاحشاء وبعد المجاهدة والتردد فتحت فمي بعناء شديد وتكلمت قائلة هل تسمحين لى ياحبيبتى ان أبدى ملاحظاتى ونصائحى لك — انت تعلمين انني دونك سناً ولكن قد علمتني الاختبارات والتأملات شيئاً سأقوله لك الآن وأرجو ان يفيدك لانه

يختص فى كيف ترتبين منزلك فاعلمى يارعاك الله اول كل شيء ان موقع بيتك هـذا غير مفيد للصحة لوجوده بجوار هـذا الاسطبل الـكبير مع رطوبته وبعده عن الهواء الطلق والضوء والحرارة فعليـك بالانتقال منه او اذا لم يتيسر لك ذلك فاجتهدى ان تسمحي للشمس بزيارتك بكثرة يومياحتى تدخل الحرارة والاهوية النقية سائر غرفه مع مراعاة شروط تنظيفه صحيا . انظرى الى هـذا البلاط فما اوسخه فرى الخدم (اذا كنت تستصعبين ذلك على نفسك) بمسحه وتنظيفه جيدا وتجفيفه (مرة كل يومين على الاقل) وتغطيته بالرمل الاصفر وكذلك الـكنس حرصا على النظافة ويجب اجراؤه مرتين فى النهار. تقضى الاتربة عن هذه الكراسى الفاخرة الثمينة « بمهفة » وادهني الاطارات والطاولات الخشبية اللامعة بزيت طيب حتي تحفظي لمعانها دائما وهـذا الجـدار والسقف بددى العنكبوت المخيم عليها بشدة فيعود الى المكان رونقه وجماله وانقلي غرفة النوم الى مكان يصل اليه الضوء والهواء الجديد وأخرجى منها المأكولات والازهار التى تشاركك فى تنفس الهواء فتفسده عليك وافتحى نوافـذها ولا سيما حين تجرين

تنظيفها واجعلي مجارى الهواء والشمس مفتوحة دائما لان الهواء يجب ان يكون نقيا فى كل وقت و . . . فقاطعتنى قائلة كيف ذلك وأنا ان تركت النافذة مفتوحة فى الشتاء ليلا لا بد وان أصبح مائتة من البرد والرطوبة والزكام فاجبتها انك واهمة فى قولك لان قفل النوافذ مدعاة الى دخول الرطوبة التى تخافينها واما الهواء البارد الذى يدخل اليك من النوافذ فخال من الرطوبة لان الشمس كانت ترافقه فى ذلك خصوصا اذا كان المحل طلقا وقد روى لى أحد الانجليز انه كان ينام فى لندن والشبابيك مفتوحة « بين شهرى ديسمبر ويناير » وكان الثلج يتساقط بجانب سريره ولم يصب بزكام قط لتحفظه بالاغطية وبعده عن ممرات الهواء وكان يصبح نشيطا وأكد لى ان أولئك الذين ينامون والنوافذ مغلقة يكونون فى خمول هائل وعرضة لاقل مرض من أدنى تغيير جوى لعدم تعود أجسامهم الغير معرضة للهواء الطلق نهارا وليلا . وابعدى سريرك عن الحائط ولا تجعلي شيئا حوله ولا تحته وليكن محتويا على مرتبتين قطنيتين أو واحدة قطنية والثانية من الانواع المحشوة بقش الارز (وهى فى الغالب أحسن) وافرشى بينهما ملاءة

كتانيه تغيرينها كل يوم مرة وضعى فوق الغطاء الذى يجب
ان يكون معتدلا واحدة ناصعة البياض أيضا وعليك بتنظيف
الفراش كل صباح ويتم ذلك باخراج المراتب الى الشمس
وتنفيض الملاءات جيدا وبعد اعادة المراتب الى أماكنها ضعي
الملاءة البيضاء بينهما واثنى اطرافها وافرشى الغطاء والمخدات
وغطيها بالاخرى بعد تنفيض الناموسية بدقة وليكن فى علمك
ان تجرى ذلك بعد ان تكونى قد كنست تلك الغرفة والنوافذ
مفتوحة ولا يليق بك ان تجعلي المطبخ مقابل غرف نومتك
لان رائحة المطبخ والدسم تفسد عليك الغازات الهوائية فاجعلي
المطبخ بعيدا وعلى جانبه الايمن مخزن المأكولات (الكلار)
الذى يخزن فيه لوازم البيت (كالسمن والجبن والعسل والبصل
والثوم وعلب الصلصه والسمردين والسكر والبن والشاى والمربا
والبسكوت والزبده الخ) واصلحى حال هذا المطبخ فضعى
(الحلل) وسائر آنية الطبخ فوق رفوفها وخصصى للقذرة منها
مغسلا لتنظيفها ولتكن غرفة الأكل على الجانب الايسر للمطبخ
ونظفيها ثلاث مرات يوميا وابدلى الازهار من الزهريات قبل
ماتذبل حتي تكون زينة للناظرين وكذلك الامر فى غرفة

الاستقبال التي يجب حفظها مرتبة في كل ساعة كما لو كنت
في استعداد لقبول زائرين بغتة في اى وقت غير منتظر. هذا
أيتها العزيزة وأشير عليك بان تنزعي هذه الصور القبيحة الشكل
من الجدار لئلا تكون سببا لفساد اخلاق الناشئة الحديثة
وراعى سلامة الذوق فى تعليق الاطارات بأماكن لطيفة جاذبة
واعتني دائما بمسحها وزجاج النوافذ فى البيت قاطبة وامنعي
البصق على الارض بالكلية واتقاء لذلك ضعى مبصقة وراء
كل باب مراعاة لقانون الصحة والنظافة وقد فاتنى ان انصحك
بعدم ادخال نور الجاز البترول فى غرفة النوم كما ولا تدخليها
بحذائك الخارجى بل خصصى واحدا للدخول فى تلك الغرف
منعا للعدوى وطرداً للجراثيم وليكن حمامك هذا الذى
(أرى جزءاً منه الآن) فى الجهة القبلية من بيتك وبجواره
(الادبخانة) ويجب مراعاة تنظيف كل بقعة فيهما لأهميتهما
ولترشي دائما حامض الفنيك فى أرضيتهما قتلا للامراض المعدية
ولكى ترتبي أوقاتك اعملي لك بروجراما تسيرين بموجبه يوميا
وعيني لكل ساعة وقتا فقومى مثلا من الفراش فى الساعة
السادسة صباحا او أقل وارتدى ملابس انيقة ليست كهذه

واغسلي وجهك ورتبي شعرك وجهزى الفطور ودقى بعد ذلك جرسا ليهب افراد أسرتك من نومهم فيلبسون ويحضرون الى غرفة يجب ان تخصصيها لغاية شريفة هى الصلاة معا لله طالبين منه تسهيل وتيسير أموركم وبعد خروج الجميع تنظفين غرفك كلها بمساعدة خدمك وتصلحين مصابيحك ثم تجهزين طعام الغداء الذى يكون قد تم فى الساعة الثانية عشرة تماما فاستريحى فى فراشك مدة ربع ساعة وانهضى لتجهيز المائدة لطعام الظهر الذى تنتهون من تناوله فى الساعة الثانية وحينئذ رتبي أوانى الاكل بعد غسلها وضعيها فى أماكنها الخاصة بها واذهبي حالما ينتهي ذلك لسريرك للراحة أيضا مدة ساعة وفي الساعة الرابعة طالعى شيئا أو حررى مكاتيبك واكتبي مصروف يومك فى دفتر خاص لذلك ومن الساعة الخامسة للسادسة تستطيعين ان تخيطى ملابس زوجك وأولادك فاخرجي فى الساعة السادسة ونصف للتريض مع أولادك وفى الساعة السابعة ساعديهم في دروسهم القليلة ودعى زوجك يشاركك فى ذلك وعلمي ابنتك ان تساعدك فى تجهيز المائدة مع اخوتها الصبيان واذ ينتهى طعام العشاء الخفيف الساعة

الثامنة اخرجوا كلكم الى مكان قريب للتنزه وبعد نصف ساعة
خذى طفلك الصغير الى فراشه وصلى معه ثم عودى واجمعى
الكل للصلاة المسائية وحالما تدق الساعة التاسعة مرى صغارك
ليذهبوا للنوم فرافقيهم الى فراشهم وودعيهم بحنو وقبليهم
وعودى بعد ذلك الى زوجك الذى يسعد برؤيتك ايتها
المجتهدة ويرتاح الى نشاطك فيحدثك اثناء انشغالك بخياطتك
وتطريزك عما تم فى نهاره وعلى سيداتي ربات المنازل ايضا ان
يخصصن لانفسهن ولخادماتهن اياما معلومة لترتيب المنزل
وتنظيفه وقد تكرمت على سيدة فاضلة ببرنامج حسن اثبته
هنا ليكون نموذجا تستعين به السيدات قالت تلك السيدة
انها خصصت اول يوم فى الاسبوع لغسل الملابس وثانيه
لكيها وخياطتها وثالثه لصنع الكعك وتنظيف الاثاثات
الغالية في غرفتى الاستقبال والاكل ورابعه لتنظيف غرف
النوم وقبول الزائرات من الساعه الخامسة بعد الظهر الى
العاشره مساء وتكون مستعدة لقبول بعض صديقاتها على
مائدتها فى تلك الليلة وخامسه لغسل ومسح ارض ونوافذ
المنزل كله وسادسه لعيادة المرضي والملاجيء الخيريه وبعد

الظهر تخصصه لزيارة صديقاتها وهكذا تعين عملا لكل يوم هذا نموذج ربما لا يوافق بعض السيدات ولكني قد وضعته هنا حتى يستخلصن منه نسخة توافق مشاربهن وهو موافق جدا لافراد الطبقة المتوسطه

اما الأغنياء الذين عندهم خدم عديدون فيستطيعون ان يجروا ذلك كله في وقت قليل بسهولة ولكن هذا لا يخول لربة المنزل ان تعتمد عليهم كل الاعتماد ولا سيما في ثلاثة امور (١) تنظيف قاعات النوم وغسل ملابس الاطفال (٢) الطبخ (٣) استلام المصروف المنزلي . ولتعلم صديقاتي ان امر التوفير واجب فلذا عليهن ان يتعلمن الاقتصاد بوضع ميزانية لايراداتهن ونفقاتهن بغاية التروي والاعتدال . انظرن المرأة الحكيمة ترينها معتنية وملاحظة اعمالها بدقة مقتصدة في مالها ببراعتها غير مفرطة في الملابس العتيقة مستعملة اياها في امور اخرى تصلح لها فتعمل منها ثيابا جديدة للاطفال او ممسحة ولفافة لهم او لتصليح ثوب آخر واذا كانت بيضاء تجعلها اربطة للمرضى او ان كانت قد مزقت قليلا ترفوها جيدا كما وتصلح الجوارب بحذق وتغير نظام فستان واحد الى عدة

اشكال مع ان اغلبها يطرح ويرمى هذا فضلا عن ترفع الجاهلات منا عن كي ملابسنا واز واجنا في البيت بينما نرى الفريية وبعض فضليات الشرقيات والمصريات يفعلن ذلك وبمبلغ قليل يهيئن طعاماً لذيذاً غير مسلمات اياه للخدم فايا كن والارتكان عليهم لانهم لا يهتمون بضياع أشياء مخدوميهم فهيا انتبهن لادارة المنازل كما يجب واني لكل عروس صغيرة تجهل ذلك انصح بان تسترشد بالحكيمات حتي نرى كل شيء طبق مرغوبنا فتعم بيننا النظافة والعافية والصحة

وبما ان المرأة هي المسئولة وحدها عن ادارة منزلها وجب عليها والحالة هذه مراقبة كل عمل بنفسها معودة الخدم على اطاعتها وذلك بترفعها عنهم وعدم مكاشفتهم باسرارها واطالة الحديث معهم في أمور لا لزوم لها ولا دخل لهم بها لئلا يتعلموا مشاركتها في كل أمر ومنعاً من اذاعة أخبارها في كل مكان يذهبون اليه بما جبلوا عليه من المبالغة والقحة وسوء الأدب فلذلك يتحتم على كل سيدة معاملتهم بالرفق والرأفة لا بالاختلاط معهم لئلا تنحط من منزلتها ورفعتها مراعية شروط العدالة عالمة ان لهم شعوراً واحساساً مثلنا

وانهم بالاختصار بشر يتألمون وأعلم ان بعض السيدات يتمادين فى القسوة على خدمهن لدرجة بربرية فيشفعنهم بالشتائم والسباب بلعن الأب والجد من قبله والضرب والاهانة وتلك خلال لا يرضاها الادب قط ولا لوم اذا تطاول الخدم على سيداتهن اذ من النقائص الكبرى ان نلعن ونحتقر المخلوقات التي صورها الله .

ولما كنا الآن في عصر حرج بسبب الخدم ولصوصيتهم ومضايقتهم كان الاولى ان نعمل كل الوسائل التي تؤول الى راحة بالنا بالا نترك لهم حبل أموالنا على غاربه بل نتلافى الامر بدقة النظر فى جميع ما تمتد اليه أيديهم فلا نعطيهم فرصة للتجربة ولرب معتذرة تقول وكيف أعلم ان الخادم يسرق من ثمن لزوميات المنزل التي يشتريها من السوق فعلى ذلك أجيبها بأن تستعلم من البائعين عن أثمان كل شيء وان تبتاع ميزاناً لوزنه منعاً لاختلاس بعض منه . هذا من جهة الخدم لكن بقى أمران مهمان للغاية وأولهما العناية بالاطفال وتعويدهم التوفير فلا يجب على الأم ان تعطي ولدها كل ما يطلبه منها من نقود بل عليها ان تحدد له مبلغاً معلوماً شهرياً

معلمة اياه ان يوفر نصفه على الاقل فى صندوق خاص وبذلك تمنعه من الاضرار الناجمة عن تناول الحلوى التى تباع فى الشوارع لاحتوائها على جراثيم سامة فضلا عن كونها تعلمه الاقتصاد فينشأ حكيما حازماً .

وأما الأمر الثانى المهم فهو كيفية مقابلة الزائرات ولتعلم ان أول واجباتها الترحيب بهن ببشاشة ومقابلتهن بوجه صبوح وصوت لين وان تكون محتشمة متجنبة كل مايزعج خاطرهن لانه قبحاً لسيدة تكثر الصياح أمام زائرتها وتقابلها بوجه عبوس يكاد يطردها من حضرتها الجهنمية ناسبة اياه لشدة تألمها من معيشتها وأشغالها مع انها بذلك تسقط من منزلتها فى عينى صديقتها هذا ومن أمهات واجباتها ان تكون دائماً مرتدية بثياب نظيفة للغاية حتى لا يعتريها أدنى خجل متى زارتها صديقة على حين غرة منها . ولقد تقدم بعض السيدات مرطبات لزائراتهن ولا أرى بأساً اذا كن يقدمن لهن مأكولا أو مشروباً مرطباً لا مسكراً ولكن يحزننى ان عدوى التدخين وادمان الخمر قد سرت فيما بيننا جداً فأصبحنا عند ما نتزاور نرى أول ما يقدم لنا علبة التبغ فنتناول الواحدة

منهن سيجارة وفى الحال يفسد هواء الحجرة من ذلك الدخان المتصاعد من أفواههن (التى تتراءى لى كمداخن قذرة ليس الا) والذى يسد منافس اللائى لا يتناولنه ـ فيتعذبن من رائحته الكريهة . ولست أعلم لماذا نستعمله فى عصر المدنية سيما وقد كنا نلوم جداتنا على تناوله قديماً ولكن السر فى ذلك هو كون مترفهات الاوروبيات الآن يدخن ونحن بالطبع ميالات للتقليد . فأعوذ بالله من شر المدنية الحديثة وشيطان التقليد الأعمى . لقد كنا نلوم الرجال علي بذل أموالهم فيه فبتنا نشاركهم ونقويهم علي ذلك . ويالليل فقد سرى شرب الخمر بين أعظم طبقاتنا نحن معشر السيدات بالتحجج انه من أوليات بل وكماليات التمدين الحقيقى فيشربن من أنواع المسكرات ما اختلف منظره وغلا ثمنه ويتهورن بلا احتشام فى معاملة بعضهن لبعض من شدة تخدر أعصابهن وفقدان حواسهن لدرجة لابد وان تجعلهن يمثلن أدوار اخواتهن سا كنات السراى الصفراء بالعباسية) فاياك ياصديقتى المصرية بل والشرقية ان تقدمى تبغاً أو مسكراً لصديقاتك اذ الاولى ان تتناولن سما عوضا عن مورثات السخرية

والفضيحة والفجور هذه . دعيهن يستهزئن بك ويرمينك بقلة الذوق والفقر فهو خير من أن تسمحى بتمثيل أدوار المجون بلا وقار فى منزلك . انه اضلال عظيم فبئس المدنية والتمدين . لا تجعلى صاحبتك تهذى أمامك بكلام تمجه الاسماع يكون تأثيره شديداً عليك وكل من يعرفكن . انى أحتقر كل من تقدم مسكرا فى منزلها ولو مهما كانت من أعلى الطبقات الآن اللاتى أصبحن يقدسن المسكر وشرابه . فأين العقل وأين الاحساسات الشريفة ؟ أين الوقار المصري القديم ؟ بل أين النقى ؟ اخوانى لا تتقلدن بكل ماترينه من أمثال هذه العادات الموبقة عند غيرنا من الامم لانى أرى تدهورنا الآن يقودنا بقسوة الى حضيض اضمحلال مجدنا وهيبتنا . ياشقيقتى الغنية ابذلى ثمن المسكرات الباهظ في كساء العريان واطعام الجائع وبذا تربحين فضلين ـ أولهما الاحسان ـ وثانيهما انقاذ المتوسطات والفقيرات من تقليدك فلا يقعن فى ربقة الدين مجاراة لك لانه ألا تعلمين ان الغنى مرآة للفقير فى كل أمة فاتركي هذه المدنية الباطلة . أنا احرم المسكرات حتي ولو كانت على سبيل دواء وبالحقيقة لو قيل لى ان شفائى فى كأس

خمر واحدة لو كنت على شفار المنية لفضلت الموت على الحياة اذا كانت تلك الكأس المسمة واسطة ذلك . ولربما كان أغلب ولع السيدات بالمسكرات من تعاطيها أولا على سبيل دواء فوالين استعمالها حتى صارت فيهن ملكة راسخة فتعاطينها فيما بعد لغير داء

وقد تقدم بعض مديرات المنازل البيروصيفا بدعوى انها مرطبة ولكن تلك أيضا محرمة عندى جداً لان اضرارها جمة للغاية وعلى من لا تصدق كلامى ان تستشير الاطباء بخصوصها فترى مايقولن عنها . فحذار أيتها المصريات العزيزات ان تجعلن مجتمعا تكن مرسحا للبذاءة وبيوتا تكن حانا للجنون والهذيان لئلا يخشى الرجال من توكيل امر تربية الاولاد لكن كما ولئلا يزدادوا ميلا لادمان المسكرات بفضل مثالكن . اللهم انا نسألك السلامة من هذه المساوىء الهائلة .

سيداتى يتضح لكن الآن من كلامى السابق عظم أهمية تدبير المنزل وحرج موقفكن فلذلك اتركن منصات الكسل والامارة مباشرات اعمالكن بترتيب ونظام فتجعلنها مقرا لهناء الزوج متى عاد من عمله فيرتاح الى الخلود والعودة اليها حيث

يعتم نفسه بمحادثتكن وأولاده الأعزاء وبذلك تنقذنه من بؤر الفساد فى الحانات وتنشئن رجالاً أفاضل ينفعون مصر. تاركات الخمول جانبا لانه مضعفة للاجسام ومعتزات بتدبير ممالكنا الصغيرة بانفسنا لا بواسطة الخدم دارسات علم قوانين الصحة وتدبير المنزل فحل على مصر بواسطة العائلة السعيدة « السماء الاولى »

اسراف النساء

ومباراتهن لغيرهن ونقائص أخرى تعيبهن

٣

الاسراف من النقائص المعيبة فى المرأة وقد تمادت فيه نساء العصر الحاضر ليكتسبن فخراً (لا يدوم) بتقليد الاخريات من جاراتهن والتنافس معهن وما علته كله الا الحسد الذي يأكل القلوب ويربى الحيرة فلا تحتمل الواحدة منهن ان ترى الاخري أحسن منها منظراً وأغنى مظهراً (فلا يهنأ

بالها ولا يستريح اذا شاهدتها مرتدية بثوب جميل الا بالسعي بنيل مثله أو اذا اشترت قلادة ثمينة وشاهدت أحسن منها في جيد جارتها تبذل ما في وسعها للحصول على شبيهتها وتصرف النفيس في كل سبيل يجعلها ذات أبهة وغنى حتى انه ليطربها ان يقال في كل مجلس نسائي انها غنية جداً وملابسها فاخرة للغاية ولطالما الزمت زوجها بمصاريف جمة لتكون مثل زوجة البرنس صديقتها ولتصير منزلها أفضل من منزل جارتها بفرشه بفاخر الرياش والاثاث وباحضار جملة خادمات أوروبيات لترتيبه سيما وان كل صويحباتها الآن قد استخدمن فتيات غربيات لقيادة زمام منازلهن الفخيمة فكيف لا تجاريهن في ذلك مع انها من المعروفات والمشهورات في الهيئة فيصرف زوجها المسكين دخله على مشتهياتها الغير محدودة دون ان يوفر للغد شيئاً ينفعه وينقذه من ضيقة ما اذا مرض أو أصابته داهية . وعلة ذلك كله المباراة والاجتهاد في تقليد الغير مع ان هذا جالب للانزعاج اذ من المستحيل ان يرتضي الانسان بحالته ويقتنع بماله اذا نظر لغيره فلرب مرة تركب المسرفة مركب الاهوال فتسير بها في بحر الفخفخة التي تعود بالويل على زوجها

أو والدها ولعمري لماذا ترغب مظاهر الرياء التي لا تلائم ماليتها فترتدي لباساً لا طاقة لها على القيام بمصاريفه لكي تكون وزوجة الغني الشهير في مظهر ومنزلة واحدة . كنت مرة في مدينة باحدى نواحي الوجه القبلي فرأيت فتاة بثوب فاخر وقبعة جميلة وعلى صدرها حلي كثير فظننت من مظاهرها انها من أسرة غنية جدا ولكن ساء ظني عند ما رأيتها تدخل كوخاً صغيراً هو منزلها فسألت احدي صديقاتي أتعرفينها فقالت نعم ووالدها رجل فقير جدا بالكد يتحصل على ما يتبلغ به قوت نهاره ولكنها تلزمه بالمبالغ الطائلة لسد مطاليبها الكي تباري بنات الاغنياء هنا ولديها الآن من نفائس الملبوس مالا يوجد الا عند السراة مع ان عائلتها تكاد تهلك جوعا بسببها . فحزنت كثيراً وسرت في طريقي أقصد احدي الكنائس فدخلتها واتصادف ان جلست بجانب احدي معارفي الغنيات فبعد التحية نظرت في وجهي وقالت « لماذا لا تلبسين قرطاً في أذنيك وأساور في يديك فانك الآن تظهرين كاحدى الفقيرات . انظري الى هذا القرط الماسي فاني رأيت مثله عند ابنة الخواجا . . . . فاشتريته وهو رخيص جداً لان ثمنه خمسة وأربعون جنيهاً فقط

وسألبسه فى الحفلات الغير الرسمية لانى تعبت من قرطى الطويل ولكن ألا تستحسنين هذا السوار وأفصاصه اللؤلؤيه انى أفضله عن ذاك الذى اشتريته الشهر الماضى مع زوجة . . . لك ؟ » فاجبتها بتمهل أسيدتى لا أحب لبس الحلى قط وخصوصاً فى الاذنين لان الله لو استحسن أن نضع فيهما شيئاً كان من السهل جداً عليه عز وجل أن يضع بهما ثقباً طبيعياً للاقراط كما وانه أليس من المحرمات أن تكونى لابسة ماتنوف قيمته عن المائتى جنيه الآن بينما توجد لك أخت فى ناحية أخرى من المعمور وهى تملك بردا لعريها ؟ آه ياصديقتى كنت أود لو تطيلين ومثيلاتك التنافس فى المفيد لا فى هذه القلائد والملابس الفانية وبان تقتنى كل واحدة منكن ذخيرة نفيسة مؤلفة من تاج التقوى ومخافة الله وعقد الاهتمام بامر من يلوذ بنا ودبوس الحزم والثبات وساعة التيقظ والنشاط وأساور الفضيلة المرصعة بماسة الاخلاص وزمردة تربية الاولاد فى خوف الرب وياقوتة السعادة العائلية وعقيق البشاشة ولؤلؤة احترام من هم أكبر منا سناً . هذه أثمن جواهر الارض فاجتهدى للتحصل عليها بهمة كبرى لان الاسراف معجز

لماليتك وبملك فالك وحسن جواهر ومصوغات جارتك ولمادا تبذلين أموالك فى ابتياع مثلها انى أخاطبك وكل نظيراتك منذرة ايا كن بالتعاسة لان هذه الاثرة من أعظم دواعى فقركن اذ لابد أن يكون مصير المسرفين الى الضيم الكلى فماذا تعملن فى أيامكن الاخيرة حينما يهرم الزوج ويتعذر عليه الحصول على معاش لكم وعلى من يعتمد: أعلى الخرق الفانية أم على الهواء . . . .

ان المرأة التى تميل للاسراف فى الامور الغير النافعة ليست أهلا لان تكون مديرة لاحدى منازل مصر وان تلك التي تهتز غيرة فتجلب على نفسها الوبال لمضارعة صديقتها الغنية لهن الطائشة الحمقاء التى لاتقدر عواقب الامور وانها ذات القلب الحديدى المجرد عن الاحساس الشريف

٢ — ولابد لي هنا من ذكر أمر آخر شائن عام بين بعض الزوجات السافلات المبدأ واعنى به توفيرهن السري من ازواجهن بأخذ نقود من المصروف اليومى لانفسهن وبيع افراخ الحمام وبيض الدجاج (ولا يستغربن القاري ءاذا علم ان هذه العادة شائعة بين عائلات مصر الغنية والمسماة بالطبقة

الراقية وانى أؤكد ذلك للجميع لسماعى به جملة مرات) وقد تعادت
بعضهن لدرجة اختلاس دراهم من جيوب بعولهن فى الليل
أو توصية صبياتهن « بأخذ القرش » من آبائهن ثم يشترين بما
يوفرنه بتلك الوسائل لزوميات شتى لهن ويتظاهرن امام
ازواجهن بان اقرباءهن احضروها لهن وبذلك يقترفن جرائم
السرقة والمنافقة والخداع والكذب لاقرب الناس اليهن
ويضعن أنفسهن منزلة العبيد والأماء لا منزلة المديرات لبيوتهن
والوكيلات المخلصات عن ازواجهن ومن المعلوم ان الوكيل
يجب ان يكون أمينا راغبا لخير موكله كما وان الوكيل الخائن
لابد وان ينكشف أمره فيسقط الى أسفل درجات الهوان
ويعاني صنوف العذاب من الضمير ولا غرو فان التكالب على
نهب ماليس لنا من أعظم محقرات الانسان ومصغرات درجته
ونفسه فاضر تلك الطفمة لو سلكن بموجب الامانة وأرين
ازواجهن مايوفرن من مال بحذاقتهن وبذلك يمنحون لهن
معجبين بمهارتهن ولربما نفحوهن بالمزيد مسلمين لهن دخلهم كله
جاعلينه تحت تصرفهن لتحققهم من حسن درايتهن وحكمتهن
فيهنأون بهن وبذلك يهنأ الزوج بزوجه الامينة وتكون هى

مرتاحة الضمير لكونها على جانب الحق والاستقامة

٣ — بقيت لي كلمة عن الذهاب لبيت الوالدين متى حصل أقل نزاع بين الزوجين والميل لسماع كل نميمة كاذبة ترد لكل من الطرفين ويسوءني ان أسطر حقيقة مرة عما تأتيه الزوجة من ضروب قلة الروية باذاعة ما لزوجها من سوء اخلاق بين كل صديقاتها مع ان هذا ليس من العقل قط وكان الأحرى بالزوجة ان تكتم خبر كل نزاع يحصل بينها والقرين حتى عن نفس الوالدين لانها بلا شك تغيظه عندما تنشر عنه في كل انحاء المدينة انه شرس الاخلاق فيغضب عليها حتى تلتجىء للذهاب الى بيت والديها وتستمر هناك الى ان يبعث بمن يعيدها لمنزلها اذا كان لين المراس او يتركها السنين الطوال بدون ان يسأل عنها مع شدة انغماسه في ضلالات كبيرة ولكن ألم يكن من الحكمة لو تتساهل له عن كل هفواته فتأسره بطول أناتها حتى يشعر بغلطته فيستسمح خاطرها اذ تلك الطريقة خير من ظنها انها تعزز مركزها بترك منزلها له حالما تغضب منه وهذا خطأ محض لان الذهاب والاياب من دلائل الطيش الذي لا يليق بالمخدرات فيجب عليها ان تعود نفسها على احتمال مكارهه ومساوئه

ومشاركته فى سرائه وضرائه أو اذا كانت قد عدمت كل حيلة فى اصلاحه وكان يعذبها بفظاظته وغلظته ولم تبق لها طاقة على احتماله فلتظل في بيت أبيها لمنتهى حياتها ولكنى أرى على اى الحالات وجوب البقاء فى منزلها غير مسرعة خطاها للخروج منه لانه خاصتها فمن الحكمة ان تلصق به باذلة اقصى جهدها فى العيشة بصفاء الى آخر رمق فى انفاسها.

طمع الرجال

١

قد كتبت عن مساوىء النساء ولكن سأسود هذه الصحيفة بذكر مساوىء الرجال لان الطرفين على خطأ مبين مع العلم انى لا أرمى كل رجل بها كما وانى لا أنسب النقائص المارة لكل سيدة مصرية ولكنى خاطبت من اعوجت طريقهن عن سبل الخير فأسوق كلامي هذا أيضا الى من فسدت اخلاقهم وهم عديدون جروا البلاء بتصرفهم الردى على العائلة بل ويهدمون به يوميا أعظم اركان سعادتها

الانسان ميال للطمع في المال جداً والرجل خصوصاً حتى انه ليفضل ان يفقد لذة حياته في سبيل نواله الاصفر الرنان بكثرة ولو كان ذلك بواسطة نفس اليفة حياته فأول شيء يفعله الواحد منهم قبل اقترانه هو السعي والتفتيش عن ذات حسب ونسب وأملاك وأطيان وافرة ومتى اهتدى اليها يقترن بها معجبا بغناها لا بشخصها محترما لاطيانها لا لمقامها ولكن ذلك الى حين لان جشعه وطمعه يسولان له ان يستحوذ على املاكها شرعيا ولست أدري كيف يفتح فاه ليسألها هذا السؤال ولا باية وسيلة يطاوعه لسانه على النطق به لانه يجب ان يتحقق ان مال السيدة هو خاصتها شرعا ويحق لها ان تصرفه كيف شاءت او تحفظه لاولادها .

وليته يشجعها بالاشتراك معها في هذه الغاية الحميدة التي بها يعدان ارثا لاولادهما أو يوفرانها لتكون معوانا لها في أيامها الأخيرة ولكن استبداده يجرئه على تكرير هذا السؤال عليها واذا رفضت اجابته أهال عليها السباب واللعنات متجاهلا انه ملتزم ومكلف بالقيام بكل حاجياتها غير انها مظلومة تنقاد للتسليم له خوف شراسته وبأسه فيبدد أموالها على الميسر

والسكر ولا يكتفي بذلك بل يمد يده على حلاها فيبيعها لسد شهواته مؤقتاً ولا هم له الا اغتراف ما عندها من حطام الدنيا وبالحقيقة ان رجلا كهذا لجدير بان يوصم بكل القاب الجبن والخسة لتجاسره بمد يده على مال زوجته الخاص بها مع انه هو الذي يجب ان يصرف عليها ثروته الا اذا كان لها من مرضه وعجزه عن القيام بصناعة ما دافع قوى فهى من نفسها بما جبلت عليه من حنان ومروءة تجود عليه بما يقوم بمعاشهما لانها تشعر بوجوب مساعدته فى عسره على شرط ان تكون تلك المساعدة مفيدة لكليهما لا لتكون مشجعة له على معاقرة بنت الكروم فعليها اذ ذاك ألا تقدم له بارة واحدة ومتى فعلت ذلك يحنق جداعليها ويتفاقم بينهما النزاع يومياً فيقضيان حياة مريرة ان حالة الفتاة المصرية تستوجب الشفقة فانها اذا كانت فاضلة ولكن فقيرة ينبذها الرجل ويرفض الاقتران بها وان كانت غنية يطمع فى ثروتها فيتزوجها لينال لباناته من أملاكها ومتى استحوذ عليها احتقرها ونسي انها تلك التى كان يحترمها البارحة فينغص عيشها اليوم وتصرف أيامها التعيسة مع وحش عديم مروءة أوكع الأصل وذميم الأخلاق

مظالم الرجال

٢

زرت مع جماعة من صديقاتى سيدة غنية لها أملاك واسعة وبساتين أريضة وخدم وحشم وبالجملة كل ترفهات الحياة ولكنى رأيت وجهها مكمداً فقلت فى نفسي ترى لماذا أراها نحيلة صفراء وعابسة سقيمة ولم تتهد هذه التهدات العميقة ياترى . وبقيت مشغولة الفكر بهذه الهواجس الى ان أحضرت الخادمة الشاى وأدواته فقدمته لنا السيده بيد رجيفة وزفرات متقطعة فاخذناه منها بامتنان وحالما استقر بنا المقام قالت « أواه يا سيداتى ماذا أعمل كي أنال السعادة الحقيقية فانى أعطى كل مالى من غنى ومجد لمن يهب لى أسبوع راحة فكر » ثم نزلت عبراتنا وتلعثم لساننا لما لنا من عدم المقدرة على اقالتها من همها ولكن صديقة متقدمة فى السن سألتها وما هى همومك أيتها السيدة ولديك أولادك وبناتك وكأنهم الانجم والاقمار ربيتهم فى خير مدارس

العالم فنبغوا فى العلوم والمعارف حتى فاح شذا آدابهم من رياض تهذيبهم وكيف لى أن أصف جمال فتياتك وهو أمر يكاد يقاطع أشعة العينين وقد امتزن ببلاغة الاساليب ورشاقة القدود وتميزن برقتهن عن غيرهن حتى صرن أميرات عصرهن فهن درر يتيمة عصماء فى جيد الهيئة الاجتماعية هذا غير ما لديك من مسرات الحياة الاخرى ـ فقالت واه فان أولادي وبناتى هم سبب تعاستي ووالدهم يساعدهم على ذلك . ويلى خلصنني من مساويء الرجل وشروره فهو يظلمنى لانه يأخذهم الى المراسح والتياترات وأماكن اللهو والحانات فيظلون هناك الى بعد ان تشيب ذوائب الليل واجلس أنا تحت ظل الاشجار وبالرأس طائفة الافكار فتبعدما بين الجفنين فأقوم للفراش أستريح ولكنى أجد المضجع وهو أقض سجنا لى فاقوم أتعشى ثم اجثو لدى عرش مراحمه الاعلى أستكفيه هذه النوائب والموادى ليهب لى ايمانا يزع نفسي عن النزوغ ويكفنى عن ردغة الحزن ومراغة الالام والكمران وأرجو من سيب نعمته أن يردا عزائى الضالين الى الهدى والتعقل والتهذيب الصحيح فاجدلى عزاء ولكني عبثا أصبر نفسي

على هـذه الرزيئة لان النهار يجيء وتشرق شمس الصباح ولكنها لاتشرق على نفسي الحزينـة فالاب يحتقرني ويرذلني والابناء ينبذوني وكاني خادمتهم أو متاع قديم بالحرى فلا يأتون الى واحسرتى كيف السبيل الى العزاء فالمرأة محتقرة مرذولة هنا بمصر وليس من يأخذ بناصرها أستحلفكن بالحنان وبالعدالة أن تخلصنني من مخالب ذلك الرجـل والاولاد والبنات الذين يتقربون اليـه لئلا ينبذهم مثلي فيحرمهم من الارث . هل يوجد مثلي فى كل الارض ان فى نفسي شيئاً كثيراً لا أقوى على ذكره فذلك الغنى يبـذر ماله بعيش مسرف على غرور هذه الحياة . دبرنى ماذا أفعل ثم استرسلت فى البكاء فجالت فى سماء عيوننا سحائب الدموع وأمطرت على حـديقة وجوهنا قطرات تكاد أن تكون أحر من الجمر ولكن تلك السـيدة استأنفت الحـديث وقالت أراكنّ تسكتن فهل لى من مناص وأليس خلاص ماذا أعمل اللهم هبني صبراً . فقبلناها وهدأنا أخلاقها قليـلا ثم خرجت من الغرفة وأحضرت طاساً مملوءاً من الزهور وقدمت لكل منا زهرة حمراء قائلة « ان هذه الزهرة اكتسبت ذلك اللون مما سفكته

على أشجارها من دماء قلبي في سكون الليل وخريره وانى لأذكر الايام التي فيها كنا نسقى الزهور البيضاء والزرقاء ماء الجداول وقد ازدادت جمالا من مرآنا حينما كنا في حالة الاتفاق والوداد والاتحاد وكان يزيننا جمالاً خاصاً قد ذهب ولا يرجع الينا فيما بعد ولكني أقول كاحد كتابنا « ان تلك لذة طواها الوقت ونصيبها مني الآن الذكرى واحلام اليقظة والمنام » ذهبت تلك الايام والوعتى وقد انغمس رب منزلي وزهوري في الشرور . لك الله أيتها الذكرى الباقية لانك تبشين لى نعيم الماضي المنير امام هذا الحاضر المظلم لقد مضت أيام النعيم ووقفت امام بحر زاخر من الهموم تتلاطمني امواجه فكيف السبيل الى العزاء .

أيتها الحياة المرة بل الأنون الملتهب هل خلقت لى وحدى لأرى على سطحك نفوس أحبائي وانا اشوى عنها في سبيل شهواتهم وكفرانهم فأنا وحيدة في هذه النار اعلل نفسي برشفة عزاء تبل لى فمي الملتهب وقلبي الظمآن الذى كوته ضآلة حدثان الزمان ولكن من أين لى تبريد هذا الغليل وبيني وبين ذلك النهر العذب بحر الحزن واوقيانوس الهموم . افكتور هيجو

هل كانت نيران الأسى تتأجج فى قلبك وسط وحدتك مثلي أنا . وانت يانابوليون الا كبر هل كاد فؤادك ينكسر عند ذهابك اسنت هيلانه وهل كنت ترصد النجوم مثلي . اين انت ياشمس المسرات هل قضيت وغبت أبدياعن أفق بيتي؟ ما أوجعك أيتها الحياة فانت شجرة ثمرها الحسك . فأخذنا نصبرها ونعزيها لعل الله يهديها ويلهمها الاحتمال وودعناها ولكنها سألتنا ان نبقي تلك الزهرة معنا وان نخرجها من مكان نخبؤها فيه وننظر اليها عسانا نذكرها فنتألم معها فى احزانها لتؤاسيها . فذهبنا وفى القلب جمرات تلهف شديدة عليها وجيوش الافكار تتسابق الى ميدان الحديث ولكنا لم نفصح بها لفرط شجوننا وبعد قليل وصلت للبيت فاخرجت تلك الزهرة وهطلت ينابيع الحزن من سواقى الذكرى وارعدت بروق الهموم الفادحة فى سماء الذهن فقمت الى هذه الصحيفة وامسكت القلم وكتبت ماتقدم وانا ذاهلة غائبة عن الصواب وامامى تلك الزهرة التى سأحرص عليها أشد الحرص لكونها من يد بائسه

أيهذا الزوج أما تكفيك هذه الهموم التى تنفث سمومها

على تلك الزوجة المسكينة . تلك انفاس مشوبه بالاثم تنفث مظالم نحو من البستها الايام اطمار الاحزان أف لك فقد جهلت قدرها وأقللت من احترامك لها أفليس عندها شعور يتألم حتى تحرمها سعادتها بسوء فعالك فكفاك من الاستمرار بين وعور القسوة والجمود . وبحق الماضي والذكرى عد الى حديقة منزلك مع أولادك لتعيد لتلك المسكينة سرورها واجتمعوا معاً حول مذبح العائلة واسمعوا عزفها على الموسيقى . ها الطبيعة تحمر خجلا يوميا عند الاصيل وكانها تحاول ان تناديك بشعورها الراقي لتمنعك عن سيئاتك . والشمس الزاهرة تكلل هامة الصباح فتزدهي الحدائق معنفة اياك لانك تبقى الظلام ليلا ونهارا في بيتك والعصافير الجميلة تطعنك بسيوف التوبيخ اللطيفة قائلة بلسان الحال « ان ارجع المياه الى مجاريها فتسمع رنات ضحكة زوجتك التي هي أشبه بتغريدنا » فلم هذه المظالم فهل خلقك الله لتخلق لها الشقاء الدائم . الا فاعلم ان تلك المسكينة تقضي غمة الظلام في رمضاء الحزن وقد احتفظ قلبها من سوء معاملتك لها واغضائك عن اقالتها من عثرتها حتى أصبحت في ساقه صويحباتها بعد ان كانت في طليعتهن وزحزحت عن

تصدرها مع انها كانت فى ريبتهن فمن العار عليك ان تتركها تتلظى على نيران الشقاء فارحم واستعمل عقلك في النافع لكي ترى السعادة هابطة اليكم فيتحول هذا الجحيم الذى انتم فيه الى نعيم مقيم

احتقار النساء

٣

يؤلمنى كثيراً ان أذكر ازدراء رجالنا بجنسنا النسائي الضعيف والاستبداد بنا للغاية القصوى وسلب حقوقنا فى كل أدوار حياتنا اذ يكتمون حريتنا الى درجة تميت أنفسنا وتعدم احساسنا وشعورنا . ولكم من مرة يأبون ان يسمحوا لنا بالخروج للتنزه لنكتسب صحة جيده بل كم من رجل يمنع زوجته من مشاهدة أهاليها لغير ذنب اقترفوه معه وبلا داع الا عامل احتقاره لتلك المسكينة الضعيفة ولكن كم تتمني نفسى ان أرى المصرى يؤدى واجب الاحترام نحوها ولست أقصد بذلك أن يقوم ويعبدها بل أرجو أن يتحقق بان لها قلباً

وشعوراً يتألمان من احتقاره لها وعدم مكاشفتها بجميع أعماله واستشارتها فى كل مشروعاته . أى أزدراء أشد من هذا للمرأة سيما بعد تصريحه بانه لا يخبرها عن أشغاله شيئاً لكونها لاتفهم الامور ولا تميها مثله لانها غير متعلمة جيداً ولكن الا يعلم انها وان كانت لم تحصل على جانب كبير من العلم غير ان الايام وتجاربها قد هذبتها وعلمتها ودرستها مجلدات ضخمة ربما كان وقع فى بعض صفحاتها غلطات يستطيع ان يصححها لها بماله من نصيب وافر فى العلم وتعلمه اختبارات عديدة اكتسبها من المعاشرة والتعارف بالناس بخلاف زوجته السجينة داخل جدران البيت . ولماذا يفتخر بمعارفه القليلة (فى كونه يعلم الفرق بين العصي والالف مثلا) على تلك المظلومة التى لو لقيت من الحرية نصيباً كانت ولا ريب تعادله فى المعارف .

أى استبداد أشر من كونه يستأنف ان يصغى لملاحظة تبديها وعازة تبتغى قضاءها ويستكنف من ان يخبرها شيئا عن ثروته ونفقاته مدعيا بان لاشأن لها بذلك معه واى تجبر انكى من كونه لا يساعدها فى اشغالها الشاقة ويأبى ان يسهر على تمريضها اذا كانت على فراش الالم . بل واى احتقار اكبر من كونه يجلس

على مائدة الطعام ويتناوله بنفسه ثم يكشحه عنه اليها فتجلس مع الخادمات رتا كله ولو يعلم هذا المستبد باللذة العظيمة التي يخسرها لانفراده فى ازدادقوته كان يحقق انه غبي جاهل أفيوجد حبور يمثل السعادة أكثر من جلوس العائلة معا على مائدة الاكل وهم يتحادثون الاحاديث اللطيفة فيخبر الوالد زوجته عن نجاحه فى أعماله وهى عما صادفته من لذة فى ترتيب منزلها والصبي يقص على أخته أخبار انتقاله من فصل لاعلى منه وتلك تجيبه عما تشعر به من افتخار وتخبره انها أتقنت صنع فستان لأختها الصغيرة الخ انى أفضل ان أخسر كل مال الأرض مقابل وجودي على المائدة مع والدى وشقيقتى وشقيقى فيا ما أحيلاها ساعة فيها ترتشف رحيق الهناء بعذب أحاديث والدى وصوت والدتى الحنون وضحكاتنا الرنانة التي تضطربنا كثيراً. ولست أدرى أى جواهر تساوى ساعة اجتماع العائلة معاً للصلاة — وتذاكرها فى مراحم الله. انها احدى ساعات الفردوس بلا شك. ولو نفحنى قارون كل ثروته ليجرب ان يحرمني اجتماعا عائلياً كهذا كنت أرفضه أعا رفض — فهل تعرف عائلاتنا المصرية طعما لهذه اللذة التى أحبها وأشعر بها؟ ان كان الجواب سلبا فعلى

رجالنا ان يبدأوا بتأسيسها بأول فرصة وانا الضمينة بان ترقى العائلة ويعم الحبور .

يكتب رجالنا بوجوب تهذيب الجنس المصرى اللطيف واحترامه ولكنهم لا يقرنون فعلهم بقولهم ولربما كانت المعاشرة الاوروبية قد أثرت عليهم فدفعتهم الى ذلك ليظهروا تمدنهم على صفحات الجرائد وآدابهم العالية للسيدات الغربيات فقط فلماذا يا سيدي المصري تقف اجلالا للسيدة الاوروبية وتحني هامتك رافعاً طربوشك احتراما لشخصها ومقدما يد المساعدة فى نزولها وطلوعها على درجات العربات والقطارات وحاملا عنها رزمها فى حين تأبى فيه الخروج مع زوجتك لمكان ما أو اذا تفضلت عليها بذلك فتسرع الخطي وتبعد عنها بمقدار خمسة عشر متراً على الاقل وهي وراءك وعلى كتفها الطفل الصغير متعثرة فى مشيها من ثقله وأنت لا تمد لها طرفا من المساعدة والحنان وكيف لا تعطيها مكانك في العربات والاماكن العمومية وتزيد بأن تدوسها بأقدامك فى غالب الاحيان مع انك لا تجسر على فعل ذلك مع السيدة الاوروبية فهل هذا مبلغك من المدنية . لقد صرت فى تقلب

وتطور غريب وأصبحت والحالة هذه كالغراب الذى أراد ان يتعلم صوت غناء البلبل ولكنه لم يقو على تقليده فضلا عن نسيانه صوته فاضحى بين بين.

انظر الى سكان الغابات ودرجة اعتبارها لانثاها تجدها أعلى قدراً وأسمى مبدأ منك . امض معى نحو مغارة الأسد المفترس فتراه يحضر للأم وأطفالها الفريسة من بعيد ويقدم أفضل جزء منها لها لا تهدي وخزات ضميرك بانتحال الاعذار الواهية التى تظن انها تدفعك على احتقار النساء قائلا انها مدعاة لتجبرهن وان زوجة كزوجتك لا تستحق احتراما قط ولكنى وان سلمت معك فى ذلك أنصحك بأن تؤديه لها لاعلاء قدرك أفلست تعلم ان من يكرم غيره يكرم نفسه . انى أقر بوجود كثيرات ممن قد لا يليق بهن أدنى احترام ولكن لماذا تعمم القاعدة وتأخذ البريئة بذنب المجرمة وعندي لو جرب رجالنا تقليل استبدادهم وتنازلوا بمعاملة المرأة بالرفق واعتبارها شريكة لهم في كل شيء كانوا يرون منهن قلوبا مكرسة لطاعة أوامرهم ولو اجتهدوا ان يعلموهن ما ينقصهن من المعارف والفضيله كانوا يصادفون منهن شكراً وافراً

واستحقاقا لاهليتهم واعتبارهم وتكريمهم فيكن مرآة تنطبع عليها صور ألطافهم. ولكن من أين تنتظر خيراً وبيننا ورجالنا هوة عميقة أفليس من العار ان نرى الاستاذ ينشر علومه على الناس خارجا بينما يضن على أهل بيته بها وكذلك الطبيب يجلس ويشرح لعليله اسباب علته والادوية الناجعة لها والمواد المركبة منها وزوجته لاتكاد تعرف الفرق بين (صبغة اليود) « وسترات المانيزيا » ومن المخجلات ان يشنف الموسيقى المغنى اسماع الجمهور ويبخل على قرينته واولاده بشيء منها . فلماذا ياترى لا يبثون روحهم فيهم فيورثون عنهم اخلاقهم وفضائلهم المميزة . ولكنهم لا يفعلون ذلك بل يخرج الواحد من امثال هؤلاء الى شغله وحالما ينتهى منه يحدر الى هاوية الحانه ويعود الى بيته مترنحا بعد نصف الليل وقد يمضى اليوم تلو الآخر على هذه الكيفية دون ان يشاهده اولاده وأعرف عائلة شريفة ترهب ربها كثيرا حتى ان ابنته صرحت لى مرة انها لا تراه الا مرة واحدة خلسة فى الشهر ولم تسمعه يحادثها قط وتخاف هى من التجاسر على ذلك لئلا يشتمها . فيالله هول بأن يأنف هذا الانسان من مكالمة أولاده بينما يمزح بكل سرور مع رفاق

السوء خارجا ويستعيب من ان يجالس افراد أسرته ولكن هى روح الاستبداد المخيف الذي تأصل فيه الى هذا الحد المهيب وحتى مع أهله وفلذة اكباده . وسيسرى فى عروقهم فينشأون مثله واني لأزعم ان هذا التسلط القوي على المرأة من أهم الموانع فى عيشتنا الدستورية الرغيدة ولقد صدق منتسيكو اذ قال «ان تسلط الرجل على المرأة فى بلاد الشرق من الموانع المهمة التي تحول دون تأسيس حكومة دستورية أهليـة لان استعباد المرأة مطابق لاستبداد الحاكم ولذلك ترى فى جميع بلاد آسيا ان السلطة على الامة مصحوبة بالسلطة على المرأة » ولعمري كيف نرجو صلاح مصرنا ورجالنا لا يعلمون معنى للاستقلال الشخصى نظرا لاستبدادهم الذى يبثون روحه فى أولادنا مع ان اس نجاح كل أمة هو القيام بواجبات احترام السيدات .

ربوا رجالا للفضـيلة والتقى وللحق والشرف الذى لا يجحد
وعـلى احترام السيدات فانه أمر عظيم واجب ومؤكد
مالى ارى وقلبي يمزقه الأسى بمظالم الرجل الذى يتمرد
هو يبغض الجنس اللطيف وانما حسن الغوانى دائما يترصد

واذا اله الكون اعطاه ابنة أسفاً يصيح وحسرة يتنهد
يايوم شؤم جئت فيه بنيتي هو يوم بؤس في الحقيقة أسود
لكن اذا جاء الغلام رأيته فرحا بطلعته يقوم ويقعد
واذا اشترى شيئاً ثمينا خصه فخراً بالابن انه لمؤيد
ويفضل الولد الذى دوما على اخواته بفعاله يتشدد
ويبدن بالظلم مالا لاخته ولصنعه كل الرجال تمجد
هو لا يساعد طول عمر نسوة في ضيقة أبدا وليس يعضد
واذا رأي احدى الاوانس مرة بجريدة كتبت تراه يندد
ويقول زورا في البرية معلنا ان التعلم للاوانس مفسد
ويقول ذلك كى يكون معظما واذا استقام بدوننا لايسعد
ما كان ذاك ليثننا عن عزمنا كل الجواهر في المخازن تنقد
لم لاينذينا العلوم لذيذة ان كان تحصيل الفضائل يقصد
لو كان يعلم ان من زرع النهى ثمر المعارف بعد ذلك يحصد
ما قال ذلك في خلال حديثه بل كان مشروع الفتاة يعضد
(لكن بنو أوطاننا لم يدركوا حقا لذا بفعالهم نستشهد)
ياحبذا لو بددوا شمل العدى ولحظنا بعد القطيعة جددوا
وبمرسح الايام نلعب دورنا ولمصر مجد غابر يتجدد

أتمنى أيها الرجل المصري ان تنزع عنك الكبرياء فلا تظهر مستبدا على أسرتك فيمقتوك ويخافوك وتضعف اخلاقهم فتربى فيهم جبناً ورعباً من منظرك وعبودية بصارم فعالك وهذه قرينتك اعتقد انها وايالك جسد واحد وامنع التكليفات الثقيلة من بينكما. أذكر مرة انى ذهبت مع والدتى لزيارة سيدة من ذوات الثروة واذ كنا جالسات رأيت منظر وجهها تغير بغتة وعراها ارتعاش وكان نظرها متحولا الى جهة الغرفة الغربية فارسلت نظري لتلك الجهة وشاهدت رجلا مقبلا وحالما خطا نحو الباب وقفت له اجلالا لخيانا ثم قال لها « هذا جواب لك من والدك ياهانم » وخرج فشيعته بوقار الى السلالم وانتهزت أنا تلك الفرصة سائلة والدتي عن سبب تغير منظر السيدة حال قدوم ذلك الرجل ومن يكون وبالحقيقة انى لعاجزة عن وصف ذهولى عندما أخبرتني انه زوجها لانى رأيتها تؤدي له واجبات تليق بانسان غريب عنها وعجبت لماذا وقفت امامه بخشوع كلى وكثيرا ما كنت أسائل نفسي عن عدم ظهور والدتى بذلك المظهر امام والدى ولكنى الآن اذ قد تقدمت فى الايام أعرف السبب وهو عدم التكليف بين الزوجين وفى مذهبي ان الرجل

الذى ينادى زوجته بالالفاظ الفخيمة كذلك الذى يشتمها تماماً وان تلك التى تتعبد لزوجها لداعى استبداده لا تصلح لرفع لواء الحب فى منزلها وغرسه فى قلوب أولادها . ولكى لا يعتبرنى الرجال محرضة للنساء على احتقارهم أصرح لهم بانى أقر فروض احترام الزوجة لزوجها ولكن لتكن بمحبة والمحبة تأبى التكاليف

فلهذا انصح لرجالنا ان يصلحوا أنفسهم وينبذوا نقائصهم هذه حتى يصلح حالنا والا فاذا استمروا على حالتهم تلك فلسوف نبقى فى تقهقر كلى ماتوالت الايام وظهر الجديدان .

الفصل السادس

تتمة العادات الذميمة

عندنا عادات رديئة غير التي ذكرتها وعليه سأنوه عن بعضها باختصار كلي حتي تكون عبرة نستسمجها فتتحلي بالفضيلة فلذلك ابتدىء : —

١ البصق على الارض — ياله من أمر معيب مكروه اضعه الآن في مقدمة عاداتنا الذميمة لان نفسي طالما تألمت منه تألماً شديداً . حدثتني سيدة أوروبية كانت سائرة في أحد الشوارع فتصادف ان بصق أديب أثناء مرورها فالفت بصقته مرتسمة على خدها وقالت انه لولا وجودها في مكان عمومي كانت قامت عليه وأوسعته ضربا لسوء آدابه ولفرط غيظها وأراها محقة فيما قالت ولكم تسود الدنيا في عيني كلما ذكرت هذا الامر الشأن فلرب مرة عاينا منه صنوف البلايا اذ طالما تلوثت ملابسنا به في مقاعد العربات العمومية وغيرها ولست أعلم ماذا يكلف حضرات المهذبين لو وضعوا تلك (البصقة) في مناديلهم

لاعلى وجوه الآخرين (وان لم يكن عمدا) لان ذلك يعد من أعظم دلائل الوحشية عند المتمدنين الذين نقلدهم في سيئاتهم ونعجز عن ذلك فى حسناتهم ليت شعرى متى نحسن سيرنا ؟ قرب الله ذلك الوقت

٢ شفط المشروبات بصوت مرتفع — تلك عادة لا تقل عن سابقتها ولكم تثقلت آذاني منها اذ عندما يقدم نوع من القهوة أو الماء لانسان يبدأ بشربه بكيفية مزعجة مميتة واخالهم يتخذون ذلك ذريعة لشروط الصحة أو لتبريد الاشياء الساخنة منها ولكنى انفى ذلك القول الاخير مؤكدة انه وهم فارغ لاننا نقوى على تبريد ما نريد بهدو وأما كونه من شروط الصحة فلست أؤكده تماماً فلهذا على من يود الوقوف على ذلك أن يذهب ويستشير أحد الاطباء بهذا الخصوص فاذا أجابه بكون ذلك مفيد للصحة فليجره على انفراد منعاً لتكدير الراحة العامه .

٣ الولائم — اشتهر الشرقيون عموما والمصريون خصوصا بالكرم ولكنهم أفرطوا فيه لدرجة الاسراف والتضييق على حرية ضيوفهم وأخال كلمتى الاخيرة لا تفهم تماما لاول وهلة

ولكنى أعني بها الالحاح الشديد على الضيف بالاكثار من الاكل الامر الذي طالما جعلنى أتصور نفسى فى مكان نزاع (متى كنت على مائدة بعض المحبات لهذا الكرم الكبير) اذ تتعالى فيه أصوات الحلف وأحيانا ان تشتم صاحبة البيت نفسها ان لم تأكل صاحبتها فلماذا نتكلف هذه النفقة الباهظة من النطق باسم الله الكريم على حساب غرورنا وجهلنا الذى أخذناه تحويلا كبيراً دفعة واحدة من احدى بنوك الجهل بمصر مع العلم انه الافضل ترك الضيوف لحريتهم وبذلك يكرمونهم حقيقة

٤ التحية وعبارات الترحاب — امتدح كثيراً لطف وأهلية شعبي المصرى ولكنى فى الوقت نفسه أذم كثرة ترديدهم عبارات التحية لدرجة تزهق الارواح فاني أعرف واحدة ممن اتصفن بهذه المزية أتألم من مقابلتها كثيراً لانها تسألنى عشرة سؤالات عن صحتى ووالدتى ووالدى وشقيقتي وشقيقى وشقيقى الاصغر وصحة كل من يلوذ بى قبل ماتمهلنى ان أجاوبها وحالما ترانى تقول (أرت شرفت آنست هل القمر) الى غيرها من الالفاظ التى تمنيت لو ان نصرف الوقت الذى

يذهب فيها في المفيد النافع منها للمغالاة ويغيظني كثيراً ان يردد الصديق لصديقه كل مرة يقابله فيها انه يحبه جداً وان الله يشهد علي ما في قلبه من جهته ولست أرى حاجة لذلك لانه قيل ان القلب للقلب رسول فليقتصر الانسان علي اظهار محبته بافعاله لا بكلامه . كذلك استهجن كثيراً أن يقوم الواحد ويحيي آخر دون سابق معرفة به كما ويسأله عن صحته واستغرب ذلك كثيراً لان الاختلاط بالآخرين بدون سابق معرفة طالما جرّ اضراراً جمة علي انى لا أمانع أن يقوم الانسان ويساعد غريباً متى رآه في حالة تستوجب مساعدته

وتحت هذه العادة يندرج حب تداخل المصريين في شؤون الآخرين فمتي كان اثنان يتشاجران في شارع يلتف حولهما العدد الغفير ويتداخلون في شؤونهما فيتفاقم الخطب .

كنت وشقيقي مرة نسير في الطريق ونحن نتحدث عن مسألة ما ولم أدر الا ورأيت احداهن تداخلت معنا في حديثنا فاستشاط شقيقي غضباً وعزم على أن يكلمها بعبارات جارحة لو لم أحذره انها من الجنس اللطيف وان الكلام الموجع لا يليق بان يوجه اليها فضلا عن انه يهيج السخط فأمرته ان يسلم

لى ذلك الأمر حتى أنصحها بلطف وفعلا كلمتها ولكن ذلك أخذ من وقتي وعليه تأسفت ان الانسان لا يقدر ان يوقف نفسه دائماً لالقاء مواعظ فى الشارع ولو كنت كذلك لصرت أعظم واعظ فى المدينة لكثرة المتداخلين في شؤون غيرهم ولو علم اولئك ان الكلام من فضة والسكوت من ذهب وان التداخل فيما لا يعنى الانسان يسمعه مالا يرضيه ربما كانوا ارتدعوا

بقى علي ان أحزن على بعض شبابنا الذين قد تفرنجوا فى رفع يدهم الى ما فوق أنفهم وأنف من يسلمون عليهم ولو علموا أصل هذا الأمر وموجب رفع اليد عن الابط لامتنعوا اذ يقال ان مرجعه الى احدى الملكات التي كان بها (دمل) تحت ابطها فكانت ترفع ذراعها بهذه الكيفية كلما سلمت حتى لا تتألم فتبعها الجميع وهكذا سرت تلك العادة الى مصرنا التى اشتهر أهلها بحب التقليد الاعمى

٥ حب الافتخار — بعض المصريين يحتقرون الآخرين اذا كانوا أصغر منهم نسبا ولو كانوا يشغلون مركزاً مهما فى الهيئة فيقول الواحد منهم أليس ذلك المشتغل في وظيفة....

ابن فلان الذى كان لا يجد الخبز فيهيل عليه الشتائم والسباب
دون ذنب جناه الا ضعة نسبه . ليس هـذا فقط بل قـد
استغرب ان أغنياءنا أصبحوا يقلدون السيدات فى كثرة
استعمال الحلى فلقد رأيت مراراً من يلبسون خاتمين فى اليد
الواحدة ودبوسا فى (الكرافته) واحدى الاساور الذهبية
حتي أصبحنا لا نرى فرقا بينهم وبين المولعات بالحلى أما من
جهة ولوع الجنس اللطيف بها فقد فاق كل حد وتصور اذ تخرج
الواحـدة منهن وعليهـا أكثر من ثلاث اقات من الذهب
ولا غرابة لانهـا تلبس في اليـد الواحـدة زوجى أساور
ضخمة وخمس عشرة (غويشه) رفيعة وقرطاً كبيراً
يتدلى الى كتفيها وقلادة وعقدا وغيره وعشرة دبابيس وساعة
بسلسلتها وانى مهما كتبت لاأعد مبالغة اذ رأيت مرة احدى
غنياتنا وقد دفعها حب الفخر للظهور بهـذا الشكل وقد كاد
يغمي على خوفا على صدرها من أن يميـد تحت ثقـل تلك
المصوغات ولـكن صديقة لى هدأت روعى مؤكدة لى انها
تعودت ذلك ومارسته منذ حداثتها فلم يسعنى الا تصديقها.
ومن المضحكات المحزنات أن تلبس بعضهن جملة أشياء من

شكل واحد فلقد شاهدت سيدة لابسة ثلاث ساعات فى آن واحد . . .

مهلا أيها القراء فلا ترمونى بالكذب لأنى أكرهه ولست أدعى ابتداعا فى قولى السابق لانى رأيت تلك السيدة بعينى رأسى وقد لبست فى كل يد سواراً به ساعة وفى صدرها واحدة ومن العجيب انها كانت تجهل معرفة قراءة الوقت فتأملوا .

٦ — استراق أسرار الغير — كم من مرة نرى أحدهم زاحفاً من غرفته فى ظلام الليل وبرده نحو غرفة أخرى يسمع ما يقوله الآخرين ولا موجب لذلك كله الا بأن جعل رائده الخيانة ومبدأه السفالة وقائده الدناءة بل كم من مرة تسلل وراء شقيقه بينما يكون منشغلا في قراءة مكاتيبه فيقف على كنهها خلسة منه وهنا لا يؤاخذني بعض موظفي مصلحة البوسته اذا نصحت لهم ان يمتنعوا عن قراءة التذاكر المكشوفة فانه فضلا عن تضييع أوقاتهم الثمينة يعد من أعظم درجات الوحشية والهمجية ولم أكن لا كتب حرفا بهذا الصدد لو لم أشاهد بعضهم يفعل ذلك اذ كنت في مصيفنا بالرمل وقد كنت متوارية وراء شقيقي وماذا رأيت؟ رأيت الموظف يقرأ تذكرة

جاءت لاحدى صديقاتي وهكذا غيرها وغيرها فاستغربت في صرف الوقت الثمين على هذه الكيفية ومضيت وأنا متألمة لان كثيرين بمصر لحد الآن لا يقدرون للوقت قيمة قط . ثم في العائلات الكبيرة ترى الشقيق يفض رسائل شقيقه دون اذن وان كنت أسلم مع من يعترض على ذلك بأنه لا أسرار تخفى على الأخ وأخيه لكني أقول ان الآداب تقتضي بعدم استلام أشياء الغير مهما كانت صلة القرابة بينهم وبيننا فعسى ان نمتنع عن ذلك حتى نجاري غيرنا من المتمدنين .

٧ استعطاء الاصحاء ـ كثيراً ماعجبت لوفرة عدد الشحاذين بمصر واستغربت أكثر من أن تمد اليهم يد المساعدة والاحسان مع انهم أصحاء الابدان أقوياء البنية ولكنهم أخذوا الشحاذة حرفة لهم واني أرى ان من يحسن اليهم يسيء ضدهم كثيرا اذ بذلك يشجعونهم على اجتناء قوتهم بذل السؤال ويعودونهم على عدم الاستقلال الذاتي مع انه يجب ان نتعلم هذه القاعدة وهي بعرق الجبين نأكل خبزنا تلك سنة وضعها الله على البشر منذ القديم فكيف نخالفها وكيف يرضى ذلك الشحاذ الصحيح البنية بتلك الحياة وأرجح ان أغلب اولئك

الشحاذين يرتضون بحالتهم نسبة لاقتناعهم بالقليل من الزاد لان أغلبهم يكتفى بلقمة وبصلة لغذائه غير حاسب لصحته اقل حساب مع ان غيرنا من فقراء العالم يبذلون جهدهم فى كسب معاشهم بجدهم لتغذية جسومهم التغذية الواجبة زدعلى ذلك ان بعض المتسولين عندنا يأخذون المبالغ التى يحسن عليهم بها ويصرفونها فى شراء التبغ والمسكر بينما تموت عائلتهم الكبيرة في البيت جوعاً فلذلك أدعو الجميع للنظر فى هذه المسألة بعين الروية وحبذا لو سنت حكومتنا معاقبات صارمة لكل من يتخذ الشحاذة حرفة لداعي الكسل فيتعلم الجميع الاجتهاد .

٨ حرية الفكر ـ لست أجد وأرى أدنى من انسان يقول مالا يقصد ويظهر مالا يعتقد ويتزلف للآخرين متصاغرا سعياً وراء فائدة يبغيها ومنفعة يريدها وخير يجتنيه وهو في نفسه يكره من يتذلل لهم على هذه الكيفية فلا يظنن ذلك المغتر ان اعماله تخفى على أحد بل ليتحقق انها كلها مشهودة ملموسة ككل احوال الكذبة المنافقين

هلم لنشاهد شقيقين يخلصان لبعضهما الحب ظاهريا واذا

امتاز أحدهما عن الآخر بكرم اخلاق يكسبه مدح الجميع تلتهب نيران الحسد بقلب الآخر فيضمر له المجالحة مذيعاً مذمته أمام القاصي والداني وبذلك يصغر من مقام نفسه. ماضره لو كان يخبر صديقه انه يبغضه (ولو انى لا احب ان يبغض الانسان شقيقه الانسان. لكني أراه خيرا من عدم حرية الفكر والرياء) ثم هيا لنرى انساناً في قاعة خطابة فكانه يكلم المقاعد الخشبية لا الجالسين عليها لانشغالهم في حديث آخر وعند ما ينتهي تشرئب اليه الاعناق مادحين كلامه وهو اللوذعي الاريب والالمعي الجهبذ دون شعور داخلي يأتي مصداقا لكلامهم الكاذب غير محبة التملق وعدم حرية الفكر وهنا في بيت سيدة منهمكة في اشغالها المنزلية نشاهد المضيفة ترحب بضيفتها وتجالسها ومن اجل الغيظ تظل داخلها لتعطليها من أشغالها ولكنها مع ذلك تظهر لها البشاشة وحالما ترحل عنها تبدأ في لعنها وسبابها وكنت أتمنى وأفضل لو أخبرتها من أول دقيقة جاءتها فيها انها منهمكة في أعمالها الوافرة ولا تستطيع مقابلتها وهو خير من قدحها في غيبتها فلماذا نتعود النفاق والكذب ولماذا عندما يبدي أحدهم فكراً ويكون مخالفاً لمبادىء

الجمهور الغفير من الحاضرين يوافقون عليه خوفا من انحيازهم لعدد قليل ضعيف ولكنهم حالما يديرون ظهورهم يهيلون الاحتقار مستهجنين ذلك الفكر فلم لا يصرحون بذلك على مرأى قائله . غدا سنكون تحت طيات الثرى، وتبقى أقوالنا شاهدة علينا فلماذا نتلون فيها مع ان الله لم يصورنا على خلقة الحرباء بل خلقنا أناساً عقلاء أصحاب حرية فكر وحزم

٩ الحرب ماذا دهاك أيها اليراع حتى توقفت عن معاودة الكتابه ؟ هل تجسمت امامك فظائع وأهوال الحرب المتشبه بين الجهل والعلم وانتصار الأول على الثانى ! قف لحظة فها الجهله ينفخون أبواق النصر فى مصر وويلك هنيهة فها الانسان ينقض على أخيه الانسان كالنسر على فريسته وها الغني يترفع عن مد يد المساعدة للفقير البائس ويأبى أهل الانسانية رفع البشرية من حالة الانحطاط والذل صارفين جل أوقاتهم فى التنكيل بالغير فيهضمون حقوق الفقراء والمعوزين بأخذ مالهم من بقايا حطام هذه الدنيا لتوسيع دوائرهم فهل يوجد أشر من ذلك

مالى أرى كل الشعوب تصوب
سيفاً أراه بالدماء يخضب
فالحرب من شأن الوحوش حقيقة
والسلم للافضال دوماً يعرب
والسلم معناه التمدن كله يحلو لدى الانسماع نعت ويطرب
ان كنتم بالحرب تبغون العلى
فدعوا الحروب لان ذلك أصوب
أخلاقنا تحتاج للتقويم والـ تهذيب وهو الى النفوس محبب
بالعفو نكتسب المحامد والعلا والعفو للاعداء مجد يجلب
بالقوة العظمى نبيد عداتنا وبيأسنا هام الاعادى نضرب
هى قوة العقل الكريم وحلمنا والصبر فى الاحزان أيضاً يطلب
ان كان توسيع الدوائر بالوغى فالعقل في التوسيع دوماً يرغب
العلم والتهذيب كنز دائم يبغيه منا طالب ومهذب
الدين والتقوى غنائم جمة وكواكب بسعودها نترقب
فعليكم بالسلم يامن رمتموا حربا لان الحرب أمر يصعب
كم من بيوت قد يجللها الاسى فالحزن بعد الحرب دوماً يعقب

فالام تندب رب منزلها الذى
في الحرب شمس حياته قد تغرب
والوالد المسكين يقضى نحبه والقلب شوقا للمنازل يهرب
والمرء يبغى نظرة من أخته قبل الممات يموت وهو معذب
والطفل يسأل عن أبيه امه فتجيبه والدمع منها يسكب
ولدى أبوك قضى شهيدا في الوغى
والموت حسبك ليس منه مهرب
والعيش فى هذى الحياة مثقل
بالهم حاشاه يطيب ويعذب
كيف الهروب من الرزية عندما
تأتي وقل لي أين أين المهرب
لاحول قد نفذت عزيمة همتى
والصبر اجمل في الهموم واوجب
ان كان عندكم بقايا رحمة
ألقوا ستارا للمعامع يحجب
اعلوا لنا ركن الفضيلة فى الورى
ودعوا الحروب فقد تلاشى الغيهب

والله يهدينا الى سبل الهدى

وسحاب رحمته دواما صيب

١٩ الزار ومصارعه ـ انه لاسم مريع يكاد يجف المداد لدى تخطيطه فهو عدو الاجتماع الأكبر وشيطانه الألد كم هدم بيوتا بالعز شامخة وافنى اموالا هائلة تفرقت أيدي سبا وكم جلب شرا وكم عاد بالبلية والرزية . انه لاسم فظيع ممتلىء وحشية . كم احفظ قلب رجل على زوجته وكم علم النساء الكذب والرياء والادعاء كل ذلك منه ولكنا لانحاربه بل نحبه حبا جما

في مصر عادات بكل مكان جلبت علينا أكبر الاحزان
فلقد سمعت حكاية عن غادة تسبي العقول بحسنها الفتان
زفت الى رجل غني شائب ذي شهرة في سائر البلدان
جاءت لديها ذات يوم أمها قالت لها بنباهة وبيان
سيموت بعلك بغتة لاتجزعي (ان الحياة دقائق وثواني)
وسيترك المال الكبير لاخته وبناتها من بعده بأمان
ولديك حيلتنا الخفية منيتي فالزار حسبك جالب الاحسان

فمتي اتى لك زوجك المهرم اظهري ال

ألم الشديد بمدمع الأجفان

قولى له ان الحياة مريرة واليك ساعات الرحيل دوانى
ان لم يبادر بالعلاج فانه جهلاً لموتك فى الحقيقة جانى
قامت تودعها وراحت وهى فى فرح بما لقيت من الاذعان
تركت فتاة تدعي بالحزن وال مرض الجسيم بسائر الالوان
حتي اذا جاء العجوز لدارها ألفى الفتاة على شفير هوان
وغدا يسائلها باسباب الاسى وتجيب تلك بسمها الهتان
زادت عليه همومه لما رآ ها بين تبريح وبين حنان
ولها أجاب مصرحا يامهجتي اعطيك ماتبغين فى الاحسان
مالى أرى دمع الكآبة جارياً وأراك دوماً جمة الاحزان
قالت له بعد التردد والبكا مرض خبيث هدّ منه كياني
وأراه قد أرخى المفاصل كلها وأنا لاسقام الممات أعانى
هذى الحياة وجدتها منكودة لم تبق لى فى العيش بعد أمانى
وأرى دوائي الداء عند فتية مشهورة بالطب والعرفان
والآن أرجوك السماح فهل ترى أحظى باذن منك مع رضوان
فأجابها والاذن منه سميعة سيرى لها فى ذمة الرحمان

والي ربوع الزار مع فتياتها ذهبت لكي تشفى من الاحزان
راحت تغش ضميرها مع بعلها بمظاهر التمويه والبهتان
والطبل قد بدأت وشيختهن قد حكمت بحكم جائر شيطانى
هيا استعدى يافتاة وبادرى بخواتم وأساور وأوانى
ومنازل مفروشة بطنافس حسناء وهى جميلة الالوان
ويحب يسمع منك دوماسيدى (تهدار غانية وعزف قيان)
من أحسن الاطياب يبغى شفة تشفى العليل كثيرة الاثمان
يبغى كذاك من الكريم معجلا قرطا ومعه أفخر التيجان
لو كان ينقصها دواء واحد تبقين واحدة من العميان
ما كنت أبغى ان أكلف سيدى تعبا ولكن الزمان دهانى
انى بليت من الهموم لهولها (ونرى الأمائل عرضة الحدثان)
فعليك بالاشياء حالا مسرعاً بهبات معن أوانو شروان
شفيت قليلا ثم عاد بها الذى كانت تعانيه من النيران
طلبت مطالب لم يطقها بعلها عادت عليه بأكبر الخسران
فقد الغنى وغدا يعرض بعده بيع البيوت وعرضها لرهان
مدت له الايام كل كريهة طبعا وقد زلت به القدمان
فقضى الليالى وهو فى حزن وقد أضحى حشاه دائم الخفقان

أودى به الهم الجزيل وساقه قهراً الى درك الحضيض يماني
وأصيبت الحسناء بالامعاء وال احشاء والبلوي وبالسرطان
والزار قد أودى بذينك معلنا ان الغرور لهادم العمران
فتعقلوا ياقوم وانتبهوا فلا زار هنا ياعصمة الاخوان
المجد والشرف الرفيع حقيقة فى الدين والتقوى وفى الايمان

obeikandl.com

الفصل السابع

المآتم

قفي لحظة أيتها الافكار ودعيني انظر القرطاس وياالوعتي رويدك هنيهة حتى تعود الىّ الحواس لاستطيع ان اكتب ما أقدر عليه من وصف ذلك اليوم المشهود يوم حلول مصيبة في أحد البيوت المصرية . وياقلبي لاتضرب هكذا عاليا لانك تكاد تعدمني القوى فصبرا ريثما اكمل كلمتي الصغيرة هذه.

عند ما تحصل الوفاة في أحد بيوتاتنا يكون وقعها على الرؤوس كالشهب المميتة والصواعق المحرقة فتتعالى الصرخات بالويلات دون ان يقول أحدفي نفسه ان قد نفذ القضاء وماله من مرجع . . . .

تتصاعد تلك الصرخات التى تقشعر منها الابدان فتنسى الحكمة والدين والأدب والتقي وبعد لحظة توافد السيدات والرجال الى بيت الحزن والنوح وهناك مع النادبات يمثلون اردأ ادوار الهمجية ان عزيمتي ترتخي وعبرتي تنسجم مدراراً

وتغيب حواسي لان ذلك الدور شنيع وقبيح جداً . . .

ماذا يفعلن ؟ وماذا يفعلون ؟ هناك يتمرغن في حمأة من الاوحال والصباغ الاسود . وعلى الرؤوس كومات من الطين وبعضهن ينصبن صواناً كبيرا ويضعن في وسطه طبلا تنقره احداهن ثم تلتف حولها البقية وهن راقصات بكيفية شنيعة (قد يرقص الطير مذبوحا من الألم) أما الرجال فيتمنطقون بالحبال في وسطهم ويبدأون بالصراخ والرثاء في طول الشارع وعرضه فتكثر الفوغاء

فلهذا أيتها العبرات استنزفي مدراراً وان أردت فكوني سيلا جارفا أو بحراً جاريا اذا شئت وان لم تجدي ما يكفيك من ماء العيون فهالك دماء القلوب. وأيتها اللوعات اضرمي نيرانك المحرقة في الاكباد حتي يتلاشى ما بقى من هذا الفؤاد بعد استنزاف دمه للعيشة بلا قلوب مادام للعيش الانكد بقية في الوجود ....

ما ردأك أيتها الطبيعة وما اقساك ياذا الموت ؟ ما أشد كأسك وما أمر طعمك وما اقوى بأسك ؟ متى اقبلت فأنت الغالب الظافر يافاصل المحبين ومفرق المتحدين ولكنك وان

كنت مر المزاق الا انك طريق الارض كلها وقد اجتازه اسلافنا .

يموت انسان فتموت معه صحة عائلته اذ يرتدون بالملابس السوداء ويحرمون أنفسهم من استنشاق الهواء

ولكن لما ذا نرتدى تلك الملابس المضرة للصحة طول السنة ولما ذا لانخرج خارجا لاستنشاق الهواء مهما اعتلت أجسامنا ولا ندخل مكانا به آلات طرب ولو كانت الحانها محزنة وكيف نحرم أنفسنا من المأكولات المغذية لتقويتها على مضض البلوى ولما ذا نحرم النطق باسم الفقيد ولا نقوى على مشاهدة سميه وشبيهه سنا . لست أنكر ان المصيبة محرقة وان الجرح بسببها متأصل فى سويداء القلوب الا فلنعلم ان الله فى السماء قادر ان يصب عليها مراحم تعزيته وسلوانه فلنرضخ لاحكامه الابوية لانه عزوجل يؤدب من يحبه

بقى شيء أخير مذموم يجعل جنائزنا موضوع هزء الجميع اذ ننصب خيمة كبيرة فيها نعد الموائد مدة سبعة أيام يكثر فيها

المزّون وبعضهم من الادنياء الطفيلية الذين يأتون لحشو بطونهم الجشعة لا لغرض المؤاساة الحقيقي الامر الذى يجلب الخجل والسخرية أفلا نستطيع ان نحزن بسكوت وهدو وتعقل فنؤكد للعالم اننا بشر نصبر تحت أوامر الله لا كفرة ملحدون فلنترك هذه العادات القبيحة التي لايجيزها الضمير ولا يقرها الدين وتمجها الانسانية ولا يقبلها من كان عنده بقية عاطفة حيه وشعور راق .

الفصل الثامن

الأمل

الامل يبعث الرغبة والرغبة توجب العمل
والعمل يهب النجاح والنجاح يحتاج
الى الثبات والثبات يفتقر الى الثقة
والثقة تنتهى الى الامل
(ولى الدين بك يكن)

أين أنت أيها الأمل ؟ وفى أي الاماكن مقرك ؟ أعلى أرائك الملوك تجلس فتستعمل مجدهم لك سفيراً وثروتهم رسولا ؟ أو هل تسكن فى كوخ الفقير فتجعل مسكنته للبشرية معلما وبؤسه وشقاءه أماماً ؟ بل هل تجول فى بطون الوديان فتظهر فى هدير الحمائم وتنظم فى حفيف الأشجار ؟ ليت شعرى ما هو مسكنك ؟ وأين منزلك ؟؟

أسائل نفسي وأنا فى باخرة تمخر عباب النيل وكأنها النيل نفسه يشبه الأمل العريض فى ديجور الحياة وبهذه الفكرة استطردت التصور فأخذت استفهم من المرئيات

التى أشاهدها أمامي عن السبب الذى يدفع الفلاح على الخروج من بيته قبل ان تبرز عروس الصباح من حجلتها فيقوده قطيعه الى المرابض الخضراء ويستريح تحت ظلال الاشجار الفيحاء أو يصرف يومه بين الحرث والغرس والسقى والجنى فعلمت انه الأمل

أو ماالذى دعا هذه السنونوه ان تأخذ أولادها لتعلمهم الجولان فى مملكة الهواء ؟ أليس هو ذلك الأمل بالقيام بأود معاشها

وكيف يتعب طلاب العلم لتحصيله بدون سآمة ولا ملل وما رغبتهم فى تحمل تلك المشاق ؟ الا اغاذلك هو الامل

ولكن هيا أيتها الذاكرة للعودة بمين التصور الى صفحات التاريخ لنرى ما الذي شجع كريستفورس كليمبوس على ركوب الاهوال غير الأمل باكتشاف الدنيا الجديدة

وما الذى قاد جان دارك الفرنساويه الى خوض معامع القتال حباً فى تخليص بلادها من ربقة الاستعباد ؟ ذلك هو الأمل وليس سواه

وهناك فى عصر جمس الثانى ملك اسكتلاندا لنسأل

السيدة كاترين دوغلاس عن سبب وقوفها في طريق المتآمرين على قتله حتى انها عند ما أحست بمقدمهم ولم تجد ما تغلق به أغلب الابواب المكسرة جاشت فيها شجاعتها الوراثية فوضعت ذراعها وراء باب صحيح وثبتت في دفاعها حتى كسر ذلك الذراع ولكنها وقفت في منصبها ولم تتحول عنه فلم ذلك كله ياترى وماذا تقصد به ؟ انها ماقصدت الا الامل بتخليص حياة الملك

وكذا لدينا السيدة فرنكلين التي تبعت زوجها الملاح بعد ان قطعت أخباره عنها بالكلية ولم يثنها عن البحث عنه استيلاء اليأس على من رافقوها بل دأبت على أعمالها بعزم غريب حتى أثبتت للأمة الانجليزية أن زوجها راح ضحية آماله باكتشاف أقطار مترامية الاطراف جهلها كل ملاح قبله فما الذي دفعها على تطويح نفسها في تلك الاعمال الخطيرة وتبوء عرش المهالك ألم يكن رائدها في ذلك آمالها باكتشاف أخبار بعلها واستنهاض الهمم (بعد معرفتها بموته) ليحذوا الجميع حذوه فنعم مافعلت ونعم امالها

آه لقد عرفت مقرك الان أيها الامل وتأكدت انك

تسكن فى قلوب أصحاب العزيمة القوية وانك تأتى مع كل حالة من حالات النفس حتى يكاد من بنى اماله على صروح وطيدة من المجد يناطح الجوزاء بمرقاة السعد والهناء بعكس من اضمحلت اماله وبالطبع قوته وثباته فأصبح الموت أحب اليه من الحياة وكذلك تعلمت ان كل سعادة وبؤس منك وبك واليك وعنك ولكني رأيت نوعين من الامل - واحد محقق والاخر عكسه - فلم ذلك؟ لماذا أرى هذا الفلاح الفقير يشتغل ويجد طول يومه ويعود ويأكل خبزه القاسى فى المساء مع عائلته بسرور الى ان يموت قرير العين ناعم البال وكيف ان هذا الغني القدير يعيش منكداً ويموت كئيباً

فكرت طويلا ... وأخيراً أشكرك أيها الامل لأنك عرفتنى أيضاً الان ان امال ذلك الفلاح شريفة صادقه اذ كان يصب أحزانه ومتاعبه قبل اعيائه تحت قدميك فتستقر نفسه مستريحة ثم تعاود السير مجدة فسعد ونال مأمنى أما الغنى فاماله كبيرة خسيسة وعظيمة يخر صريعا تحت ثقلها فتضمحل عزيمته ويموت ويدفن تحت عرشك قبل تحققها بل ان أمل ذلك الفلاح كان يرمى لغرض واحد وهو القناعة

بما يحصله لمعيشته وتمجيد خالقه بخلاف الاخر الذي كانت
اماله ترمي لجملة أغراض فلم تحقق فلذلك يجب ان نكون كما
قال جوث « ان سر الحياة الحقيقي تقليل الامل وحسن
التمتع بما لدينا » أو كما قال الشاعر الناثر والطائر الصيت ولي
الدين بك يكن « ان صاحب الامل الواحد سديد الخطى
وصاحب الاملين قد يدركه العثار وصاحب الامال قصاراه الزلل
ولكن هذا الزلل مغتفر لان منشأ امال من أمل » على انه وان
كان الانسان معرضا للخطأ لكنه لا يجب ان نقع مرتين فيه بعينه
بل يجب اعتبار غلطتنا معلما لنا فنجعلها سلما به نرقى للحياة
الكاملة مع عدم الاكتراث بما نصادفه من الصعاب واحيانا
الفشل اذ ما من ظافر الا وقد فشل مرة فلذلك علينا اذا أردنا
النجاح ان نرمي بانفسنا في أعمالنا بشجاعة مهما كانت الحال وان
تلك الجرأة التي تطوحنا في وسط الاعمال يجب ألا نستعملها
بالاستهزاء بالاخطار بل ان نقاومها بعزم كما تقوم بعدم تعريض
أنفسنا لها بلا ضرورة وعليه يجب ألا نبعد امالنا بل نصبر
في ساعات حزننا ونحتمل الامنا لان الغيوم حالا تنقشع فتظهر
الشمس البهية ولولاها ما كنا نقدر تلك الشمس ونورها حق

قدرهما وهكذا الالام فانها تقوى الاخلاق وتهب الشجاعة

فما هي امالك أيتها المرأة المصرية وماهو غرض حياتك؟ هل تعلمين ان لها نهاية وانك ستؤدين حساباً عن كل دقيقة منها؟

وما هو أملك أيها الانسان الذي تكوم الأحوال وتبني الدور الشاهقة وماذا تقصد بجورك على أخيك الانسان: وكيف تقوى على الوقوف امام عرش الله ليناقشك الحساب عما جنت يداك من سوء وشر؟ وما هي امالك أيتها الشبيبة المصرية؟ ليتها لا تحصر الا في كل مجيد

أما امالي فهي ان أرى المصري يعاون المصري على اسداء الخير والمعروف وان يحارب الجهالة بحسام التعقل والرزانة أملي ان أرى المرأة المصرية مكللة بتاج السعادة والهناء ناشرة لواء لطفها وورعها لتصير بركة للجميع وان تربي أولادها على أقوم منهج فتبشر هذه الامة بمستقبل زاهر مجيد لاننا بالامل نعيش وبه نتقوى

ترى ماهي امالكم يامن تقرأون رسالتي هذه ؟؟؟ عساها تقوم بمنفعة الجنس الضعيف اللطيف ورقي البلاد حقق الله الامال في كل حال انه قدير متعال

حديث خيالي لمصر

الفيت نفسى البارحة فى ألم شديد ضاقت لديه مساحتها من جرى اعمال وافرة وهموم كثيرة فوقفت في بهو منزلنا المطل على النيل فسارت افكاري برهة معه ورأيت ان انطلاقه امامى فى هموم الصحراء يشبه أملي « باصلاح شعبي العزيز » المنساب فى بيداء اعمالى ولكنى سئمت ذلك فدخلت والقيت نفسى على مضجع بجوار النافذة كنت أتمكن منها رؤية التلال العابسة التى تستر وراءها ما آثر الفراعنة القدماء فانهملت من عينى دمعة حرى كانت كالجمر على خدى فملت هذه البطالة والالام وقمت لأوقع نغمة على آلة موسيقية لدى راجية ان تطيح عنى الكرب فسبقتنى يدى الى توقيع نغمات محزنة حتى شعرت كأن الحزن لم يخلق لغير قلبي ففتر منى العزم وانبعضت الحركة وجلست أروح عقلي فى كتاب « اطواق الذهب للتقى الزمخشرى » ففتحته واذا امامى هذه الكلمات : ـ

« يا ابن أبي وأمي هات حديث الاباء والامهات . وحدث عن رجال العشيرة . وكرام الاخلاء والجيرة . من الجار الجنب . وماس الطنب . ومن جاثيناه على الركب . وجارياناه فى كشف الكرب . ومن رفدنا بالخير ورفدناه . وأفادنا الحكمة وأفدناه . قد اقتضاهم من أوجدهم أن يفنوا . وخلت عنهم الديار كأن لم يفنوا . وكفي بمكانهم واعظاً لو صودف من يتعظ . وموقظاً عن الغفلة لو وجد من يستيقظ . »

فاستشعرت بعض الراحة وسريت فى احشاء تلك الكلم النفيسة الى أن أخذ منى التعب كل مأخذ ولم أجعل الصحيفة التى كنت أقرأها تأم الأخرى الالداع عرضى هو تناول طعامي فجلست على المائدة مع لفيف العائلة وما تناولت من عليها وقتئذ غير أحاديثهم الشهيه وما ارتشفت الاصوت ضحكاتهم المعزيه وانطلقت الى البهو ثانية حيث مددت لذا كرتى سماط الطعامين اللذين تبلغتهما فانتعشت قليلا بعد العناء على ان السكوت المخيم حولى الجأنى لان أهب على متن

الخيال وأعدو فى بيداء التصور عدو الظليم ترافقني كوكبة من الهموم الفادحة والافكار السائحة وبعد نصف ساعة تقريبا عدت من حيث ذهبت وجلست اسامر الكواكب وقد حال الهم دون النوم واياي فكنت كلما حاولت ان استميله الى بعده ذاك عنى فأمسكت اطواقي الذهبية وأخذت انهل من معدنها الكريم واتروى من درر اودع الله كنزها فى عقل ذلك التقي الحكيم حتى أخذتني سنة فنوم واذ كنت نائمة شعرت باهتزاز فى سريري فظننت انها هواجس مسببه من انهماكي في اشغالى فواليت النوم ولكني احسست بمن تمسك يدي ففتحت عيني ورأيت بجانبي سيدة وهبتها الطبيعة جمالها ونفحتها الشمس نضارتها وقد افرغ الله عليها من نوره فتكونت منه اذ كانت على بهاء نادر المثال تولت الطهارة حراسته لان الحسن كان قد نفحها بالنفيسين ـ بالمسك فى شعرها المتجعد واللؤلؤ في ثغرها ـ وكانت متوسطة القامة عليها حلة بيضاء محلاة بعروق اللؤلؤ لم أر لمثلها نظيرا فى كل حياتى وسمعتها تقول لى ـ ان افكاري تتحد بافكارك فتعالى لأريك شيئا يساعدك فى مساعيك انني مصر بنت مصر ايم وقد ختمت ايسس بقبلتها البهاء

على جبيني فصيرتني أعظم شأناً من كل اخواتي فهيا لاقودك الى قصري الفخيم وأريك مملكتي الواسعة وأعيد عليك صفحات تاريخ موطنك المطويه فارتديت ملابسي وتبعتها مسرعة ونزلت معها في عربتها الزجاجية التي وقفت بنا أمام قصرها الملوكي في ثيبه فوقفت بي على مرسح التاريخ وازاحت الستار فظهر فتى عليه ثياب مرصعه بالماس المحبوك بالذهب فانحني مسلما على أمه مصر وابتسم في وجهها مرحباً فالتفتت هي الى قائلة هاك (منا) أيتها الحبيبة وقد فرغ من بناء منفيس وتحويل النيل عن مجراه الأصلي . فأطرقت خاشعة وقلت أمينيس هذا أنت الذي خضع نيلنا السعيد لسلطانك وجبروتك والدي وقفت جيوش مصر زهينة لاشارتك انني بأجداه سعيدة بمقابلتك وسأذهب الآن لمعاينة منفيس مدينتك ـ وفي لحظة من الزمان وصلتها وهناك رأيت فسطاطه الكبير وشعبه السعيد وهيا كلهم وقصورهم العامرة وأخذت مصر تقص علي أعماله الهائلة المفيدة وكيف دأب على العمل في اسعاد الرعية الى آخر نسمة من حياته وبذلك شيد لها الحجر الاول من العظمة والجبروت وما هي الا دقائق معدودات

حتى جاءت بي الى روضة زاهرة يتلألأ في وسطها قصر يزهو كالبدر على صفحات القبة الزرقاء فكانه « قرط معلق في أذن الجوزاء وكأن شرفاته اذان تفضي اليها النجوم بالاسرار وطاقاته أبراج تتنقل فيها الشموس والأقمار » وقد وقف البطل « منقرع » الصالح في احدى نوافذه يخاطب جمهوراً محتشداً في الشارع برقة ولطف ثم نفخ كبير حراسه بالبوق معلناً تأهب الملك للرحيل الى الجيزة فخرج الملك يصحبنا الى هناك حيث أعجب بهمة الرعية وأثنى عليهم لاستحضار سائر اللوازم لبناء الهرم الثالث واعتذر لهم عن استبداد أخويه آسفاً على ماصادفوا منهما من المظالم محققاً لهم انه سيبذل كل قطرة من دمه لاجل خيرهم فدوى الفضاء بعبارات الثناء والمديح عليه ولم يسعني الا أن أصيح ثلاثا (فليحي منقرع) ثم رأيته عائدا بالتالي الى منفيس أثر ألم شديد اعتراه نفظ بعده أنفاسه القليلة الطاهرة ـ لهف قلبي عليك يا أبت منقرع فكيف تجاسر الموت على مد يده الباردة الحاده اليك أفلم يرهب صولتك وقدرتك حتى هاجمك بكأسه المر ـ أواه انني أبكيك وأندب الأخلاق الشريفة في شخصك وها أمك مصر

تعيسة معى تشاركنى فى العويل ـ مصر يامصر شقى يا أمى الجيوب فقد مات منقرع وهل آل الى الزوال مجدك الآن؟ مصر ما جف نيلك فما هـذا الجدب ان هو الا جـدب فى صحراء الافئدة لا البلاد ؟ أيا منقرع من ذا الذى سيتم عنك هرمك أو ليس من المحزن ان ترى ذينك الهرمين يناطحان السحاب بشامخ ارتفاعهما بفضـل اتعاب العملة المظلومين فى عهد شقيقيك وهرمك الذي شيد بآى المروءة والحنان يبقى مهملا؟فمن ذا الذى ياترى يقوم عنك بعملك المجيدهذا فسمعت صوتاً رقيقاً يقول ـ أنا أيتها الحبيبة نخففي عنك لانى بحمد الله قويةوأستطيع ان أسوس الملك وأعمال والدى بنشاط فسحت مدامعى وشاهـدت فتاة تلوح عليهـا علائم الذكاء المفرط والجمال الرائع والفضـل الكامل وقـد تقدمت الى تقبلنى ولتخبرنى انها قديرة فى مهام البناء والهندسة عالمـة فى ضروب الحكمة عارفة كيف تقطع دابر الاشرار من الارض وقادتنى الى الهرم الثالث فألفيته آية الحسن وقد ظهرت على كل حجر من أحجاره الضخمة آثار أوامرها العادلة القويه التى نمت لى على شجاعتها كما تنم الريح على خميلة الورد ومرت

بى فى سرداب طويل تحت الارض وأرتنى جماعة فى وليمة حافلة بأسباب الرفاهية وأسرعت بى للخارج حتى تفتح قناتها المخفية لتذيق أولئك الاشرار كأس المنية وكانها بذلك تمثل رجز الله على كل ظالم خؤون فودعتها اطاعة لاوامر والدتى مصر التي سافرت معها الى مدينة الفيوم حيث تشرفت بمقابلة سيمو فريس الاديبة وصرفت معها ساعة أرتني فيها كيف تكون المرأة الفاضلة ثم نادتني والدتى وأخذتني الى الصحراء الغربية وأرتني بادية عظيمة تصلح أراضيها للزراعة وكان فى جانبها الغربى أرض منخفضة متسعة جداً تغمرها مياه البحيرة الطبيعية المعروفة ببركة قارون وعاينت أمينمحت الحازم يتدارك خطراً كبيراً بعد تدقيق نظره فى أن النيل اذا قلت زيادته عن عادته بقيت بعض الاراضي الزراعية بلا رى وان زاد فيضانه عن حده المعتاد قطع الجسور وأغرق البلدان وأضر بالاراضى فامر بحفر بركة فى وسط قطعة أرض مستوية هناك تبلغ مساحة سطحها عشرة ملايين متر مربع لخزن المياه فيها بحيث اذا خيف على الارض الغرق خزن بها الزائد وعند اللازم اليه للارواء صرف منها ماشاء . رأيت ذلك كله وقد تممه حتي

أصبحت البلاد فى عصره ذات مجد خالد له الى دهر الداهرين سيما وقد شيد فى وسط تلك البركة الصناعية هرمين فى كل منهما تمثال جالس وفى الاول وضع تمثاله يشاهد بركته التى حفرها وفى الثانى تمثال زوجته العزيزة لتبقى ذكراهما مبجلة ولتذكر البشر فى يوم ات كيف يكون الاجتهاد وتسمو الفضيلة . واذ كانت تلك الليلة غدافية الاهاب انتعلت قدماى بسرعة الى ان اعترضني في طريق بناء شائق هو قصر ذلك الملك الفاضل فقابلني أثر دخولى خدمه وحشمه وأخذونى لاتمشي فى رحباته الاثنتي عشر فاذا هى متقابلة الابواب تحتوى على ثلاثة الاف حجرة منها ألف وخمسمائة فى الدور الاول ومثلها فى الثانى وكلها مسقوفة بالحجارة ومقامة على أعمدة من الحجر منتظمة الصفوف وفى اخرها هرم مزين بانواع الرسوم العجيبة يوصل اليه بسرداب تحت الارض ليدفن فيه الملك وكانه لم يهمل ابداعا « لقلم مصور ولا ليقة ليد رسام » فاجراهما عليه حتى ليخيل للمرء انه قد صب فى قالب البهاء

مررت بكل رحبات ذلك القصر ووقفت في عرصاته وكانت تحيط بي الخود الحسان وأظرف الولدان لخدمتي

فشعرت كأنى أخطر فى ربوع الجنان واذ كنت سائرة اقتربت من خارطة هندسية لذلك القصر اكتحلت عيناى برؤية حقيقة حلوة فيها اذ قرأت ان كل غرف من غرفه مخصصة لمندوب عن كل قسم فى القطر المصرى يجتمعون فيها للمداولة فى أحوال البلاد وبينا انا جذله بترديد قراءتها تقدمت الى فتاة ذات قدّ مائس وأخبرتنى بان والدها يدعونى لحضور احدى جلسات برلمانه اذا شئت فتبعتها بالتياح وامتنان ودخلت ذلك المجلس فرأيتها تمثل فيه أعظم الادوار السياسية المهمة وتهبه نصحاً غالياً وتصدر امرا نافذا لا يخالف والكل يقبلونه بشكر ـ حين ذاك فاضت دموع الفرح على خدى فجثوت مقبلة قدمى تلك السياسية العالمة وأخيراً أسدل الستار على هذا المنظر العجيب فودعتها لكى أرافق والدتى فى تتمة بقية رحلتنا وما خطونا الا قليلا حتى أزاحت ستاراً أبيض ناصعاً يستر وراءه آخر اسود وتنهدت من فؤاد مجروح وقالت ان هذا الدور هو الوحيد من نوعه لانه فيه ذاقت بلادي الذل مدة خمسة قرون متوالية وفيه لم تكن المرأة حاكمة على الملك وفيه نسيت زمن نيتوكريس وسميوفريس والسيدة بكيت

التى كان لها الحق ان تقيم على اريكة الملك من تشاء . وفيه نشطت الى ابتداع خير حيلة لترقى قسطاط الحكم فقامت تعين من التحين بلحية صناعية وبذلك تمكن من غرضها بلا مانع . وفيه تحقق الشعب الفرعونى انه مامن مرة هضمت حقوق المرأة الا وسقطت البلاد فى وهدة الانحطاط وفيه علموا ان في الاتحاد قوة فندم رعية الملك (بينو) على عصيانهم وتمردهم الذى جرهم الى سوء المغبة والمصير ـ وما أتمت كلمتها حتى بهر مقلتي منظر نفيس لاح أمامى ـ هو منظر الصديقة هاتاسو التى حيتني ووالدتى مصر بكل محبة ووقار وقد كانت بلباس الرجال متجلدة بصبرها على فقد ابنها العزيز دائبة على تتميم عمله وتخليد اسمه وذكره فانحنت وخرجت لملاحظة أعمالها وسرنا نحن بسرعة الى ان اقتربنا الى ساحة كبرى راعنى منظر الجيش العرمرم المنتظم فيها (والمؤلف من ستمائة الف مقاتل منه أربعة وعشرون ألف فارس وسبعة وعشرون ألف عربة حربيـة) وسمعت صوت سنز وستريس الثانى يأمرهم بالرحيل فتبعناه جميعاً حتى وصلنا معه نهر (الطونه) فتغلب على انحاء متسعة فى أوروبا وعرج بنا ليرينا ما استظهر

عليه من الاراضى على سواحل البحر الاحمر وجزائر بحر الهند وبلاد الحبشة واسيا ورأينا أعمدته الرخامية التى أمر بنصبها فى كل تلك البلاد ناقشاً عليها هيئة فتوحاته واسمه فلم استغرب أعماله هـذه لان أباه كان قد عوده من صغر سنه معاناة الاعمال الشاقة. اه يا (سيتى الثانى) بوركت بحسن تربيتك ولله درك لجليل أعمالك وقيامك بتهذيب ولدك وأبناء الاهالى الذين من سنه . قم وأنظر أعماله الـكبيرة . هب من رقدتك الاخيرة لترى أقسام مصر الستة والثلاثين التى نظمها هو وأنظر الاهالى يتقاسمون الاراضى الزراعية والخراج الذى يدفعونه له عليها . مالى أراك ياجداه لا تحرك فهل تستهين بكل هذه المشروعات الخطيرة الا تشوقك مناظر المدن التى شادها على تلال صناعية ؟ وهلا ترغب فى مشاهدة الترع والخلجان التى احتفرها ؟ قم ياصاح وأنظر الشعب أطوع له من بنانه لشدة ميلهم اليه ولامتيازه بالانصاف

ولـكن ها هو يسلم أنفاسه لبارئها بعد طول الجهاد ـ وما مصير ابن آدم الا الى الفناء — ولـكن هل أتيت يا (طاى الملـكة) لتعزيني على فقده — نعم انى وان كنت لا أسلوه غير ان قلبي

بك مبتهج لانك ترينى ان مازالت توجد بقية مجد فى العالم
الفرعونى فاليك منى وافر الاحترام والاخلاص — ثم امسكت
عن الكلام — فقاطعتنى والدتى مصر قائلة « هاقد أريتك
أمثلة كثيرة من جدودك وجداتك على عرش المملكة وسأريك
كيف كانت السيدة على عرش البيت والاجتماع باسره الا فاعلمى
انها كانت مطلقة الحرية تحضر الاحتفالات العمومية مع زوجها
وحسبك (امتنس) التى كانت تشغل مركزا اجتماعيا ساميا
فى الحكومة (وقد كان ذلك متيسرا للمرأة عموما) كما وانها
كانت قديرة بان تدير مركزا شريفا مستقلا عن مركز زوجها
ولا عجب اذا كانت قد بلغت تلك الدرجة من السؤدد
والاحترام لان القوم علموا انها مركز العائلة وأصلها وعليها
حياة الامة بأسرها فلقد كانت الفتاة الراشدة قادر على القيام
باعمال المعيشة المدنية وتحل محل الابن تماما ولها من الحقوق
ماله ولو كان الوقت يسمح لى الآن لذكرت لك فضليات
الشهيرات فى العلم والفصاحة والرسم والنسخ وسأكتفي بان
اذكر السيدة تكلا المصرية التي نسخت على جلد الغزال
كتابا واحدا من العهدين القديم والجديد وهى باقية فى المتحف

البريطانى الى يومناهذا ».عند ذلك صاح الديك فانحنت مصر وقبلتنى وقالت بهدو لابد انك مسرورة لمشاهدتك هذه المناظر المتعددة التى كان ابنى (الاجتهاد) العامل الاقوى في كيانها وفتاتي (الفضيلة) المحرك الأعظم فى علو شأنها. فالوداع وموعدنا مساء الغد » فرجعت لمنزلى وكان النهار قد فصحني فسحت متأملة فى مرئياتى وصحوت عند ما كان قد بلغ ظل كل شيء مثليه فاتممت بعض واجباتى وخرجت اطلب الموعد ونفسي الى رؤية مصر فى شوق متزايد فجعلت اصبر نفسي واعتام منى المناظر حولى كل مليح حسن الى ان أخذت عيناي سيدة بملابس سوداء اسدلت على وجهها برقعا قاتم اللون وقد بللته امطار دموعها فهالنى منظرها ولم أعلم من تكون تلك حزينة فاقتربت نحوها وقلت اى سيدتى الحبيبة انني ميالة للبائسات جبلت على الارتياح فى معاشرتهن والاجتهاد في تخفيف احزانهن فهل أستطيع ان أقوم بتلك الخدمة ! فرفعت عن وجهها الغشاء واجابتني أصديقتى (اولفيا) هل راعك بؤسي فعلك تجهلين أمك مصر أواه يافتاتى العزيزة ان ضيما قد لحقنا جميعا . اى نعم انني بائسة سجلتني يد المصائب فى صحيفة العناء

وها انى ارتطم في ديجور الحياة تلعب بى صروف الدهر لعب الحزانى بآلة موسيقية وتطوحنى موجات الهموم فترسب بى في حضيضها وكأن الارض مع السماء تكره وجودى فأتعلق تارة على قطعة من سفينة الحياة والخطر يحيق بى كلما هممت ان اسير نحو بر الأمان في ذلك الخضم الهجاج . ويلي لقد رزئت بفقد ولدىّ العزيزين (الاجتهاد ـ والفضيلة) ابنيتى هيا بنا نفتش عليهما فلربما كانا فى غياب وقتي وها المصباح معى فهامي بالعجل لنجدهما . . . .

فاطلقنا ساقينا للريح ودخلنا فى قصر أحد الاغنياء حيث رأيناه يتقلب على الخز والديباج وبيده رواية غراميه يقلب صفحاتها باهتمام كلى فصاحت مصر أهنا يكون الاجتهاد فتركتها وأتيت غرفة أخرى رأيت فيها ابنه مع رفقة له يلعبون (البليارد) وحولهم كؤوس الوسكى وحديثهم من أسمج الالفاظ التى تحت السماء وكانوا فى هرج ومرج احتفاء وسرورا بنوال صديقهم شهادة (الليسانس) فقلت لقد خاب ظني في نفس طلبتنا الذين ذاقوا لذه العلم والنهى فلا اجتهاد ههنا ـ خرجت من ذلك القصر الى منزل شاعر كبير رأيت القريض

يسجد لعلمه الواسع وقلمة يجري على صدر الصحيفة فظننت لاول وهلة انه الاجتهاد نفسه ولكني ما عتمت ان قرأت ما كتب حتى زفرت زفرة كادت ترافقها روحي الى الهواء اذ رأيت انه ما كان مجتهدا الا في مديح بعضهم ولربما كان ذلك لغرض في نفسه فقلت بئس هذا الاجتهاد الذي يقود الى التذلل . فأسرعت أفتش عن الاجتهاد عند كاتب سياسي نحرير فوجدت الاجتهاد مدرجا في أكفانه ومدفوناً تحت أقدامه شاهدت وفتشت أوراقه فقرأت فيها مالا تقره الحكمة وما لا يقبله عقله فالتفت الى حالما لاحظ استغرابي وقال باسما انما هي وسيلة للمعيشة فيجب ان أكتب ما يرضي الجميع ويوافق مشاربهم فحزنت على عدم الاستقلال الفكري عنده ووثقت ان التكالب في تحصيل الرزق يقودنا الى كل

تفتيشه

فتشت عن الاجتهاد في المصالح الكبري فرأيت الرئيس يطوي يديه على صدره لا يأبه ولا يحفل بعمل ما ولا يخطر بعقله أن يفك اسر الجريدة اليومية من قبضته لينظر في شأن عمله قليلا فتشت عن الاجتهاد بين العلماء وأئمة ورؤساء الدين

فألفيته كلمة مجهولة لديهم معنوياً رأيت العالم منهم يصرف اليوم بعد الساعة في استنشاق روح العلم من روضة كتبه ولكنه يبخل به على الجمهور . رأيت الواحد منهم اذا اهتدى لفكر حميد يضن بأن يعرفه لغيره لينال حق الامتياز به وحده فعلمت ان اجتهادهم يقتصر على نوال الشهرة وانهم بها يتاجرون بالعقول في ميدان الجهالة. خطرت قليلاً أمام روضة انسها السحاب فرأيت على ناحية منها رجلا تقياً متألماً على حالة البشر رافعاً أكف التضرع لله ليحسن الاحوال فعلمت ان الاجتهاد قدمر عليه منذ سنين مضت وما زالت بعض اثاره لديه باقيات فصرخت من أعماق قلبي « رب كثر من أمثاله حتى تسعد البلاد »

فتشت عن الاجتهاد بين سائر طبقات الامة فسمعت أثناء مروري عليهم قولا جارحاً وهو بأن المصريين يحبون الكسل والراحة والزينة والمال ويعبدون من أشغل مركزاً عالياً ولعلهم في ذلك ينجحون وما هو راجع الا لجهلهم . ولكني أقول الان انه وان كان هذا الكلام يطابق الحالة الحاضرة غير انه لا يصح أن يسري على الجميع ولدينا نذر قليل من

الافاضل ولكني أجهل مقرهم لاختبالى بين مظاهر الصدق والرياء وما السبب فى جهالتنا العامة الاعدم تعلمنا الاصول الراقية التى تشوقنا للعلم من حيث هو نعم فقد فتشت عن الاجتهاد بمدارسنا فرأيتها خالية منه لانى لا أعد سهر المعلم والتلميذ ومجاهدات الاخير منهما لنيل شهادة تخول الاستخدام فى احدى المصالح اجتهاداً قط. لمحت كواكب الاجتهاد الزاهر فى بعض مدارسنا الاميرية التى وان كانت من أعلى مدارس بلادنا نظاماً لكنها مازالت تحتاج الى اصلاح وليس هذا على افرادنا المجتهدين بعسير

فتشت عن الاجتهاد فى أماكن عيادة الاطباء فرأيته يقتصر على التحصل على الدرهم والدينار لا بغية تخفيف الاوجاع فقلت لعمرى لو كان « منقرع » الحكيم فى هذا العصر وشاهد ولع الجمهور بجمع الاصفر الرنان كان لاشك سئم الحياة وسبك من روحه العالية الشريفة سيوف ذوات حدين لتقطع دابرهم.

أنا لا أحرم الكسب على البشر ولكنى لا أرضى النصب والاحتيال والعبث بأموال اخوتنا فى الانسانية انه حلال أن

نأخذ بدلا عن جدنا وعملنا ولكن حرام جدا ان نأخذ أجراً على غشنا واحتيالنا .

فتشت عن الاجتهاد فى كل مكان لاجده مقراً وأصبح اليه يومياً فخاب مسعاى لانى لاأجده الا نادرا فى الحانات بين الكؤوس والغيد السافلات لقد أفل بدر تصورى فى أولئك الذين كنا ننتظر أن نجد عندهم ملك الاجتهاد ولكن هى الليالى والايام تبدى لنا ما نجهل . أقول ذلك بلا خوف ولا مبالغه لانه وان كان الاجتهاد مازال باقياً فى الصدور لكنى أجهل مكانه (كما قلت سابقاً) لكثرة ادعاء الناس به ولا سبيل لى الى العلم بما فى الصدور لان ذلك خاص بالله وحده . علمت ان من نرجو منهم الاصلاح يعلمون الحق ولا ينادون اليه . انهم وثقوا أن لا حياة لهذه البلاد بغير الاتحاد وليت شعرى لماذا يوالون التنديد والوعظ والارشاد فتدوى أصواتهم فى انحاء الوطن ولكنهم قد وضعوا لهم على أفواههم كمامة . اللهم الا افراد يكادون لا يعدون على الاصابع صاحوا قليلا ثم عادوا الى الهجوع ثم صاحوا فتبعهم جمهور كبير يطلب انتشار العلم ولقد عم بناء على ذلك ولكنه ناقص ويا لحزنى اذ أننا نحتاج الى

رابطة حقه تربطنا الواحد بالاخر .نحتاج الى من يقفل أبواب المنتديات ويطفىء أنوار الحانات فينحرف منا هذا السيل الجارف. انني فتاة صغيرة ولكني أشعر بنار تلتهب في فم قلمي فتدفعني للكتابة والالحاح بهذا المطلب الأخير . ولكم تمنيت لو قدرت ان اقتدى (بكرى ناشن) فاذهب الى كل قهوة ومكان لهو وأحطمها تحطيما وأجوب في كل بقعة من بقاع مصر لأشن الغارة على كل بائع سموم المسكرات والتبغ ورافعي لواء الرذيلة والفجور .قد كتبت في الفصول المارة كثيرا بهذا الصدد ولكني أشعر بوازع قوى يقود نفسي الى الاكثار من هذا الحديث عاني أجد اهتماماً بين أفرادنا فنؤسس بدل بيوت الرذيله والفجور دوراً للفضيلة وللحنان .حرام ان أرى أخي الشاب يقضي وقته في دولة الظلام امام شيطان الشر وأسكت . هذه الممالك الراقية نكاد لانرى في حاناتها انسانا ولدينا (لندره) التي لايمشي في طرقاتها على عابر بعد ماينقضي ثلث الليل الاول وغيرها كثير . حرام ياسيدي الرجل أن تأخذ عن المتمدنين أصول اتقان السكر وأدواره الاخرى ولا تأخذ عن خلائق لندرة ذلك الامر الحسن . الدين والعقل

والشرف لا يقبل هذه البوائق فالك تمق أوامر الله الكريم حرام أن تنسوا آى نصح التقي الزمخشرى التي زينت صدر مقالى بها فارجوكم أن تعيدوا عليها نظركم . أيها المصري قلب معى صفحات التاريخ لنرجع الى العصر القديم فنرى الفراعنة يجتمعون ويتزاورون ويتسامرون فى العلم والتحرير وتقوم بينهم المناقشات المفيدة ويقيلون عثرة من كبابه جواد الأيام فتعال الى احدي مدائن العرب وشاهد الغنى والفقير والصعلوك والامير فى حلبة المنافسة بسوق عكاظ يتفاخرون بعرائس أفكارهم التي يزفونها هناك الى الاجتهاد . قم وانشىء عكاظا أخرى هنا واصرف ماشئت فيها من الوقت . قد فتشت عن الاجتهاد فلم ألمح الا بعض أجزاء من آثاره فهل اذا أمسكت مصباحى مرة أخرى أراه موجوداً بين ظهرانينا ؟ قد أرتنى والدتنا مصر صفحة من التاريخ فهل اذا أعدتموها تهزكم الى تمجيد الفضيلة والتهافت على مساعدتها سأسعى الآن مفتشة عن الفضيلة فاذا وجدتها فانى أخطبها اليكم فخذوا يدها ونالوا رضاها وبعد ذلك تتحتم سعادتنا . . .

أيتها الفضيلة . . انى سأسعى وراءك فهل أجدلك أثراً فى بيوتنا ؟

فتشت عن الفضيلة عند أم غنية فوجدتها امام المرآة وطفلها مهمل لا يعرف منها الا صورة وجهها . فلم أرها هناك

فتشت عن الفضيلة عند والدة بجانب سرير مريضها وهي لا تدري كيف تعالله . فخبت سعياً

فتشت عن الفضيلة فوجدتها معدمة عند ربات المنازل اللاتي يسلمن زمامه لخدمهن وهن لاهيات في حفلة رقص كبرى .

فتشت عن الفضيلة عند من اشتهرت بالاحسان فرأيتها تفعله منقادة بعامل حب الظهور .

فتشت عن الفضيلة في مساجد ومناهل العلم فرأيت سوق المنافسة بالملابس جارية على قدم وساق .

فتشت عن الفضيلة في شخص المرأة المصرية فوجدت معارفها القليلة تحول دونها وإياها .

فتشت القصور والاكواخ لأشاهد الفضيلة التي تمثلها « أمنتس » المصرية والسياسية العالمة فلم أشاهدها اثراً .

ناديت وصرخت في طلبها فلم أجد من مجيب .

فتشت عن الفضيلة أيها الرجال والنساء فوجدتكم

عاملين معا على اندثارها .

فتشت عن الفضيلة أيها الجنس النشيط فسمعت صوتها الضعيف يشكوكم الى ويخبرنى ان أعيدلكم حادثة الهكسوس فى مصر وكيف نسب أجدادنا حدوثها الى احتقارهم للمرأة .

فتشت عن الفضيلة ياسيداتى فيكن فلم أرمنكن الا الجبن والخوف وكانكن نسيتن مافعلته المصريات فى عهد الرعاة حين كنتن فى ربقة الاستعباد الذى لم يكن ليثنى منهن الهمة بل ابتدعن زيا تخفين به فولجن سرير الملك .

فتشت عن الفضيلة فعلمت انها تختفى خجلا من حالتنا الحاضرة .

فتشت أخيراً عنها فرأيتها متمثلة فى شخص بعض المجاهدات فى سبيل اصلاح الامة فارتاح قلبي قليلا . ولكنى تألمت من حالتهن لما يصادفن من عقبات هائلات فى طريقهن ولربما يأتيهن الغد بسعادة ورخاء .

قلت ذلك واقتربت نحو والدتى مصر وعرضت عليها ماشاهدت فكررت جملتى الاخيرة (ولربما يأتيهن الغد بسعادة ورخاء) وقالت نعم الغد أيتها العزيزة ولسنا ندرى

مايكون مصير كل منافيه لانه مستتر ولا نعرف شيئاً عنه .

تحوم حوله أفكاري وتتسقطه أنظاري ولكنه مترفع لايجود بخبر يشفي غلتنا

أيها الغد ؟ انني أخشى مجيئك وارحب به لان الأمل يرفعني تارة الى سماء النعيم وتهبطني الحالة الحاضرة الى الحضيض .

أيها الغد ، ان قلبي يحاول الوصول اليك ليعلم شيئاً من أمرك فتعال الى حتى أرى من أمرى نوراً .

حدثني أيها الحبيب عما سيكون من شأن المرأة والرجل وعن آمالي فيهما . ماذا حكمت عليها ؟ أحازت لديك قبولا واكراماً أم ذلة وهوانا ؟

أرى يومي هذا يكاد يودعني وألمح عربة الزمن تقترب حاملة الغد وها هي تتقدم بلطف فتري ماذا تحمل الى أيها الغد لقد طالت أيام انتظارك وها أنا أصورك بمناظر شتى متربعة في فؤادي فتتحكم في وجداني حتى نفت الهجوع عن عيني انى أراقب المركبة التي تقلك من زمان مضى فازداد ولهي

لرؤياك وانفجر فى قلبي نبع الدموع فلذلك أود سرعة الاجتماع بك .

لا لأيها الغد قف مكانك حتى يتنبه شعبي لاقتناء الاجتهاد والفضيلة وقد رأيت النسمات تهب من سمائهما فتشترك مع نفثات بعض البشر . فاصبر حتى تسكن مع كل فرد منهم وبعد ذلك تعال لان آمالنا ستتحقق فيك باجتهادنا وفضيلتنا أما الآن فصن سرك لنفسك وأنت ياأولفيا اكتبي لوطنك هذه الجملة قبل أن يأتي الغد :-

هلم أيتها العزيزات وأيها الافاضل لخدمة الله والوطن ولاقتناء الفهم والاجتهاد والفضيلة

ثم ودعتني وقالت لاتنسي أن تبلغي رسالتي هذه للجميع وهكذا أسبلت ستار الحقيقة على مرسح تلك الرؤيا بعد ان مثلت لى رواية «الامس واليوم» وجهزتنى للاستعداد «للغد»

هذا مجمل مادار بفكرى ولا رفيق لى الا يراعى لاعود نفسى الازدراء بالحياة الى ان تختم أنفاسي المعدوده فيبقى مؤلفي شاهداً على فمسانى أكون قدأديت الواجب نحو الانسانية ومصر . .

تقاريظ الكتاب

وقد أدرجت فى الطبع بحسب تاريخ ورودها

قال حضرة العلامة الفاضل الشيخ محمد موسى الاقصرى

هل لاح فى أفق الجمال بريق ... أم فاح طيب فى الرياض عبيق
أم عاد للآداب عصر جلالها ... ولشمسها فى الكون دام شروق
نعم الفتاة (اوليفيا) قد أبرزت ... سفراً بمدحى انه لحقيق
سفر غدا يختال فى حلل البها ... ما فيه تمليق ولا تلفيق
سفر به للاقدمين مآثر ... بيضاء فى عين الانام تروق
سفر به بدت اللطائف تزدهى ... طبعاً له نفس الاديب تتوق
كتبت تحث على الفضيلة شعبها ... وكتابها قد زانه التدقيق
لله در يراعة خطت له ... فى طيه التوفيق لا التفريق
أكرم بسيدة أفادتنا به ... أن الصحائف بالثناء تضيق
فليهنى وادى الاقصرين بمثلها ... بل انه بنبوغها لحريق
ان يحسدوها فالحواسد شأنهم ... فى كل جامعة لهم تفريق
فيها يحق لنا الفخار وحسبها ... أن المؤلف فى الصفات رقيق

كتبه محمد موسى الاقصرى

وكتب جناب الورع القس اسحق ابراهيم راعي الكنيسة الانجيلية بقنا

اللوذعيه الاديبة الآنسة اوليفيا عويضة

سمعت وقر بنتى خواطرك باصغاء تام ومن هيبتها صمت اللسان

عن الكلام وقد كان القلب عرش جلوسها واللب أنيسها . نعم قبلت خواطرك لاجل خاطرك . وهو عندنا مفضل . نعم ونعم اننا بالنفس والنفيس نعظم « الزيتونه » لان فيها الخير ومنها الزيت الذى يلين أعصاب « العائلة المصرية » وأراك عن بعد طبيباً اختصاصيا لمرضنا العضال فاقدحى أيتها المصرية الصميمة زناد الفكر وانتشلى من بحر الجهالة العائلة المصرية . اختطفى بقلبك الرئبالى فتاة ثيبة وفتى الاهرام من بين أنياب أسد الغباوة . اطعنى باسنة قلمك الفياض قلب عوائدنا الذميمة حتى تدمى فؤادها وتقضى عليها القضاء الاخير ارفعى ياأوليفيا المحبوبة العائلة المصرية على يديك الجميلتين وقفى بها وقفة المفتخر على ثغور الاسكندرية ليراها الغرب فيهنأ و يعترف قائلا آمنا فى المدنية والعرفان ظهرت بعد ان اختفت أجيالا وأزمانا ثم يمم بوجهك الصبوح الباسم حدود الشلال ليراها السودان فيتعزى و يقول أناح لى خالق الخلق ومدبر الاكوان بالمعلم الصالح والمهذب النافع وقربه بجانبى . أتذكر أيتها العزيزة الدقائق التى تنازل بها المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة الاميريكية السابق وقابلنى على محطة قنا مع كثيرين من الوجهاء قال حفظه الله وقوله لا زال ولن يزال مكتوبا بالتبر على صفحات قلبى « ان مركز مصركم الجغرافى يزيد مسؤوليتكم اضعافاً فى نظر الله والعالم فمصركم بين العالم المنير (اوروبا) و بين العالم المظلم (السودان) فخذوا النور باليد الواحدة من العالم المنير وقدموه باليد الاخرى الى العالم المظلم »

وانى يتأتى ياأوليفيا لمصرنا ان تشعر بهذه المسؤولية وتقوم بها خير قيام والعائلة المصرية تحتاج الى نظر. كنت أصلى ولا زلت أصلى ان

الرب يفتح باب الرقى للعائلة المصرية على يد الشابه ذاك افعل وأقوى ويلوح لى ان الله بدأ باجابة الصلاة وكم انشرح صدرى لما قرأت مقالاتك المسبوكه وقصائدك المحبوكة وقلت كثر اللهم من أمثالها فان فى فم قلمها كلمة بشارة لخير العائلة المصرية

تنازلى أيتها الفاضلة بقبول وافر احتراماتى وقريتى ودمت للداعى نجاحك

اسحق ابراهيم

وجاءنا من حضرة الشاعر الاديب نصر افندى لوزا الاسيوطى : —

أيا ناظم الاشعار يهدى القوافيا ... اذا رمت ليلى فى البلاد فهاهيا
هنالك بين الاقصر انظر هنيهة ... تجد وجهها كالصبح للعين باديا
ولا تعجبن ان قلت ليلى فانى ... لأعنى بليلى فى قريضى (ألافيا)
فتلك بنت للعرب مجدا مخلدا ... وهذى محت ما كان فى مصر داجيا
فتاة المعالى حسبك اليوم سؤددا ... فقد نلت بين الغانيات الامانيا
سنون النهى ولت وانت بحكمة ... أعدت لنا تلك السنين الخواليا
نصرت بنات الشرق تبغين رفعة ... لهن وانعشت القلوب البواليا
أرى فى الغوانى مثل شخصك دائما ... رجالا وفى بعض الرجال غوانيا
نفوس الورى تاقت الى العلم طالما ... رويت لنا هذى النفوس الصواديا
أرى لك بين الغيد همة ضيغم ... وعزما لدى الاهوال كالسيف ماضيا
اصالتك التعساء فى الرأى بيننا ... تدك الجبال الشامخات الرواسيا
شقيت أيا فخر الحسان لتسعدى ... أوانس لم يلقين غيرك هاديا
وأعليت للجنس اللطيف مكانة ... تخلد ذكرا من صنيعك باقيا
تفانيت فى حب البلاد وانى ... أراك اشد العالمين تفانيا
وأظهرت أن البنت فى مصر اصبحت ... تؤسس مجداً للكنانة عاليا

فيامن هضمتم للنساء حقوقها ... كفى حسبكم فيما فعلتم تماديا
فلو كان كل الغيدمثل « اوليفيا » ... لأصبحن فى أفق المعالى دراريا
أيا ابنة مصر ان مصرك تبتغى ... نساء يعلمن الرجال المعاليا
فسلى يراعا ترجعى فخر أمة ... تكاد تلاقى من بنيها الدواهيا
يراعك حاكى الغيث فى نفحاته ... وفى بأسه حاكى الرماح العواليا
اذا جال فوق الطرس يوماً نخاله ... جوادا بميدان التسابق جاريا
نظمت به من حلية الفضل والعلى ... كتابا لمحمود المواضيع وافيا
أرى فيه در العلم طوراً منضداً ... وطوراً أرى زهر المعارف ناديا
يقوّم أود « العائلات » كأنه ... على الدهر مصباح اضاء اللياليا
لقد اصبحت بين العباد سطوره ... دواء لادران المفاسد شافيا
كتاب ارقّ الكتب قولا مسدداً ... وأحسنها لفظاً بدا ومعانيا
فيافخر ربات الخدور تهنئى ... فصيتك فى الافاق أصبح ساريا
وتيهى كما تبغين انى لناظر ... فعالك اضحت كالنجوم زواهيا
فلا زلت تهدين البلاد سعودها ... ولا زلت أهديك المديح تهانيا

بقلم
نصر لوزا الاسيوطى

شقيقتى وعزيزتى اوليفيا

سألتنى ان أقول كلمتى عن كتابك (العائلة المصرية) وانى ليراعى الضعيف ان يؤم مضماراً طالما جال فى ميادينه فحول الشعراء والكتاب ولكن بما انك عودتنى الا تخالفى لى أمراً فها أنا أقول كلمتى لا على سبيل التقريظ والاطراء ولكن على سبيل رفع لواء العلم بيننا نحن معشر الجنس اللطيف .

اى شقيقتى نظرت الى جسم الهيئة الاجتماعية فألفيت نصفه المهم عليلا مهملا فى زوايا الاعتساف فشق عليك ذلك ولا بدع اذا كانت تتألم نفس كنفسك رضعت لبان الحرية منذ نعومة اظفارها ولم تفطم عنها

وثقت ان المرأة هى أستاذ العالم التى ان شاءت جعلت بلادها تخفق فوق ارجائها اعلام التمدن وان شاءت (والعياذ بالله) جعلت بلادها فى اضمحلال يدب فيها دبيب الخمول والكسل ويسرى فيها جراثيم الانحطاط والجهل

نظرت أيتها الشقيقة مبلغ تقهقر المرأة امام الرجل وكيف بان النساء أصبحن امام ازواجهن كالانعام فشرعت لذلك يراعاً فيه لاشك شفاء لعلتنا الاجتماعية وبه قوة هائلة تبدد الخطوب وتفرج الكروب وتنعش القلوب

الجنس اللطيف لاتقوم له قائمة الا اذا قامت من بينه فتيات نظيرك يأخذن بيده ولعلك فاتحة باب هذا الامل الذى تطمح اليه نفوسنا .

انى لمترقبة ذلك اليوم السعيد الذى لا اخاله الا قريباً حيث فيه ينهض سقاك ويمتنى أثرك كثيرات من المصريات يرفعن نقاب الجهل ويبددن غياهب الظلمات .

فاليك أيتها الشقيقة العزيزة اوجه كلمتى الاخيرة وهى انى اسال الله ان يسدد خطواتك ويجعلك نبراساً ساطعاً وكوكباً لامعاً كما انى اساله ان يلهم الجنس اللطيف الى مافيه خيرهن وسعادة مصرنا المحبوبة

ضالتك المنشودة ودمت

اشقيقتك المحبة

روجينا عويضة عبد الشهيد

وكتبت سيدتى الوالدة الموقره : —

ابنتى المحبوبة أوليفيا

كنت ألاحظ ميولك من الصغر لمساعدة الغير فكنت أفرح وأسر وأدفعك الى الامام لان ذلك واجب مفروض على كل الانام

كنت أصلى الى الله ليستعملك أداة تؤدى نفعا لمصرنا المحتضرة على مضاجع الامها

كنت اصغى الى تأثيراتك متى عدت الىّ مثقلة بالاستغراب من عادات ذميمة تتصل اليك من الخارج وقد جهلتها قبلا لانى لم أردان أعلمك مايؤخرنا بل لفظت تلك العادات لفظ النواة لاعودك الفضائل

كنت ألاحظ روحك وقد دبت فيها اليقظة والتأمل فأصرخ لله ليعطيك فكراً ثاقباً وروية فيما تعملين

كنت أجذل جداً كلما أتيت عند قدمىّ بمقالة يدبجها يراعك الصغير وأتمنى لك المزيد

مضى علينا زمان وأنت تجدين وأنا أتبعك بتأملاتى

أردت أن تخدمى الوطنية وتفتكرى عن اخواتك فى الانسانية . لتكون محبة الانسانية كعبة أعمالك تنهبين اليها قراطيسك على مطايا يراعك

تمنيت أن تكتبى لذلك الغرض لا لغرض الشهرة

ماجاءك ثناء الا وأودعته فى خزانة محفوظة — هى قلبى وكنت دائماً أخشى أن يأخذك نزق الشباب فتتصورين انك تقومين بعمل عظيم تستحقين عليه الاطراء بل شئت أن تتأكدى انك انما تقومين بالواجب

الشهرة أيتها الحبيبة هى تلك الروح الكبيرة التى تهب نفحاتها على المجتمع البشرى ملاى بنسيم الضعة ومضمخة بشذا الفضيلة

فلذلك أنصح لك ألا تفتكرى فى نفسك شيئاً وأن لا تغترى بمديح

العالم حولك لان الثناء يغرّ صغار العقول وأما كبارها فيرون العظمة فى أعلى مجاليها ويخرّون خشعاً أمام ارتفاعها ويعرفون حقارة عملهم لدى مساعى الفطاحل فيخلصون من بلية النزق والطيش ويرون بعدهم القاصى عن الكمال فيسمون نحوه

وأخالك لاتنسين ان « من أراد أن يكبر فى عيون الناس فليصغر فى عين نفسه ومن لايزال يذكر نفسه كان خليقاً أن تنساه الناس . والعظيم من وقرت به الثقة بالصيت الاجل عن الطيش وراء الصيحة العاجلة وهو الذى يلقى فى تربة الزمن بذور الفضائل لتجنيها يدالابد » هو الواثق ان المدح الكاذب لاقيمة له أزاء مايحكم به المستقبل بشهادة القرون المتوالية .

تعلمين أن سر تأخر مصر هو جهل النساء ولا تكون حياة لكل أمة الا بتهذيب بناتها — انا لا أقصد الرداء الخارجى من التهذيب . لا أقصد كيف تتعلم الفتاة أن تعقص شعرها بضروب شتى وكيف تتفنن بتزيين صدرها بالحلى ونقش وجهها بانواع البويات . لا أقصد تلك الزينة الفارغه بل أقصد بها التقوى والروح العاليه

أقصد تلك الفتاة الوديعة التى يفوق تمتها اللالىء الكثيرة . أقصد تلك الام التى ترضع أولادها لبن الرقى لا اللزعبلات والخرافات أقصد تلك الزوجة التى تخصص قلوب بعلها وأطفالها لخدمة البلاد واسعادها

أقصد ذلك الفتى الذى يكافح الرذيلة بحسام الاقدام أقصد الجنس اللطيف والنشيط يعملان معاً فى سبيل الرقى باتحاد ومحبة لان « الاتحاد للشباب جمال وللكهولة كمال واذا اتحدا فقد وثقنا بحياة لامتنا »

جاء والدك الآن الى جانبى وأطلع على ماكتبت وقد رأى أن يضمّ صوته الى ما أكتب . تابعى يافتاتنا المحبوبة على الخطة القويمة

والمبادىء الشريفة — فى خدمة الانسانية سعادة وسرور فاسعى وراءهما تريدين لمصر معنا بهجة وجلالا فاقتحمى الصعاب ولكن لا تشرعى فى عمل ما الا بعد ان تخرّى لدى عرش العزة الالهية طالة الارشاد لخير سبيل

باحبذا مصر اذا عاد لها مجدها

استمرى يا أوليفيا وليكن فى استمرارك تقدم

من الله التوفيق ومنا الدعاء المستديم ؟

والدتك المحبه

وقال مؤرخاً حضرة الشاعر الشيخ محمد موسى الاقصرى

صافى الصفا لذوى الصفاء والعلم اصبح فى اختفاء
وبدت تباشير المنى واليمن أشرق والسناء
اذ وجهت « أوليفيا » لكتابها كل اعتناء
فبدا المؤلف زاهياً يختال فى حال ازدهاء
كم ضمنته مواعظاً للامهات كما تشاء
ولكم به قد أودعت نصحاً لاصحاب الثراء
فلها المنا بتمامه ولها على المجد الثناء
لما غدا متهيئا للطبع فى محلى العلاء
فى بيت شعر مفرد قد قلت تاريخ الوفاء
يزهو كتاب العائلة بالطبع فى تحف البهاء

٢٨	٤٢٣	١٤٧	١١٤	٥٧٨	٤٠

بقلم ١٣٣٠

محمد موسى الاقصرى

(ا) اهداء الكتاب (ب) الى حضرات القارئات والقراء (ج) المقدمة
٦ تمهيد ـ بين مدافن الفراعنة
١٤ الفصل الاول ـ المولود والمولودة وطفوليتهما ـ مظالم الوالدين
٢٤ الفصل الثانى ـ التربية المنزلية والمدرسية ـ الاستاذ ـ نصائح للنشأة الحديثة ـ اكرام الوالدين ـ مظالم البنين
اكرام العجزة ـ حب الوطن ـ الرفق ـ بالحيوان ـ
الاهمال آفة النجاح ـ فيم تنفقون اموالكم لو كنتم اغنياء
٧٠ الفصل الثالث ـ البنت فى المدرسة وبعدها ـ المرأة المصرية
الابن فى المدرسة وبعدها ـ الوظائف ـ الرجل المصرى ـ
١١٧ الفصل الرابع ـ الخطوبة ـ الزواج ـ الاعراس
١٣٦ الفصل الخامس المرأة وزوجها واسرته ـ المرأة وتدبير المنزل ـ اسراف النساء وولعهن بالتنافس مع الغير ـ طمع الرجال ـ مظالم الرجال ـ الازدراء بالنساء ـ
١٩٧ الفصل السادس ـ تتمة العوائد الذميمة ـ البصق على الارض ـ شفط المشروبات بصوت مرتفع ـ الولائم ـ حب الافتخار ـ التحية وعبارات الترحاب ـ استراق اسرار الغير ـ استعطاء الاصحاء ـ حرية الفكر ـ الحرب ـ الزار ومضارعه
٢١٤ الفصل السابع ـ المآتم
٢١٨ الفصل الثامن ـ الاول ـ حديث خيالى لمصر ـ

وقعت بعض غلطات مطبعية لا تخفى على القارىء الفطن منها لفظة (مدخنه) الواردة فى الصفحة السادسة عشر والسطر الثالث عشر والصواب (لاخته) ومنها ماجاء بالصفحة الخامسة والعشرين والسطر الرابع (فيتمشيا) والصواب فيتمشيان) وقد أهملت بعد (فلا تبك) لفظة (فيظن) فى الصفحة السابعة والعشرين السطر الخامس هذا فضلا عن بعض غلطات مطبعيه فى القصائد كزيادة أحرف أو نقط مما لا يخفى على اللبيب والسلام